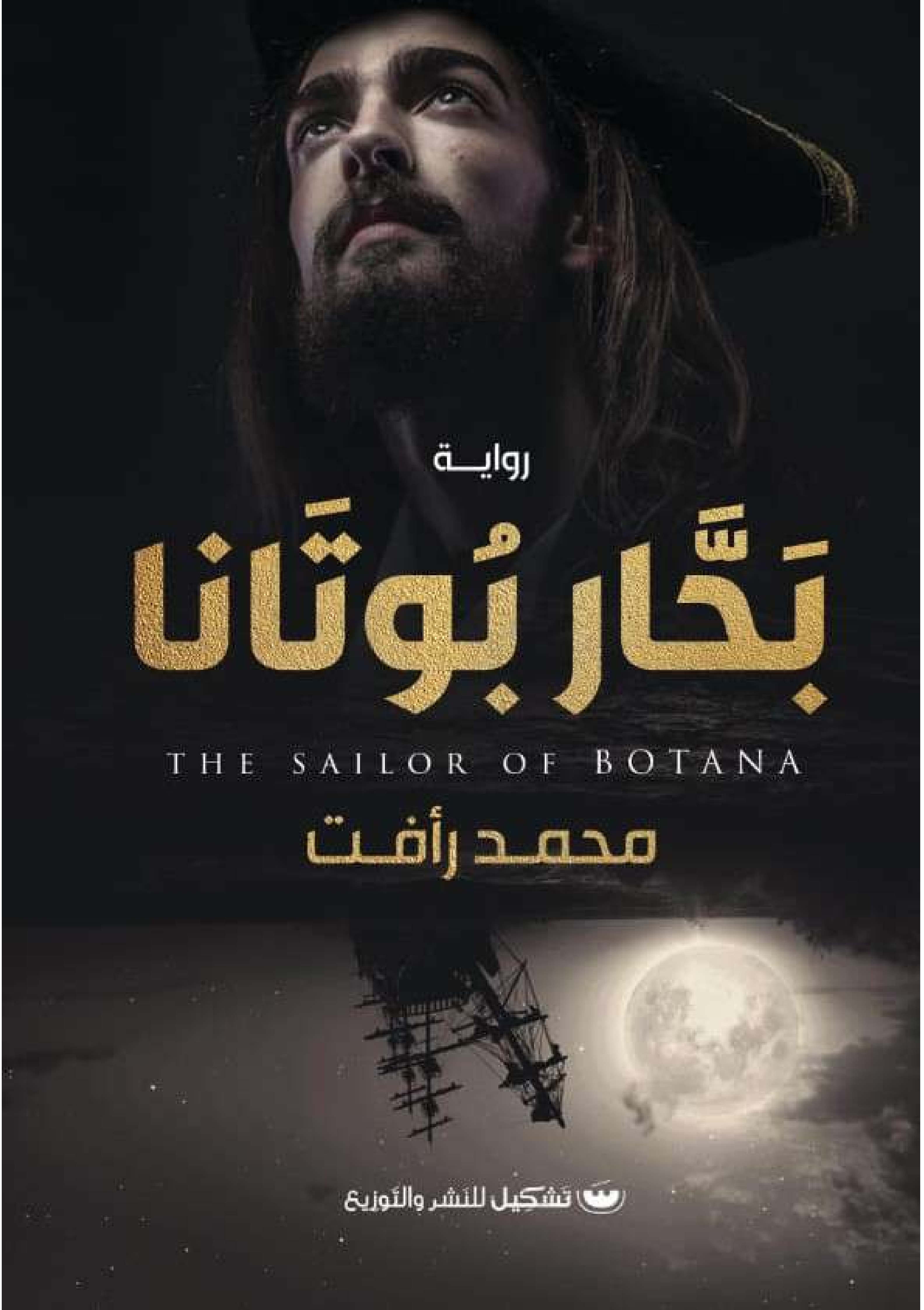


رواية

بَحَّار بُوتَانا

THE SAILOR OF BOTANA

محمد رأفت

تشكيل للنشر والتوزيع

بحار بوتانا

رواية

محمد رأفت

تَشكِيل للنَشر والتَوزِيع

Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkeel-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

رقـم الإيـــداع: 2806/ 2019

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية: حسام حسين

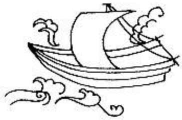
الإخراج الفنـــي : ضياء فريد

المـديـــر العــام : سيد شعبان

إهداء

لحصني الحصين في الحياه، أبي
لمن أعطتني مفتاح الحياة، أمي
لسُكان قلبي، أخي وأختي
لرُفقاء دربي، أصدقائي
لأرواح أجدادي وأعمامي
للعابرين، للمُهمشين، للمُبدعين الصامتين، للشباب
لسبب عودتي للكتابة، بل للحياة

(إهداء خاص
لطلبة وأساتذة كلية الطِب ـ جامعة الإسكندريه)



مقدمة

التاسعة مساء أحد أيام الشتاء.

البرد قارص، والشجيرات تتمايل على شاطئ جزيرة «**بوتانا**» من شدة الهواء الذي يصدر صوتا تقشعر له الأبدان، كزئير الأسد، أو أكثر هيبة.

حفيف أوراق الشجر المتساقطة على الأرض يضفي ملمحا مرعبا لذلك الظلام الذي يكسو الشاطئ كله، ألا بقعة ما مضيئة بجوار احد الزوارق الصغيرة.

يستند على الزورق اثنان من الرجال في ريعان شبابهم وقد أضرما النيران في بعض الحطب؛ قاصدين الدفء والإنارة في انتظار صديقهم الثالث، الذي قطع ذلك الصمت المخيف وألقى التحية على صديقيه «**لوثر وبيرت**»

فرد لوثر التحية **قائلا:** أهلا بصديقي الأشقر الجبان.

فضحك بيرت **وأردف:** اجلس يا أدلر.

واصل لوثر حديثه الساخر **قائلا:** ألا تشعر بالخجل يا هذا من أن تخاف من الظلام وأنت في العقد الثالث من عمرك. أي صديق قد اتخذت بحق السماء؟!

جاوبه أدلر **بجديه:** كف عن المزاح لوثر. أنت تعرف أنا لا أخاف لا الظلام، أنا أخاف البحر ولا شيء غير البحر.

صاح **لوثر:** تعيش بجزيرة وتكره البحر؟! وهل نعرف غير البحر مأوى؟ لقد ولدنا على هذا الشاطئ يا صديقي، أتود ترك البحر والصيد؟ ثم ماذا؟ تموت جوعا ويموت أولادك؟

أجاب **أدلر:** أقسم أنني ما رغبت في شيء، بقدر ما رغبت في أن اقتحم ذلك البحر واغزوه، لطالما أردت قتل خوفي اللعين من هذه الأمواج الهائجة.

تدخل بيرت في الحديث **قائلا:** ولكنك تقتحمه يوميا بالفعل!

ارتسمت على وجه أدلر بسمة ساخرة **وقال:** أتسمي هذا اقتحام؟ أنا كالبندول يا صديقي، أستيقظ من نومي لأشق البحر بزورقي، وألقي شباكي، إن رزقت بالأسماك اليوم، أحتفظ بما يكفي أولادي منها وأبيع الباقي، وإن لم ارزق أعود أدراجي إلى السوق لأشتري لأولادي، طعاما بالمال الذي تحصلت عليه من بيع أسماك الأمس. أرأيت؟! متأرجح كالبندول، لا جديد.

بيرت: يا صاح! وكيف تكرهه إذن وهو مصدر رزقك ورزق أولادك؟

أدلر: فقدت أمي في البحر، فقدت أختي في البحر، حتى أبي! قتل في البحر. إن أعطاني البحر قرشا، فقد سلب مني مئات الجنيهات.

صاح لوثر مرة **أخرى:** أدلر أدلر! لا شأن للبحر بأن أختك ذات الثلاثة أعوام غرقت بين أمواجه!

لم يجبر البحر والدتك على الجنون بعد مقتل أبيك، ومحاولتها السباحة للجزر السبع حتى غرقت. نحن لا نصل لتلك الجزر بزوارقنا يا رجل!

كما أن البحر لم يطلب من والدك أن يحاول استكشاف تلك الجزر الغامضة ليعود إلينا جثة هامدة على متن قاربه المتهالك!

لا ِشأن للبحر بكل ذلك أدلر، كف عن ذلك ولا تكن دراميا! نحن لسنا ملوك، نحن عبيد الرزق وأينما وجد رزقنا وجدنا.

قطع أدلر هياج لوثر **قائلا:** أتعلم يا لوثر، إن كانت لدي قدرتك على تقليد الخطوط مثلا لتركت الصيد، وبحثت عن مهنة تلائم موهبتي، وإن لم أجد لاخترعت مهنة جديدة أفعل بها ما يحلو لي، حتى وإن مت جوعا فضلا عن أظل مقيداً في الصيد الذي لا أكره شيئا مثله.

أنت تكره الصيد ولكنك لا تستطيع أن تخاطر، وتتركه خوفا على رزقك وطعامك.

أنا أكره الصيد ولكني لا أستطيع أن أخاطر، واتركه خوفا على أولادي وزوجتي.

بيرت يكره الصيد ويهرب من ذلك الكره باعتقاده أن تلك القلادة الساذجة التي يتقلدها هي ما يسيِّر حياته ويجلب له الحظ، فلقد قررت القلادة أن يصبح بيرت صائدا فأصبح كذلك!

يا الهي!

أيجهل بيرت أن مصيره كصياد قد تحدد قبل أن يولد أصلا؟! أيجهل انه لا أثر لتلك القلادة في حياته وأن ما يفعله هو فقط هروب من نفسه؟ يقدس قلادة بالية؛ ليبرر خوفه من تغيير مصيره؟ كلنا جبناء يا صديقي. كل منا جبان بطريقة ما.

بعض الصمت يكسو المكان بعد انفعال أدلر ثم عاد بيرت ليستأنف الحديث **قائلا:** أنا لا أقدس القلادة هروبا كما تزعم يا أدلر. أنا لست جبانا وقلادتي ليست خرافة! لن يستطيع أحد فهم سر قلادتي غيري، لم يعش أحدكم تفاصيل حياتي ويلاحظ كيف تتغير الأمور بوجودها حول عنقي، لا تتهمني بالجبن، أنا اندم كثيرا لضياع الفرص وأنا اعترف بذلك. لكني لست جبانا!

أدلر: وما الندم غير جبن؟ تأتي يوميا إلى هنا يا بيرت، وتخرج غيظك في قذف الحجارة في المياه، إن احتفظت بكل

حجر رميته في المياه منذ أن كنت طفلا لبنيت قصرا يضاهي قصر ملك الجزيرة!

أبي صانع السفن الأشهر على الإطلاق والذي ذاع صيته بين الملوك قبل الصيادين أن احتفظ بلوح خشب واحد من كل سفينة صنعها لبنى لنفسه أعظم سفينة، يستطيع الهرب بها من الجزر السبع دون أن يلقى حتفه!

أتدري يا صديقي؟ إن احتفظت أنا بكل تلك النصائح اللي أسديها إليكم لنفسي، لكان حالي أفضل مما هو عليه مئات المرات.

بعد أن أتم أدلر حديثه أشتد الهواء أكثر وتعالت الموجات حتى وصلت إحداهن إلى النيران لتطفئها، وكأن الكلام قد نفد بعد ما قاله أدلر، عند ذلك قام الصيادون الثلاثة دون أن ينبس احدهم ببنت شفة مغادرين الشاطئ نحو أكواخهم.

تلك الجزيرة لا تعرف إلا الأكواخ! حتى مراكز رجال الأمن هي عبارة عن أكواخ ولكن يميزها الطلاء الأزرق. أكواخ السكان مطلية بالأخضر وعشش الأسواق تطلى باللون الأحمر.

لا مبنى في الجزيرة سوى قصر الملك الكائن في وسطها ويشغل ربع مساحتها تقريبا.

لم يكن ذلك التفرق بين الأصدقاء هو تفرق زائل كعادته، يتبعه مقابلة من أجل سهرة تسامر أخرى في اليوم التالي، بل أنه بعد تلك الليلة الحزينة القاتمة التي تكدست بالحقائق والصدمات

توقف الأصدقاء عن التجمع للتسامر، وأصبح كل منهم يتفحص حياته أكثر ليعلم حقيقة نفسه. حقيقة مراده وأمنياته التي يمكن أن تفني عمرك كله جاهدا أن تصل إليها، ولا تكلل رحلتك بالنجاح!

أما الآن، فقد حان وقت الإبحار وسط «**بحار بوتانا**» ولكن دون أن نغرق.

ظلام دامس وسكون تام، لا صوت سوى صوت المياه الناتج من مداعبة أحد القوارب، رجل بلغ من العمر أرذله يرتدي ملابس شبه بالية، يربط قاربه الذي رسا على الشاطئ أخيرا بعد رحلة دامت ستة أيام، هو لا يعلم كيف نجا من تلك الرحلة المميتة، وكيف أنه لم يلقَ حتفه وسط الأمواج المتلاطمة بشده طيلة الأيام الستة! لكنه يعلم أن رحلته الحقيقة قد بدأت في اللحظة التي أرسى فيها قاربه على ذلك الشاطئ، هذا العجوز المخبول قرر أن يستكشف مجموعة من الجزر الغامضة المشهورة في أساطير أهل جزيرة بوتانا، كل من سبقوه محاولين استكشاف تلك الجزر لم يعودوا مرة أخرى إلى جزيرتهم، بل عادت قواربهم فارغة مما أعطى لسكان بوتانا المجال للسباحة في بحور الخيال مئات الأميال والأميال، فالبعض يقسم أن تلك الجزر مأهولة بالجن، ولا تسير إلا بالقوى الخارقة، والدليل عودة القوارب في كل مرّة فارغة، وكل القوارب التي عادت متشابهة في كونها مصابة ببعض التلف من الجانب الأيسر! ما هذه القوة والدقة؟ إذن لا يمكن أن تكون سوى قوى الجن.

البعض الآخر من الناس – يرون أنفسهم أكثر فطنة – يزعمون أن لا وجود لتلك الجزر من الأساس وأن الاتجاه الشمالي لجزيرة بوتانا لا يحوي جزرًا أخرى، فجزيرة بوتانا تتصل تجاريا بالجزر الكائنة شرقا وغربًا وجنوبًا، وتذهب قوارب الجزيرة، وتعود سالمة آمنة لا يمسها أي سوء سوى مخاطر الرياح والأمواج.

إذن من يتجه في الاتجاه الشمالي يذهب إلا المالانهاية! فهو حتمًا لن يعود ولا يعود سوى القارب الذي أصابته الأمواج بالكسور وابتلعت صاحبه ثم دفعته نحو شاطئ الجزيرة مره أخرى.

الجزء الثالث من سكان بوتانا يأبى الحديث عن الجزر السبع نهائيًا، فان كان أصحاب الرأي الأول مُحقين فقد تصيبهم لعنة الجان! وان كان أصحاب الاتجاه الثاني على صواب، فالجزر غير موجودة بالأساس ولا داعي للحديث عن شيء خيالي.

كل هذه الأفكار جالت في عقل ذلك العجوز أيضًا مرارًا وتكرارًا حتى قرر قطع كل شكوكه باليقين؛ حتى وإن كلفه ذلك حياته.

اتهمه كل سكان الجزيرة بالجنون والخبل، فلقد توقفت المحاولات لاستكشاف تلك الجزر منذ عقد كامل من الزمن، وراح ضحية تلك المحاولات أكثر رجال الجزيرة شدة وقوة. فكيف لذلك العجوز أن يتم محاولته بنجاح، أو حتى كيف له أن يفكر في ذلك الأمر!

الآن وبعد كل هذا التضارب يرسو قارب العجوز على الشاطئ لتبدأ رحلته في الاستكشاف. تطأ أقدامه أرض جزيرة ما، لا يدري إن كانت هذه الجزيرة هي الأولى أم السابعة أم جزيرة ما بين الأولى والسابعة، لا يدري حتى إن كانت جزيرة واحدة أم سبعة جزر كما تزعم أساطير الأجداد، ولكنه هنا الآن حتى يعلم، لقد ترك زوجته وولده في سبيل ذلك السر الغامض والآن لا ينبغي أن يمنعه أي شئ آخر عن معرفة الحقيقة، حتى وإن كانت آخر لحظات حياته هي لحظة كشف السر.

ولكن! سرعان ما انتهت قصة العجوز قبل أن تبدأ! قُتل برمح في التو واللحظة التي اجتاز فيها الشاطئ، ووُضع على قاربه!

يستفيق أدلر من نومه مذعورًا بعد ذلك الكابوس الذي رأى فيه مقتل والده بطريقة جديدة، فذلك الكابوس يتكرر يوميًا باختلاف طريقة القتل، وكأن أدلر يحاول استكشاف كيف مات والده وهو نائم لعدم قدرته على استكشاف ذلك في يقظته، فهو الآن أب مسئول عن إطعام ولديه التوأم وأمهم، ولا يقدر على المغامرة وترك العنان لنفسه كي يعلم أمات أبوه بالرمح كما أخبره كابوس الليلة؟ أم أكلت النيران أحشاءه كما أخبره كابوس البارحة؟ أم انه مات غرقًا ولم يصل للجزر أصلاً كما أخبره كابوس الأسبوع الماضي؟

قطعت زوجته هيلدا هذه المأساة الجائلة في خاطره، بعد أن دخلت الكوخ لتخبره بأنها سوف تذهب بعد ساعات في رحلة

تجارية إلى احد الجزر الغربية؛ لتحاول بيع الأسماك المتبقية بعد ركود حركة البيع في بوتانا منذ فترة.

الرحلات التجارية في بوتانا تحدث ثلاث مرات شهريًا، سفينة كبيرة تابعة لسفن الملك مُحملة ببضائع السكان تذهب لأي من الجزر المجاورة ويحاول السكان تسويق بضائعهم على أن تعود للملك نسبة معينة من ثمن المبيعات تحدد وفق رغباته في كل رحلة على حدا، فأحيانًا يتحصل على الثلث، وأحيانًا على النصف، ونادرًا ما يتحصل على الربع وبالطبع لا اعتراض يحدث ولا امتعاض يُبديه السكان، إنه الملك!

يجيب أدلر **زوجته: لا** حاجة لذلك هيلدا، أنا سأذهب لأبيع الأسماك اليوم في سوق الجزيرة وأثق في بيعهم، فقط امكثي مع أولادك حتى أعود. فذلك أفضل من أن ندفع نصف ثمن البيع كضريبة حمقاء لجلالة الملك.

هيلدا: وان لم تنجح؟

أدلر: إن لم أبيعهم سوف أشارك في الرحلة التجارية.

هيلدا: وعندما تشارك أنت في الرحلة يا أدلر من يصطاد أسماكنا اليوم؟

أدلر: سأذهب للصيد حين أعود هيلدا!

تجيب هيلدا **بسرعة: لا لا** أدلر، لا عليك، ستعود من الرحلة في حاجة للراحة بعد التجول في الأسواق، أنا سأذهب للرحلة

ببعض الأسماك واترك لك البعض للمحاولة في سوق بوتانا، ثم الذهاب للصيد.

لم يجب أدلر واكتفى بالصمت، ثم خرجت هيلدا من الكوخ قبل أن يتغير رأي زوجها.

بعد أن تناول إفطاره المتواضع وقبل ولديه تلك القبلة الجافة الروتينية، خرج يقصد سوق بوتانا ليحاول بيع الأسماك.

في الطريق إلى السوق أخذ أدلر يحدث نفسه – كعادته – عن أحوال معيشته وأحوال بوتانا، هذه المرة كان أدلر يتعجب من زوجته!

أدلر: ما هذا التغير الذي طرأ على هيلدا فجأة اليوم؟!

في الشهر الماضي طلبت منها أن تذهب إلى الرحلة الشرقية بدلاً مني لكوني متعب ورفضت الأمر مُعللة الرفض بحاجة الأولاد للخروج معها إلى الشاطئ في ذلك اليوم.

منذ متى وهيلدا تهتم براحتي من عدمها؟ منذ متى وهي تهتم بتدليل الأولاد وأخذهم للشاطئ من الأساس؟

أخذ أدلر الطريق إلى السوق يطرح على نفسه هذه الأسئلة ولا يجيبها حتى استقرت نفسه على الإجابة الأقرب لقلبه والتي يتمناها وهي أن قلب هيلدا قد لان وهي تلاحظ معاناة زوجها اليومية لتوفير قوت يومه وقوت أولاده، وأن هيلدا الحالية قد

عادت هيلدا التي كانت تدلله وتحمل عنه همومه في الشهور الأولى من الزواج، قبل أن يتبدل حالها بعد ذلك.

يا لها من بداية جميلة ليوم يتمناه أدلر جميلاً!

ولكن لماذا هذه العودة الغريبة في ذلك التوقيت الغريب؟ هو لا يعلم ولكن تلك الإجابة أراحت عقله وسكنت قلبه.

فالإنسان منا يصدق ما يتمناه أكثر مما يخشاه، عندما تقع في غرام فتاة ما فأنت تعتبر تلك النظرة التي تنظرها إليك هي نظرة عاشقة لمعشوقها الأبدي، وإن رأيت عينيها تنظر لآخر بنفس الطريقة، تعتبرها صدفة بحتة، أو حتى نظرة إعجاب وقتي زائل أو أي شئ إلا الحب، هذه سجية البشر.

قطع وصول أدلر للسوق تلك التأملات الفلسفية وبدأ يعلن عن أسماكه ويناقش الناس في ثمن البيع، الناس هنا ـ في بوتانا ـ تعبد الأموال، لا مبالغة في وصف الجنيه بولدهم الغالي والقروش بكعبتهم الخالدة؛ فلذلك إقناع هؤلاء السكان بالشراء بالثمن المطلوب هو أمر في غاية التعقيد والصعوبة ويحتاج مهارات خاصة ولذلك أيضا يمتهن بعض سكان بوتانا مهنة التسويق. يحصلون على الأسماك من البائع ويتقمصون دوره لبيعها للمشتري، ثم أخذ نسبة من الأرباح متفق عليها مسبقًا.

ظل أدلر في السوق لساعات محاولاً البيع بالثمن الذي سيرضي هيلدا، فهو يريد كسب قناعتها ليكمل يومه على نفس النحو المميز الذي بدأ به.

بعد ثلاث ساعات من النقاش ومحاولات الإقناع لم يتبقى لأدلر سوى سمكة وحيدة أعطاها لأحد المتسولين بالسوق كنوع من الشكر لربه بعد أن نجح في بيع أسماكه بذلك السعر في وسط الركود الذي تشهده بوتانا ثم توجه عائدًا إلى كوخه وهو يستطيع بكل ثقة أن يصف يومه بالممتاز.

دخل أدلر الكوخ ليبدل ثيابه سريعًا قبل الذهاب للصيد وكان وقت الرحلة التجارية قد حان فمن الطبيعي ألا يجد هيلدا بالداخل، ولكن عدم وجود ولديه لم يكن طبيعيًا، خرج أدلر يسأل عن أولاده في بعض الأكواخ المجاورة لكنه لم يجدهم!

مجددًا يركن أدلر للإجابة الأقرب لقلبه مفترضًا أن هيلدا أتمت مثاليتها في ذلك اليوم، واصطحبت الأولاد معها في الرحلة التجارية حتى لا يتحمل هو أعباء رعايتهم، وحتى لا تتركهم يلهون مع أطفال الجيران لحين عودة والدهم من الصيد أو عودتها من الرحلة، وهو الأمر الذي يكرهه أدلر، ففي صبا أدلر ماتت أخته غرقًا عندما تركتها أمه تلهو مع الأطفال قرب الكوخ.

هذا هو الإنسان، نحن لا نخشى شيئًا ما إلا عندما نذوق مرارته؛ حتى وإن تلقينا مئات التحذيرات، يتراكم الخوف بالنفوس نتيجة تلك التحذيرات ثم ينفجر عندما نعيش العواقب الوخيمة بأنفسنا. هنا نهاب الشيء؛ متجنبين تجرع كؤوس الندم مرة أخرى.

بعد ذلك، عزم أدلر أن يضاعف حصيلته من الصيد حتى يكافئ زوجته على روعة ما قدمته اليوم ويحفزها للاستمرار.

وتتجلى هنا مره أخرى قاعدة من قواعد أغلب البشر، وهي العلاقة الطردية بين مقدار العطاء ومقدار الجني، لذلك حينما تجد من يعطي ببذخ غير آبه للنتائج ينتابك شعور غريب!

ثم تُمجد ذلك الشخص وتمدح اختلافه، أو ترتكب جريمة نكراء عندما تختال وتصفه بالحماقة ظنًا منك أنك أكثر رجال الأرض حيطة ووعي، وفي الواقع من يمنع هطول الخير من السماء على هيئة أشخاص معطاءين هو أكبر الحمقى.

بالفعل حقق أدلر مراده واصطاد الكثير من الأسماك وعاد إلى الشاطئ في غاية النشوة والسعادة، أرسى أدلر قاربه ثم توجه إلى كوخه وقلبه ينبض فرحًا للمرة الأولى بعد شهور عِجاف، ولكن هذا لم يدم سوى لبضع دقائق، لقد رأى أدلر أحد أفراد الحرس الملكي يقف أمام كوخه منتظرًا عودته!

قطع أدلر الخطوات المتبقية مهرولاً إلى ذلك الحارس، ثم انحنى قليلاً لتحيته، وسأله بحروف متقطعة عن سبب مجيئه إلى كوخه، لم ينبس الحارس ببنت شفه ثم أخذ أدلر من ذراعه برفق إلى داخل الكوخ وأعطاه ورقة عريضة، وطلب منه أن يقرأها بتأني.

شرع أدلر في قراءة الورقة وملامحه تتغير شيئًا فشيئًا، ثم تفتحت عيناه فجأة؛ حتى تظن أن حاجبيه قد لامسا خصلات شعره، وقفز من مجلسه وهو يصيح صيحة فزع!

أخيرًا انفك صمت الحارس **قائلاً:** اهدأ يا أدلر. أنا **لا** أعرف ماذا تقرأ لكن عليك أن تهدأ.

انفجر **أدلر:** يا هذا أتريد إقناعي انك أوصلت الرسالة دون أن تتفحصها؟ أنا لست بهذه الدرجة من السذاجة لكي..

قاطعه الحارس **بحده:** أدلر، راقب ما تقول ولا تنس لمن تتحدث!

ثم همّ الحارس ليغادر الكوخ قبل أن يكظم أدلر غيظه مضطرًا ويقدم له الاعتذار والأسف ويسرد له مبررات انفعاله، فهو من أفراد الحرس الملكي، ولا طاقة لأدلر أو لأي فرد من سكان بوتانا لمعاداة جرو الملك حتى.

وقف الحارس بملامح جامدة حتى انتهى أدلر من نطق كل مفردات الأسف والتذلل ثم غادر الكوخ صامتًا.

ارتطم أدلر بالأرض بعد مغادرة الحارس فقبل أن يتخذ أدلر قراره بالجلوس خانته قواه وسقطت على الأرض ودموعه تحفر مجاريها على خديه من قوتها وكثرتها!

لم يفقد أدلر وعيه لكنه تمنى ذلك كي ينأى بنفسه بعيدًا عن واقعه المؤلم، بعد عدة محاولات فاشلة اعتدل أدلر أخيرا في جلسته ثم اخذ ينظر الورقة مره أخرى آملاً أن تكون كلمات الورقة هي كابوس ككوابيسه اليومية عن مقتل أبيه.

شرع أدلر في القراءة مرة أخرى.

«أدلر. لا أدري كيف أقص عليك ما حدث وما سيحدث. هل ينبغي علي أن استخدم كلمات الأسف؟ أم ينبغي أن أوجه سهام اللوم والعتاب؟

لا أدري، لكن على أية حال الآن سأتخلص من عبء كبير يكاد يحطمني ثقله، هذه الكلمات أدلر هي آخر ما ستقرأه من زوجتك، واليوم كان اليوم الأخير في روايتنا سويًا، لقد سئمت الفقر وكرهت الحاجة والمشقة، أنا لا أقوى أيضًا على العيش مع رجل مشوش العقل، يكاد يصيبه الجنون يوميًا بسبب ذكرياته السخيفة أبغض تلك الأحداث اللعينة التي تتكرر يوميا منذ أن تزوجت أدلر. أكره تلك القصة القصيرة المملة المعادة، واليوم كانت الإعادة الأخيرة أدلر.

لن أبقى في جزيرة كواسكا الغربية، ولكني سأهاجر إلى مكان آخر حتى لا تحاول البحث عني، حتى إن وجدتني أنا حتمًا لن أعود لحياة الفقر المدقع خاصتك مرة أخرى، لن أتنازل عن النعيم الذي ينتظرني في احد أكبر بيوت الثراء والترف، لقد أمضيت سنتين انتظر ذلك اليوم، وها قد حانت اللحظة كي أخلع رداءك الرديء، واكتسي رداء النعيم أنا وأولادي»

هيلدا

قضى أدلر الليل كله يقرأ تلك الكلمات، لا يشعر بما يدور حوله!

يأنس انهمار دموعه ولا يشعر بغرابة ملمسها على خديه ولا بملوحة مذاقها عندما تعبر شفتيه المتباعدتين من شدة هوله وصدمته، يطرح على نفسه كل الأسئلة التي يمكن أن تطرح في تلك اللحظة ولا يجد أي جواب شافي لأي سؤال!

ماذا تعني هيلدا ببيت من بيوت الثراء؟ وماذا تعني بأنها تنتظر تلك اللحظة منذ سنتين؟ تطعن هيلدا شرفي منذ ثلاث سنوات، وأنا كالبعير لا أشعر؟

مهلاً مهلاً! سنتان؟ هذا عمر أولادي!

لا! هذا عمر أولاد هيلدا إذن كما ذكرت! هل هم أولادي؟

أم إنهم كانوا بداية عهد جديد لهيلدا مع أحد الرجال؟

رباااه ماذا يحدث؟ بل ماذا حدث في كل تلك المدة وأنا غارق في كوابيسي وذكرياتي؟!

كيف لم أفكر في مثل ذلك الأمر؟

كيف لم ألاحظ أن هيلدا لا تذهب سوى للرحلات الغربية في كل مرة عدا مرة أو مرتين للجنوب كي لا تلفت النظر؟

أو أن الجنوب مسقط رأس ذلك الرجل؟

أم إنها تواعد في كل جزيرة رجل؟ فالخائنة مره تخن ألف مره!

كيف لم أدرك ما يحدث حولي؟

كل تلك التساؤلات المطروحة تتكرر على مدار ليلة أدلر القاتمة، أو دعنا نقول الأشد حلكة، فكل لياليه قاتمة منذ أن صرخ صرخته الأولى على تلك الجزيرة.

يعود أدلر بعد فترة التساؤلات إلى قراءة الورقة مرة أخرى، ثم يسأل نفسه

هيلدا تكره حياتي المعتادة؟

أهذا جزائي بعد أن تركت قضيتي الأولى في الحياة منذ صغري وهي مقتل أبي حتى أرعاها وأرعى أطفالها؟

ماذا علي أن أفعل؟

هل أبحث عنها وأقتص لنفسي منها بحصد روحها وروح بعلها الجديد؟

أم اكتفي بأخذ أولادي إن كانوا أولادي؟
كيف سأعرف أنهم أولادي؟
هل سأصدق هيلدا إذا اعترفت لي بكل كبائرها وصغائرها؟
من سيحكم في ذلك؟
لا لا هم أولاد ذلك النجس الذي تواعده في السر.
لا ينبغي علي أن أبحث عنهم ولا عنها.
ذلك هو جوابي النهائي.
أم انه جوابي الأسهل الآن؟
قد يكونوا أولادي حقًا وأنا أهرب؟

وهكذا، أدلر يخرج من نوبة القراءة ليدخل معركة الأسئلة اللانهائية. ظل يهذي كالمخمور بتلك الطريقة حتى غاب وعيه وسبح في سبات عميق.

أدلر ضحية ما فعلته زوجته لم يواجه نفسه بأنه سبب من أسباب تلك النكبة، فبعد كل الكوارث التي مر بها في حياته لم يتعلم أدلر الحيطة والحذر، لم يفكر في أسباب تغير زوجته وإن حدثت صدفة ودارت تروس عقله في ذلك الاتجاه، يقوم بتكذيب كل الاحتمالات القائمة؛ لأنه يخشى مجابهتها، لم يكن أدلر السبب في أن تكون زوجته امرأة خائنة، لكنه كان سبب في تعقيد مصيبته وتأخر اكتشافها.

لا يعترف أحدنا بتقصيره. الجميع يرى نفسه أشد المظلومين في الأرض حتى أصبحنا لا ندري من الظالم إذن؟!

لنكرر هذا هو الإنسان وتلك هي قواعده المعقدة.

وكما ظلم أدلر نفسه فإن هيلدا المرأة الخائنة ألقت باللوم على زوجها المسكين حتى لا تعترف لنفسها بأنها ارتكبت كبيرة من الكبائر.

ولا أقصد هنا كبائر الدين هذا أو ذاك، بل الكبائر التي ترفضها فطرة الإنسان من الأساس، تلك المضغة الموجودة في أحشائنا أسكنها الله الفطرة التي تُسيرنا للصواب حتى وان كنا في بلاد لا تصل إليها دعاوى الأديان، حتى وإن كنا أطفالاً لم نبلغ سن الرشد، نشعر أن هذا صواب وأن هذا خزي وعار، بل إن الحيوانات الأليفة تأنس ما يسعد مالكها وتكرره، وتبتعد عما يثير غضبه! الحيوانات تحفظ نقائها، ونحن ـ بني البشر ـ ندنس قلوبنا بما يناقض فطرتنا.

بعد عدة ساعات استيقظ أدلر من نومه بطريقة جديدة نوعًا ما، الليلة لا كابوس جديد من كوابيس والده، وكيف له أن يرى كابوس في منامه وهو يعيش أعتي الكوابيس في يقظته.

فور أن فتح أدلر عينيه التقط الورقة كي يتأكد أن ليلته الماضية لم تكن زيارة لأرض الأحلام.

بعد أن تأكد البحار اليائس من أن هروب هيلدا هو واقع مهلك، عزم أن يتخذ خطوته الأولى في محاولته البائسة لمواجهة

ذلك الواقع، وخرج يقصد فرد الحرس الملكي الذي جاء إليه بالرسالة ليلة أمس.

وصل أدلر إلى ثكنات الحرس الملكي ليسأل على استحياء عن فرد الحرس الملكي رقم ٣٥ أفراد الحرس الملكي في بوتانا لا تعرف أسمائهم، فقط لهم أرقام يُنادون بها كالعبيد، ولكن الحرس الملكي هو نوع من العبيد أعلى في مرتبته من مرتبة السكان، على الأقل ينسب إليهم اسم الملك.

بعد نصف ساعة من الانتظار حان موعد راحة فرد الحرس وتمكن أدلر من مقابلته، سأل فرد الحرس أدلر بصوت **أجش:** طلبت مقابلتي أدلر.. ماذا تريد؟

أدلر: استسمحك أن تجلس لخمسة دقائق فقط وتجيب على أسئلتي.

فرد **الحرس:** لن أهدر وقت راحتي في إجابة أسئلتك يا هذا. أخبرني ماذا تريد لم يعد لديك الكثير من الوقت.

أدلر: من أعطاك الورقة التي سلمتني إياها البارحة؟

الحرس: زوجتك هيلدا بعد وصول الرحلة إلى شاطئ جزيرة كواسكا بدقائق معدودة.

أدلر: هيلدا لا تجيد القراءة والكتابة! كيف ذلك؟

الحرس: لا أدري لكن أثناء الرحلة ألقت هيلدا بكل ما تملكه من أسماك في الماء وأثار ذلك دهشة الجميع، وفي الواقع

أثار فضولي جدا، لكن لم أتمكن من سؤالها، أنت تعلم لا نتحدث سوى بالأوامر، لكني تابعت تحركاتها، بدت هيلدا سعيدة جدًا طوال الرحلة وتكرر احتضانها لأبنائها عشرات المرات دون سبب وجيه نراه بأعيننا، وفور وصول الرحلة شاهدتها تركض ناحية أحد الرجال على الشاطئ يبدو من هيئته انه تاجر ثري أو أحد المسئولين في كواسكا، تعانقا بحرارة وقضت معه بضع دقائق ثم عادت إلى السفينة، وأعطتني تلك الورقة وطلبت مني أن أحملها إليك، ثم حملت أبنائها من السفينة، وذهبت إلى ذلك الرجل مرة أخرى ليحمل الأطفال ويقبلهما ثم يقبل هيلدا.

تمنى أدلر أن تنشق الأرض حالاً وتبتلعه، بالتأكيد هذا الحارس قصّ كل ذلك على كل أفراد الحرس الملكي وأضاف بعض التفاصيل الأخرى من خياله.

قطع صمت أدلر صياح **الحارس:** لقد أطلت في إجابة سؤالك الأحمق، وأضعت الكثير من فترة راحتي..

قاطعه أدلر **قائلا:** عذرًا لدي سؤال أخير، وسأرحل

لم يعط الحارس الفرصة لأدلر ليسأل سؤاله ثم قال **بعنف:** يكفيك ذلك أدلر. عما ستسأل؟ عن نوع القبلة؟ كانت حارة جدًا لقد أثارتني زوجتك يا رجل وأخذ يقهقه بصوت مرتفع

اشتعل غيظ أدلر وهم أن يلتقط حجر ليسدده في رأس ذلك الحارس القذر ولكن في لحظه كان الحارس قد أمسك وجه أدلر بقبضه محكمه وصاح **بعنف:** ماذا تحاول أن تفعل أيها المخبول؟

هل فقدت عقلك؟

أدلر بحروف متلعثمة من شدة قبضة **الحارس:** لم أفقد عقلي يا قذر، ولكني سوف..

قبل أن يكمل أدلر جملته طعنه الحارس بخنجره في كتفه الأيسر وألقاه أرضا وقال له في **برود:** تلك المرة سأتركك على قيد الحياة فأنا أعلم قدر حنق الرجل عندما تسلب رجولته على يد امرأة خائنه، لكن إن حاولت محادثتي حتى مره أخرى، سأطيح برأسك من فوق كتفيك أيها المرتعش.

ثم رحل الحارس عن المكان تاركًا أدلر مدرجًا في دمائه ودموعه في آن واحد، يقاسي مشاعر الخيانة والعجز والضيم.

أنثى جميلة القوام ناصعة البيض تقف تاركة للهواء فرصة مداعبة شعرها الأصفر الناعم قبل أن تترك لأحد الرجال فرصة مداعبة خصرها وضمها إلى صدره تمهيدًا لقبله حارة، ولكن قطع صراخ أدلر ذلك المشهد

لقد كان كابوس! لقد كانت تلك المرأة هيلدا!

ضرب أدلر الحائط بيده من شدة ضيقه فشعر بألم في كتفه الأيسر ذكره بالطعنة التي تلقاها من الحارس الملعون، ثم تفقد الأشياء من حوله، هو داخل كوخه!

من حمله من أمام ثكنات الحرس، ومن ضمد له الطعنة؟

لا يعلم! لا بد أنهم أفراد الحرس من قاموا بذلك وإن لم يكونوا فهذا ليس بالأمر المهم، ما يهم أنه بكوخه الآن والجرح مستقر نوعًا ما.

بدل أدلر ثيابه الملوثة بالدماء ثم خرج من الكوخ ليتجول عند الشاطئ قبل أن يقتل نفسه لشدة إحساسه بالعجز، هواء شديد خارج الكوخ تزداد شدته بالاتجاه نحو الشاطئ، لكن إن خفض ذلك الهواء حرارة جسد أدلر فانه لن يخمد لهيب فؤاده.

أستأنف أدلر تفكيره فيما حدث وما يحدث وما يجب أن يحدث دون أن يحصل على سبب واضح يبرر تحول حياته إلى جحيم، ودون أن يستقر على تصرف وجيه يجب القيام به.

«**ماذا ستفعل أدلر؟ هل ستترك هيلدا تفر بفعلتها؟ هل ستترك أولادك في رعاية رجل آخر؟ أو هل ستحاول استكشاف إن كانوا أولادك أم أولاده؟**

وان كانوا أولادك هل سيطمئن قلبك وتنام هادئ البال دون أن تعطيهم قبلتهم اليومية؟ هل ستستطيع الصيد دون أن توصلهم لكاتب الجزيرة ليعلمهم القراءة والكتابة؟ هل ستملك الشغف للصيد أصلاً دون أن يكون الدافع هو إطعامهم؟

ثم أنهم في بيت رجل نجس وامرأة عفنة. من تخن زوجها من أجل المال والنعيم يمكنها أن تبيع أعضائها حتى لا تغضب رب المال النجس! وهذا الدنيء هل تظنه يعامل أولادك بالحسنى، أو يعرف معنى الشهامة أو الرحمة؟ هيهات!

لا لا لن أترك أولادي، ولن أترك هذه الأرواح الشيطانية قبل أن اجتث جذورهم وأطهر العالم من وجودهم، لن أترك هيلدا التي طعنت شرفي وهدمت هيبتي واحترامي؛ هي ومن شاركها في ذلك.

لكن! أنت دائما تترك أدلر!

تركت جلسات أصدقائك اليومية لأنهم دومًا ما يذكرونك بضعفك وعجزك حتى تكاد أن تنسى ملامحهم ونبرات أصواتهم!

تركت لغز مقتل أبيك وثأره؛ خشية أن لا يجد أطفالك وزوجتك من يطعمهم!

ماذا حصدت؟

ذهبت زوجتك وأطفالك لمن يستطيع أن يحضر إليهم كل خيرات البحر وليس بعض الأسماك!

زهدت عن الدنيا بأكلمها من أجل زوجتك وطفليها حتى أفلتت هي قبضتك وتركتك تهوي على وجهك!

أنت دائمًا سلبي، دائمًا سلبي أدلر!»

قضى أدلر الشطر الأكبر من الليل يحدث نفسه هكذا أمام الشاطئ لا يدري إن كان مظلومًا أم كان ظالمًا ولم يظلم إلا نفسه!

لكن الأمر المُسلم به هو أن الإنسان قطعًا من يختار مصيره، وعلى قدر الشجاعة تختلف المصائر! إن قررت أن تعيش جبانًا

فعليك أن ترضى بكل ما يحدث لك من مصائب دون محاولة تغيير ذلك المصير دون حتى أن تفكر في أسبابه أو وسائل اجتنابه.

أما إن كنت شجاعًا فلا خوف عليك! إن كانت حياتك كما تهوى وتحب فأنت أكثر الناس سعادة! وإن لم تكن فعلى الأقل أنت تواجه مصيرك الذي صنعته بيدك واخترته بنفسك

تجابه كوارث كانت بمحض إرادتك! لست جبانًا!

كالأسد يقرر بنفسه أن ينقض على فريسته وهو يعلم جيدًا خطر ذلك الصائد الذي يترقب حركته، إن نجح في اغتيال فريسته وعاد سالمًا، فقد فاز!

وإن أصابته رصاصة الصائد فلقد لقى حتفه باختياره ودفع حياته ثمنا لمحاولة قررها بنفسه ولم تفرض عليه! وفي الحالتين فاز بالكنز الأثمن دومًا وهو القناعة.

على عكس الفريسة تقف منتظرة فعل الأسد لتكون رد الفعل، إن استطاعت الهرب منه فذلك قرار الأسد الذي اكتفى بالمطاردة تلك المرة، وإن لم تستطع فهو أيضًا قرار الأسد الذي أصر على التهامها!

إن الله قد خلق كل منا لسبب؛ لذا فتأكد انك لم تخلق لتكن نسخة مكررة من غيرك! تتعلم تبحث عن رزقك تربي أولادك ولا يعلم أحد عنك شيئًا سوى أمك، زوجتك وأولادك! ثم تموت وتدفن ليكرر أبناؤك نفس السيناريو الروتيني الممل!

يكتظ عالمنا بمثل هؤلاء الأشخاص، فإن كان سبب وجودك هو أن تكون مثلهم فإن الله لم يكن ليوجدك من الأساس.

بعد ساعات من التفكير أعطى أدلر وجهه للبحر وهو يقف بثبات. عيناه تلمع وهو ينظر للبحر وكأنه يريد أن يعرف مداه

أو أنه يحاول أن يلمح الجزر السبع ومن يقطنها، ومن كان السبب في موت أبيه.

نزع أدلر الضمادة التي وضعت لتداوي جرح كتفه وألقاها على الشاطئ، ثم نظر إلى الجرح الغائر وكأنه يسخر منه

فعلى أي حال لن يكون أعمق من جروح فؤاده.

استدار أدلر ليعطي ظهره للبحر، وشرع في العودة إلى كوخه، بدا أدلر وكأنه قد أخذ قراره واستقر على ما سيفعله.

مرت الأيام، أدلر لا يتحدث إلى أحد مكتفيًا بحديثه لنفسه وللبحر. يستيقظ صباحًا ليخرج إلى الصيد، ثم يعود ويظل جالس على الشاطئ يناجي البحر بقلبه لا بكلماته حتى يرجع لكوخه لينام وهكذا دواليك. دواليك.

حركة غريبة ببوتانا اليوم! هرج ومرج وازدحام والكثير من الأصوات المتعالية! حركه بين الناس يبدو فيها الاستعجال والتوتر. نعم اليوم هو ميعاد الرحلة التجارية إلى الجزيرة الغربية كواسكا وقد بدأ الناس في حزم أمتعتهم وإعداد بضائعهم لخوض الرحلة وتسويق تلك البضائع لسكان كواسكا الأغنياء نسبيًا.

على رأس الناس وأول الحاضرين هو البحار أدلر يحمل أسماكه ويفتتح صعود الناس إلى السفينة المتجهة إلى كواسكا. بات قرار أدلر واضحًا الآن.

امتلأت السفينة عن أخرها، وبدأ الحرس الملكي في تنظيم جلوس الناس، استغرق الأمر بعض الوقت، لكنه انتهى والسفينة ستبدأ إبحارها الآن.

يجلس جميع الناس بالسفينة ليتناولوا إفطارهم محاولين الاستعداد لذلك اليوم الشاق سوى أدلر الذي ظل واقفًا ينظر في اتجاه سير السفينة كأنه يتلهف الوصول إلى كواسكا. لفت ذلك أنظار الحرس الملكي ولكنهم لم يعيروا الأمر انتباه سوى لبضع ثواني لكن الحارس رقم ٣٥، بدا وكأنه مرتبك بعض الشيء، وانتبه أدلر لذلك الارتباك الذي أثار ريبته!

هل الحارس مرتبك بالفعل؟ أيعلم أي شيء قد يفيدني ويحاول إخفاءه؟ على أي حال لا يمكنني سؤاله أو اعتراض طريقه حتى لا تمزق طعنته القادمة أحشائي.

بعد بضع ساعات وصلت السفينة أخيرًا إلى جزيرة كواسكا، تلك الجزيرة تفوق بوتانا في المساحة، تنقسم جغرافيا إلى **قسمين:** القسم الأول يحتوي على مساكن الناس البسطاء التي تبنى جميعها بالخشب والقش ولها نفس المساحة بتعليمات من سلطة كواسكا ويتخلل المساكن سوق الجزيرة الرئيسي، أما القسم الثاني فهو مخصص للسلطة الحاكمة وبعض الأثرياء، وهو يمثل ثلاثة أرباع

مساحة كواسكا تقريبًا، وبه الكثير من الأشجار التي تشبه الغابات والمدافن والأراضي شبه الصحراوية الخاوية من الناس ولا تحتوي سوى الحيوانات والكهوف، بعض تلك الكهوف مملوكا لأثرياء ومجهزًا للعيش به في منأى عن ضوضاء البشر، وبعضها مهجور..

تأهب الناس للنزول ببضائعهم وبالتأكيد أدلر هو أول المصطفين يحمل أسماكه ويقف منتظرًا أذن النزول.

ألقى أفراد الحرس التعليمات معلنين أن ميعاد عودة الرحلة هو الثامنة مساءً وعلى البائعين أن يجتمعوا أمام السفينة قبل الميعاد بنصف ساعة على الأقل.

يسير الناس في صفين إلى السوق حاملين بضائعهم كي يبدءوا ما جاءوا من أجله وأدلر يسير معهم بأسماكه بين صفين آخرين من أفراد الحرس الملكي، كان أدلر يتفقد كل من يراه في طريقه إلى السوق وكأنه يبحث عن شئ مفقود في وجوههم.

وصل الناس إلى السوق واخذوا أماكنهم ورتبوا بضائعهم وشرعوا في الإعلان عنها لاستقطاب سكان كواسكا حتى تبدأ حركة البيع. وانصرف أفراد الحرس ليعود بعضهم إلى السفينة والبعض الآخر يمكث في ثكنة بجوار السوق لفض المنازعات بين التجار إن وجدت، فكثيرًا ما يفتعل تجار بوتانا المشاكل مع بعضهم البعض محاولين خطف الزبائن من بعضهم طمعًا في قرش آخر، فلا مكان للقناعة والرضا داخل تلك النفوس.

كان الحارس رقم ٣٥ من أفراد الحرس المكلفين بحراسة السفينة التي تحتوي على طعام التجار ومتعلقاتهم لحين عودة الرحلة، لكنه اتجه إلى السوق وحده بعد ساعة من بدأ البيع ليتفقد ما يجري هناك أو بالأحرى ليقطع شكوكه حول سبب مجيء أدلر إلى كواسكا بيقين وجوده بالسوق.

بالفعل تحطمت كل شكوك الحارس عندما وصل إلى السوق ويجد أدلر متخذا مكانه وسط التجار ويحاول الترويج لسلعته بكل همة ونشاط. هدأ اضطراب الحارس والتقط أنفاسه، ثم انصرف عن السوق مرتاح البال.

بعد مضي أربع ساعات حان وقت الاستراحة التي يأخذها التجار في منتصف اليوم، وبدأ التاجر الموكل بحمل الطعام يتجول بين التجار ليعطي كل واحد منهم نصيبه من الغذاء. حان دور أدلر ليأخذ وجبته المتواضعة لكن أين هو؟ سأل حامل الطعام التجار المجاورين لأدلر عن مكان وجوده وأخبروه بأنه كان بجانبهم قبل أن يختفي فجأة دون أن يخبر أحدًا منهم أي شئ! تعجب حامل الطعام من تلك الإجابة لكنه **قال:** سيعود ذلك المخبول فورًا فلا طاقة له بإكمال اليوم دون أن يتناول طعامه.

لكن في الحقيقة كانت طاقة أدلر قد تم شحنها بالكامل بدوافع إيجاد هيلدا وزوجها وحصد أرواحهم، كان الحارس رقم ٣٥ يظن أنه يراقب أدلر ولكن العكس هو ما كان يحدث!

انتبه أدلر لوجود الحارس بالسوق، فبسرعة تبدلت حالة الفتور التي تكسوه إلى همة ونشاط أراحا قلب الحارس وبددا شكوكه فاتخذ قراره بالانصراف لأنه لا داعي لمراقبة أدلر الذي أتى إلى هنا ليجني المال بكل تأكيد.

بعد أن انصرف الحارس تحرك أدلر من خلفه ليتتبعه من على مسافة يكفي قربها أدلر ليرى الحارس، ويكفي بعدها الحارس ليشعر أنه يسير وحده ولا يوجد أي مخلوق في الطريق، سار أدلر وراء الحارس وهو يفكر كيف سيجتاز نقطة تجمع أفراد الحرس ويحاول إيجاد حيلة، ولكن سهّل عليه الحارس ذلك الأمر بعد أن سلك طريقًا غريبًا لم يكن أحد يسلكه، أو يدري عنه شيئًا للخروج من السوق.

قطع الحارس وأدلر من خلفه مسافة كبيرة عبر الكثير من الطرق الملتوية التي تأكد أدلر أنه سوف يضل طريق عودته منها إن عاد وحده.

أخيرًا تثاقلت خطوات الحارس، وظهر لأدلر أنه يتحرك هذه المرة في اتجاه مُحدد قاصدًا هدف واضح، وهو كهف حجري ضخم تحيط به الكثير من القناديل المنيرة، ويصطف مجموعة من الخيول المختلفة الألوان. وصل الحارس إلى الكهف ودخله، وأدلر يراقبه بدقة، مكث الحارس بعض الوقت بالكهف وأدلر يتعجب من أن كهف كهذا حوله الكثير من النور يقع في تلك المنطقة البعيدة! لكنه برر ذلك بأن جزيرة كواسكا تبلغ مساحتها

ثلاثة أضعاف بوتانا تقريبًا فمن الطبيعي أن تجد بعض المناطق المهجورة على عكس بوتانا، ويبدو أن ذلك الكهف هو كهف أحد الأغنياء الذي نأى بنفسه بعيدًا عن عامة السكان ليحظى بالراحة والهدوء، ولكن ما سبب مجيء الحارس لهذا الكهف بمفرده؟

قد يكون أتى حاملاً رسالة ملكية إلى أحد الأغنياء في كواسكا، ولكن هل سيصطفي جلالة الملك هذا الجربوع ليبعث معه رسالته؟ لمَ لم يرسلها مع أحد القادة بالحرس أو قوات الشرطة؟

قد تكون رسالة مزعجة يروح ضحيتها حاملها لذا بعثها الملك مع ذلك الحارس؟

لالا أظن أن ذلك الحارس هو جاسوس أتى إلى هنا ليسرب بعض أخبار الملك وحرسه إلى ساكن هذا الكهف.

فالعالم كله يتجسس على بعضه، فمثلاً تكون أنت جاسوسًا على أخيك وأخيك جاسوسًا على صاحبه وصاحبه جاسوسًا عليك ووالدك جاسوسًا على ثلاثتكم، عندما تنظر إلى عالمنا الواسع سترى ذلك المثال يتحقق على دول العالم التي تتجسس على بعضها البعض حتى وإن كانوا مشتركين في العرق والأصل والديانة ويمكرون لبعضهم ويتسابقون في إهلاك بعضهم، ولكن في الحقيقة هم لا يهلكون سوى أنفسهم، فهناك قوى عظمى – كأبيك – تتجسس عليهم جميعًا وتُسيرهم كالدمى!

قضى أدلر الكثير من الوقت ليفكر في أسباب وجود الحارس بهذا الكهف قبل أن يتفتق بذهنه سبب وتّره قليلا!

قد يكون ذلك الكهف لهيلدا وبعلها! كيف لم أفكر في ذلك الأمر؟

لا لا انه ليس احتمال!

هيلدا وزوجها بداخل هذا الكهف! أولادي بالداخل الآن! يجب أن انقض عليهم الآن!

لكن هما رجلان ولا أدري إن كان هناك المزيد بالداخل فالخيل أمام الكهف كثيرة وأنا وحدي!

ماذا سأفعل؟

استقر أدلر بعد ذلك على أن يهبط من خلف الصخرة التي يتوارى خلفها عن أعين الحارس ويذهب بحذر ليستكشف ما يدور داخل هذا الكهف ولمن يؤول قبل أن يخرج منه الحارس، فمن المحتمل أن يكون هذا الكهف لزوج هيلدا فان كان كذلك فأنا قد وصلت إليهم ويمكنني العودة للفتك بهم في وقت لاحق، أتمكن فيه من القضاء عليهم.

أقنع أدلر نفسه بفكرته ودوافعه وتأهب تشعله الحماسة لاستكشاف ما يجري وقفز من فوق الصخرة ليتجه بعزم نحو الكهف، ولكن ظهر الحارس يودع شخصًا ما بداخل الكهف وهو يخرج منه!

عاد أدلر بخفة وحذر ليتوارى خلف صخرة جديدة حتى لا يراه الحارس وهو يلعن نفسه؛ لأنه تأخر عن اتخاذ قراره.

ازدادت ضربات قلب أدلر وهو يراقب الحارس بعد أن ودّع صاحب الكهف حيث أنه رآه يتجه صوب الخيول المصطفة أمام الكهف، فإن امتطى الحارس أحد الخيول سيكون من المستحيل على أدلر أن يلحق به، وصل الحارس إلى خيل أبيض يتقدم صف الخيول وأخذ يمسح على رأسه وظهره كأنه يحدثه. أدلر يرى ما يحدث دون أن يفهم ما هي خطوة الحارس القادمة! يترقب بخوف بالغ.

فجأة، أحد الأشخاص يخرج من باب الكهف، يرتدي ثياب فخمه وعلى رأسه شئ ما يشبه القبعة ولكنه أكبر حجمًا حتى أنه يغطي أغلب وجهه للدرجة التي تمنع أدلر من أن يرى ملامحه، يبدو من هيئته أنه صاحب ذلك الكهف، ما أن رآه الحارس حتى هرول إليه بابتسامه عريضة وهو ينظر في الأرض وكأنه لا يستطيع النظر في عين هذا الشخص.

لا بد أن صاحب هذا الكهف هو شخص بالغ الأهمية في كواسكا، لا أظن أن رجل بتلك المكانة والهيبة سيكون على قدر من الدناءة يدفعه إلى ارتكاب تلك الجريمة الشنعاء مع هيلدا! بالتأكيد هو ليس زوجها.

تحدث صاحب الكهف إلى الحارس بكلمات قليلات، ثم اتجها سويًا نحو الخيول وبدا وكأنهما يسيران بها نحو باب الكهف!!

شئ عجيب يحدث الآن! لقد اختلط علي كل شئ ولا أستطيع أن أفهم ماذا يحدث!

أدخل الرجل أحد الخيول إلى الكهف، ووقف مشيرًا إلى الحارس بإدخال الباقي على أن يترك حصانًا واحدًا خارج الكهف، بعد أن فرغ الحارس من ذلك قام صاحب الكهف بإخراج شيئًا ما من جعبته وأعطاه للحارس الذي انحنى فورًا وتحركت يداه بعض الحركات التي تشير بالشكر والامتنان.

استدار الحارس وتحرك نحو الحصان واتجه الرجل صوب باب الكهف ووضع يديه فوق ذلك الشيء الذي يشبه القبعة وهم بخلعه، هنا تأهب أدلر وأخذ يحدق ويسلط نظره على الرجل حتى يتعرف على ملامحه، ولكن في اللحظة التي نزع فيها الرجل ما يرتديه على رأسه انطفأت كل القناديل التي تنير الكهف من الخارج وكسا المكان ظلام حالك لا يشوبه سوى النور الطفيف الذي ينبعث من داخل الكهف!

في ثوان معدودة كانت كل الأفكار الكارثية قد دارت بعقل أدلر، سيفقد الحارس في ذلك الظلام، سيضل طريق عودته وحده وإن ضل فقد يلتهمه أحد الحيوانات المفترسة في ذلك المكان العجيب! عند وصول الحارس إلى بوتانا سيعلم أن أدلر لم يعد مع

الرحلة وسيتبدد اطمئنانه وتساوره الشكوك، الأمر الذي سيجعل مهمة أدلر أكثر تعقيدًا!

ارتبك أدلر وتجمد الدم في عروقه وتشتت عقله غير قادر على اتخاذ أي قرار!

في خلال دقائق كان الرعب قد تملك من أدلر الذي أيقن تمامًا انه أمام مصير مجهول الآن!

سأصبح وجبة دسمه لأحد الحيوانات المفترسة! أو فريسة سهلة للحارس الذي لم يتردد قبل ذلك في طعني! أو قد يعثر على صاحب الكهف أو أحد رجاله في ذلك المكان النائي ويقومون بقتلي! بطريقه أو بأخرى سألقى حتفي الليلة.

زاد ارتباك أدلر اختفاء ذلك الضوء المنبعث من داخل الكهف. الآن سواد يكسو الأرض بأكلمها حتى أن الرجل لا يستطيع أن يرى كف يده في تلك الليلة التي غاب فيها القمر.

بعد لحظات من اختفاء ضوء الكهف الداخلي، رأى أدلر الفارس قد أشعل سراجًا صغيرًا محدود الضوء لا ينير سوى وجهه فقط تقريبًا، دبَّ الأمل من جديد بقلب أدلر وعاود الدم السريان في عروقه.

لم تستمر راحة أدلر سوى ثواني معدودة بعد أن ارتفع الحارس من الأرض، وبدا من حركته أنه يمتطي الجواد المتروك خارج الكهف وتأكد أدلر من ذلك بصهيل الجواد الذي زاد الموقف رعبًا وهيبة!

أدرك أدلر انه الآن أمام قرار مصيري! لابد أن يفكر بسرعة تتجاوز سرعة ركض الجواد! راقب أدلر الخطوات الأولى للحارس فوق جواده ولاحظ أنه يسير نحو اليسار! لا طاقة لأدلر الذي أنهكه التعب أن يلاحق الفارس وجواده. اتخذ أدلر قراره الآن بالانقضاض على الحارس، إن نجحت محاولته فلقد تمكن من الحارس وما يحمل من معلومات، إن فشلت فستطير رأسه بسيف الحارس وهذا أهون من أن يظل على قيد حياه يملؤها الندم لعدم المحاولة وضياع الفرصة.

بدأ أدلر يتحرك قليلاً إلى اليسار في حذر، الظلام يكسو المكان وهو لا يرى موضع قدميه، بدأت سرعة الجواد في السير تزداد ومعها تزداد سرعة أدلر، تحول سير كلا الطرفين إلى ركض!

يقترب الحارس من نقطة الانقضاض التي حددها أدلر أكثر في أكثر! يبدو أن الوقت قد أزف وحانت اللحظة المرتقبة.

الآن!!

أنطلق أدلر بكل قوته وخطته هي الانقضاض على الحارس ليطيح به من فوق جواده ويسيطر عليه.

ولكن قبل نقطة الانقضاض بسنتيمترات قليلة ـ وبكل تلك القوة ـ تعثر أدلر بصخرة ما في طريقه الوعر؛ ليرتطم بالأرض ارتطامًا قويًا أثار انتباه الحارس الذي يألف جيدًا هذا المكان ويعلم تمام العلم وجود بعض الكائنات المفترسة فيه.

أوقف الحارس جواده فورًا على بعد متر أو مترين من أدلر الذي كتم أنفاسه وأوجاعه حتى لا يصدر أي صوت!

ظل الحارس واقفا لبضع دقائق ينتظر ذلك الحيوان المفترس أن يظهر حتى يقتله ويعاود سيره في اطمئنان فهو يخشى أن يعاود السير فينقض عليه ذلك الحيوان من ظهره ويودي بحياته.

لا جديد! استطال الحارس فترة وقوفه وقرر أن يتحرك قليلاً ليبحث عن ذلك المفترس في حذر!

أدلر يرى الحارس بفضل إضاءة السراج ولكن الحارس لا يرى أي شئ ويعتمد على سمعه فسكان تلك الجزر قد اعتادوا على تلك الأشياء لقلة الأضواء.

أدلر أمام الحارس إلى جهة اليمين، إن تحرك الحارس إلى اليمين فانه سيراه بكل تأكيد أو يدهسه وفي كل الحالات سيحصد روحه. فرصة أدلر للحياة الآن هي أن يستدير الحارس أو يتجه إلى اليسار، أدلر كان شجاعًا في اتخاذ قراره لذا لن تخذله الظروف، بالفعل تحرك الحارس نحو اليسار قليلاً وما إن تجاوز أدلر حتى نهض أدلر وانقض أدلر بخفة الرياح وقوتها على الحارس من يمينه ليسقطه من على جواده ويسيطر عليه بإحكام.

أصيب الحارس بالهلع واخذ يصرخ ويصيح ويحرك أطرافه محاولاً الهرب لكن أدلر استمر في إحكام قبضته ثم قام بتلثيمه بالعباءة التي يرتديها الحارس أدرك أن المفترس الآن هو إنسي وليس حيوان، لكن من هو؟!

التقط أدلر السراج الذي سقط فوق جسد الحارس قبل أن يسقط على الأرض ولذلك لم يكسر، قربه من وجهه لتتسع حدقة عين الحارس الظاهرة وهو يصيح بكل قوه **ورعب:** أدلر!!!

حتى أن اللثام الذي فرضه عليه أدلر لم يستطع أن يكتم تلك الصيحة.

أرخي أدلر قبضته على فم الحارس ونزع طرف العباءة الذي استخدمه للتلثيم وأشهر سيفه ـ أو بالأحرى سيف الحارس الذي تحصل عليه أدلر بعد أن أسقطه ـ لتزداد مفاصل الحارس ارتعادًا دون أن ينبس ببنت شفه حتى قال أدلر بصوت **غليظ:** أهدأ وألا قتلتك.

حاول الحارس الهدوء بعد أن استنبط من طلب أدلر أن هناك فرصه أخرى للحياة ثم استجمع قواه **ونطق:** أدلر! أدلر يا أخي العزيز اخبرني ما تريد! سأفعل كل ما يحلو لك، لكن اتركني أدلر؛ فلدي زوجة وأولاد.

ضحك أدلر بسخرية ثم **قال:** أخاك العزيز! يا لسخافة القدر يا صاح! الآن أدلر الذي يعاني كتفه من طعنة خنجرك أصبح أخًا عزيزًا!

بحث الحارس عن أي رد يخدم موقفه ولم يجد فجعل البكاء رده قبل أن يستأنف أدلر حديثه **قائلاً:** ثم ماذا تعني بأنك لديك زوجه وأولاد؟ أنت من أفراد الحرس الملكي يا ٣٥ وان

قتلتك الآن فسيتكفل ملكك المبجل بأسرتك ويستقطب زوجتك للعمل بالبلاط الملكي! لا تقلق يا هذا.

الحارس: لا أريد تصبح زوجتي خادمه أدلر حتى وان كانت كذلك للملك، لا أريد أن يعيش أولادي بعار والدهم الذي قتل وهو أحد أفراد الحرس الذين يمتهنون الحماية!

ضحك أدلر ضحكة مُجلجلة وهو **يقول:** الآن أدرك حارسنا المبجل معنى عار الزوجة! الآن أدرك أن الرجل قد يجلب العار لأولاده! الآن تذكر الحارس أن مهنته الحماية لا الطعن!

أم أن المسمى الوظيفي لحارسنا هو حارس ملكي فلا يحمي إلا الملك؟ حتى وان اضطره ذلك لقتل كل الرعية من أجل الملك!

عفوا فهذا ليس موضوعنا يا صاح وإن استطرقت للحديث عن قذارتك، فسنقضي الدهر كله فوق تلك الصخرة.

سكت أدلر لبرهة قبل أن يفاجئ الحارس بلكمه قوية أسالت الدماء من فمه وأنفه وهو **يقول:** أخبرني الآن بكل ما تعلم يا لعين.

الحارس: صدقني أدلر أنا لا أعل..

قبل أن يتم الحارس كذبته بادره أدلر بلكمه أخرى هشمت ملامح وجهه دون أن يتحدث، وبالفعل كانت اللكمة أبلغ حديث.

الحارس: سأقص عليك كل ما أعلمه أدلر لكن بعد أن تقسم بشرفك أنك ستتركني

أدلر: لست في موضع قوة حتى تطلب مني هذا الطلب يا مخبول، تحدث حتى لا أقبض روحك الآن.

ازداد نحيب الحارس وهو لا يدري ماذا يفعل ثم استأنف أدلر حديثه محاولاً طمأنة الحارس لكي يتحصل منه على ما يرد من معلومات **قائلاً:** لك ما طلبت أقسم بشرفي أني لن أطعنك طعنه واحده حتى!

هدأ روع الحارس قليلا ثم بدأ **يتحدث:** بعد أن أعطتني هيلدا الورقة واستدارت بدقائق، ركضت إليها هي وذلك الرجل الذي كان معها قبل أن يرحلا وأخبرتهما أن إيصال الرسائل ليس من اختصاصي فأنا فرد من أفراد الحرس الملكي فسألتني هيلدا بغيظ شديد عن سبب رفضي الآن بعد موافقتي في أول الأمر!

فلم أجيب عليها وانتظرت أن يتدخل ذلك الثري الذي يصحبها وبالفعل هذا ما حدث،

عرض عليا ذلك الرجل أن يعطيني مبلغًا يساوي أضعاف ما استطعت جمعه من المال منذ ولادتي إلى هذه اللحظة.

وبالطبع وافقت في التو واللحظة واتفقنا على أن يعطيني ربع المبلغ مع الرسالة وثلاثة أرباعه في الرحلة القادمة بعد أن أؤكد له إيصال الرسالة، ثم سلك بي طرقا غريبة عدة مرات حتى لا أنساها وأصل إليه بسهوله لأتحصل على مالي، وأزف له الخبر اليقين.

قاطع أدلر **الحارس:** ألم تشبع كذبًا! هل هناك رجل بتلك الحماقة؟ ماذا إن عدت له وأخبرته انك قومت بإيصال الرسالة وأنت في الحقيقة لم تصلها؟ كيف سيتحقق من ذلك!

أجاب الحارس **بثقة:** مثل هؤلاء الأشخاص لديهم أعينهم بكل حدب وصوب في جزيرتهم والجزر المجاورة، إنهم يتحكمون في كل شئ! في التجارة والحروب والعلاقات بين الجزر، يتحكمون في مصيري ومصيرك، ومصير أهل بوتانا قبل أهل كواسكا!

هؤلاء الأثرياء الذين ينعشون خزائن الملوك هم قوة تضاهي قوة الملوك أنفسهم!

بدت على أدلر ملامح الاقتناع من حديث الحارس، الذي استطرد **قائلا:** أسلمت إليك الرسالة وحان اليوم ميعاد الرحلة المتجهة إلى كواسكا فأتيت إلى هنا وأنا أتمنى ألا أجدك على متن السفينة ولكن حدث ما أخشاه ثم..

قاطعه **أدلر:** أعلم كل شئ ستكمله، لكن الآن أخبرني، هذا الكهف الضخم هو لذلك الرجل وأنت الآن كنت تتحصل على نقودك صحيح؟

ظل الحارس صامتا وكأنه يفكر في الإجابة فقال **أدلر:** يا جشع لن أجردك من مالك، مهدد بفقد حياتك وتفكر في المال! يا لكم من عبيد، أنطق هيا

فرد الحارس **بسرعة:** صحيح يا أدلر صحيح

أدلر وقد لمعت **عيناه:** إذن انهض ودلني كيف أدخل إلى ذلك الكهف دون أن يشعر بي أحدا فلابد أن هناك الكثير من الرجال بالداخل، لابد أنهم يتناوبون على ممارسة الجنس مع هيلدا الملعونة، انهض هيا واخبرني في الطريق ما سر إدخال الخيول إلى الداخل. هل لم تكتفي هيلدا بالرجال فدعت الخيول لممارسة الجنس معها أيضا؟ انهض يا مخمور انهض

أجاب الحارس أدلر بالرفض واخبره انه لن يستطيع النهوض معه فبسرعة التقط أدلر خنجر الحارس وطعنه في كتفه الأيسر طعنه تماثل ما تلقاها منه قبل ذلك.

قال الحارس وهو يتألم ويحاول كتم الدم السائل من كتفه **بيده:** ألم تقسم لي بشرفك أنك لن تطعنني

رد **أدلر:** لقد أودت هيلدا بذلك الشرف الذي أقسمت به يا هذا مثلما سأودي بحياتك إن لم تنهض معي الآن

رد **الحارس:** لا جدوى من نهوضي أو ذهابك للكهف أدلر، لقد رحلت هيلدا وزوجها عن هذا الكهف ومعهم أولادك

أدلر: كفاك كذبا أنا أراقب كل شئ منذ دخولك ولم يرحل أحد، انهض وألا قتلتك.

الحارس: لقد رحلوا من الأبواب الخلفية للكهف في الاتجاه المعاكس ولن لن تصيبه عيناك من هنا لضخامة حجم الكهف الذي يخفي ما خلفه، ولذلك كنت أدخل لهم الخيول.

سأله أدلر **بلهفة:** إلى أين رحلوا؟ أي الطرق سلكوا وأي الأماكن يقصدون؟

تردد الحارس في الإجابة فأشهر أدلر سيفه مره أخرى بيده اليمنى وأخذ يلكم الحارس في صدره بيده اليسرى وهو **يقول:** انطق. انطق وألا قتلتك.

فرد الحارس **بخوف:** إلى الجزر السبع أدلر، ولا تسألني عن طريقها، فلا أحد يعلمه، ولك في أبيك عبرة.

انفجر بركان حنق أدلر ورفع سيفه وهو **يصيح:** أتسخر مني أيها الوغد؟ سأرسلك إلي الجحيم حالاً.

ثم أبرح أدلر الحارس طعنًا في كل أنحاء جسده بسيفه المسلول حتى مات الحارس رقم ٣٥ بواقع ٣٥ طعنه متفرقة في أنحاء جسده الذي تهتك كما تهتك شرف أدلر بمباركته وعونه.

في البداية أصدر أدلر حكمه المبدئي على صاحب الكهف أنه ليس زوج هيلدا، مبررًا ذلك بأنه حسن الثياب معتدل المشية متعدد الأملاك وواسع العطاء!

هذا البحار أدلر دائما ما يصور لنا غرائز الإنسان ومعتقداته في أمثلة واضحة، فالنفس البشرية تميل دومًا إلى إصدار الأحكام ولا تأبه إن كان الحكم باطلاً أم صحيحًا، ظالمًا أم منصفًا، له أسباب قوية أم هوائيًا ولم تأبه حتى إن كان لها الحق في إصدار الأحكام من الأساس أم لا!

كل ما تفعله هو الحكم، الحكم على كل شئ دون تعديد الأسباب.

تعلمنا أن القاضي الذي يصدر حكمه على متهم ما، يسرد حيثيات الحكم قبل أن يخبرنا به، وإن قصَّر القاضي في أداء ذلك الواجب فستصيبه منا العبارات الغاضبة والانتقادات اللاذعة. أما نحن!

فقد أعطينا لأنفسنا تصريحًا صريحًا بالحكم على الأشياء من قشورها وعلى حسب رغباتنا وأهوائنا!

تحلو لنا الأفعال التي نزعج العالم أجمع بالحديث عن مرارتها!

تهدأ تلك الجعجعة ـ التي تتصدع لها الأرض ـ فقط لأن من ارتكب الفعلة تلك المرة هو شخص يوصلك به رباط القرابة والدم أو المنفعة والمصالح!

فعندما نخلط هاتين الصفتين نجد أن النفس الأنانية تصدر الأحكام على الأشياء من ظواهرها!

دائرة معقده من الأخطاء الشائعة والصفات المنبوذة.

لذا؛ فإن الخالق جل وعلا لا ينظر للصور والأشكال، بل للقلوب والنوايا والأعمال.

بعدما تشبع أدلر من رؤية الدماء وهي تغطي ما تبقى من ملامح الحارس القتيل أخذ سيف الحارس وخنجره والمال الذي

يحمله ليزداد بهم في رحلته التي لا يعلم كيف أو متى ستبدأ، ولكنه يعلم أن خطوته التالية هي دخول الكهف واستكشافه.

وصل أدلر إلى الكهف، ثم ترجل عن جواده حتى يحاول فتح الباب، استغرق الأمر بعض الوقت وكلفه بعض المجهود لكنه تم في الأخير ليدخل الزوج الجريح الكهف الذي مارست به زوجته الخائنة كل ألوان الوضاعة.

يبدو أن حديث الحارس كان صحيحًا فعلاً، الكهف خالٍ من المتعلقات الأساسية، ولم يترك فيه سوى القليل من الملابس النسائية التي تعود غالبًا إلى هيلدا، أو إلى زوجها الذي لا يعرف للرجولة معنى.

لا شئ يثير الاهتمام في هذا الكهف لذا اتجه أدلر سريعًا إلى الجانب الآخر من الكهف ليرى ذلك الباب الخلفي الذي سيخرج منه حتما إن قرر ملاحقة هيلدا وزوجها.

همّ أن يفتح ذلك الباب ولكنه تعثر في شئ ما. ما هذا؟! التقط أدلر قطعه من القماش كانت قد وضعت قبل الباب الخلفي للكهف من الداخل وظن أنه قد رآها من قبل!

بالتأكيد هو قد رآها من قبل ويألفها جيدًا؛ لأن هذه القماشة قد كلفته كل ما يملك من مال بيوم من الأيام حين قرر أن يشتري لعروسه الجديدة هدية زواجيهما، الآن تستعملها هيلدا لتنظيف الأرجل قبل الدخول إلى الكهف حتى لا يتسخ

في الحقيقة إن هذه القماشة هي أنقى ما يمكن أن تجده في ذلك المكان العفن، ووجودها به هو ما أصابها بالاتساخ!

ظل أدلر محتفظًا بالقماشة، ثم فتح الباب الخلفي دون جهد لكنه لم يرى أي شئ، الظلام يسود المكان كالعادة، وقف حائرًا بعض الشيء، ثم أغلق الباب وقرر أن يستريح، أرخى أدلر مفاصله وجلس وقد أنهكه التعب، لكنه سرعان ما هبّ واقفًا مره أخرى كأنه قد لدغ من عقرب!

وخرج ليستريح خارج الكهف بجوار الجواد مترفعًا بنفسه عن الجلوس على أرض يشوبها الرجس والدنس.

أغلق عينيه وأخذ يفكر تفكيرًا طويلاً في خطوته المقبلة.

بالتأكيد أن السير في هذه الحياة دون خطة أو هدف هو شئ أشبه بالكارثة، بل هو كارثة، فما أكثر المغريات التي تدفعك لأن تحيد عن طريقك!

وما بالك إن كنت لا تملك طريقا محددًا من الأساس؟!

تصبح كالدابة تهيم على وجهك كل صباح دون غاية أو هدف، تترك نفسك كالريشة تتقاذفها الرياح كما تشاء، اليوم تقذف برياح الشهوة، الغد تدفعك رياح الناس إلى ما يريدون، وبعد الغد تحملك رياح جديدة لا تشبه سابقيها، إلا في كونها مجحفة، تحملك ما لا تطيق، وتدفع بك إلى الهاوية.

جلس أدلر يفكر. لم قتلت ذلك الحارس عندما نطق الجزر السبع؟

لَمَ لم أسأله عن الطريق إلى هذه الجزر؟

لأنه سخر بي؟

ما الدليل على أن كلامه كان سخرية؟!

هل هو مجنون حتى يسخر مني وهو يعلم أن مصير حياته معلق بيدي؟

بالتأكيد لم أكن لأتركه على قيد الحياة ساعة أخرى، لكن لِم قتلته؟

في الواقع لم يكن أدلر يطعن الحارس محاولاً قتله. هذا حارس أعزل ضعيف، محطم الجسد، ما الذي سيجعله يثير أدلر ليطعنه ٣٥ طعنه في أنحاء متفرقة من جسده؟!

إن أدلر كان يحاول قتل خوفه.

هذا الخوف اللعين الذي ينغص عليه حياته!

هذا الشبح الذي يطارده منذ أن علم بموت والده أثناء محاولة استكشاف تلك الجزر الغامضة.

على أية حال، ليس لدى أدلر الآن ما يخسره

لا زوجة، لا أهل، لا أولاد

وحتى إن قرر العودة إلى بوتانا فلا مجال لذلك، عادت الرحلة التجارية دون أدلر ودون الحارس، والجميع الآن يعتقد

في غرق أدلر أو موته بأي طريقه أخرى والحارس كذلك، وإن عاد واكتشفوا انه على قيد الحياة فسيساق كالبعير إلى الملك وعندما لا يقص عليهم معلومات مثيرة، تشبع خيالهم المريض، فإنه سوف يودع في السجن بقية عمره كي يأمنوا شره!

أدلر الآن يعلم أن تلك الجزر هي حقيقة، سواء أن كانت جزر جان، جزر عمالقة أو حتى شئ آخر يجهله، ولكنها موجودة.

لا طريق لأدلر يسلكه سوى طريقه إلى الجزر التي تخبئ قاتل أبيه، زوجته الخائنة، أولاده أو من قد يكونوا أولاده.

بدأ بزوغ الفجر وتبدّل الظلام بالنور ليستفيق أدلر من نومه بعد أن غلبه النعاس من شدة الإعياء والتعب، دخل بجواده إلى الكهف وتناول بعض الطعام الموجود على مضض، ولكنه مضطر وقام بإطعام جواده كذلك.

يمضغ أدلر أصنافًا من الطعام الآن لم يكن يظن أنه سيراها أصلاً طيلة عمره، ولكنه لم يجد فيها اللذة التي كان يجدها عندما يتناول بضع سمكات من صيده. يا للقدر!

جهز أدلر نفسه وامتطى جواده وخرج من الباب الخلفي للكهف يسلك طريقًا لا يعرف عنه شيئا قط!

لا يعلم طوله ولا نهايته ولا حتى كيف يأمن أخطاره، لكن لا خيار آخر.

حاول البحار أدلر اقتفاء بعض الآثار المنقوشة في الأرض نتيجة سير بعض الدواب عليها، ولكنها كانت تظهر تارة وتختفي تارة، كما أن أدلر لم يكن بارعًا في تمييز آثار الأقدام إن كانت لحصان أم لدابة أخرى، فهو بحار لا يعرف سوى الأسماك!

ظل على هذا المنوال يمني النفس بأي علامة تبعث في قلبه اليقين أنه على الطريق الصحيح، لكن لا جدوى! أدلر يطلق لجواده العنان ولا يعلم إن كان على الطريق الصحيح أم انه قد أضاع طريقه.

بعد مرور بعض الوقت استطاع أن يلمح البحر بعينيه وعلم أنه على مقربه من الشاطئ. أخد أدلر يبطئ من سرعته مع التقدم في السير فلابد أن هناك أناس عند الشاطئ وعلى مسافة قريبة منه بعد كل تلك المساحات المهجورة التي قطعها بدءا من الكهف، وانتهاءً بموضع أقدام فرسه الآن..

حاول أدلر ألا يسلك الطريق المستقيم إلى الشاطئ فبكل تأكيد هذا الطريق سيكون في أتم الوضوح لأي شخص موجود في هذه المنطقة، سار بصعوبة وسط مجموعات من الأشجار المتشابكة؛ محاولاً توخي الحذر حتى لا يزل فرسه بالوقوع أو بإصدار صوت غير مألوف، كثير من الحيوانات تمكث وسط هذه الأشجار؛ لذا فإن أصوات الحركة بين الأشجار مألوفة، لكن صهيل الخيول هنا سيكون أمرًا مريبًا!

توقف أدلر عن السير ثم ترجل وربط جواده إلى أحدى الأشجار الكبيرة المميزة، أشهر سيفه وأعد خنجره وأخذ يجول بعينيه في المكان من حوله، لكنه لم يأنس أي انسي في المحيط!

أمر غريب! ففي الجزر يتكدس السكان عند الشاطئ نظرًا لبيئة عيشهم السواحلية، لا بد أن هناك سرًا ما في هذه المنطقة من الشاطئ، وما خطب هذه السفينة الوحيدة التي ترسو على الشاطئ، ليست كقوارب الصيادين ولا السفن الملكية؛ هي شئ ما متوسط بين هذا وذاك.

ظل أدلر يطرح على نفسه الأسئلة ويراقب مدة ليست بالقليلة حتى ظهر أخيرًا شخص ما يبدو في العقد الثاني، أو الثالث من عمره يخرج من غرفة خشبية لا سقف لها كان أدلر يظنها فارغة ومهجورة، بدا ذلك الشخص متوتر نوعًا ما يتفقد المكان حوله وينظر إلى السماء ليستدل منها على الوقت وكأنه في انتظار لحظة معينه لاتخاذ قرار ما، أو انه يترقب وصول شخص ما ويستكثر مدة انتظاره.

وبالفعل، في لحظة ما عاد الرجل سريعًا إلى الغرفة الخشبية مما ألهب حماس أدلر كما أيقظ توتره، شئ ما سيحدث، خرج الرجل من الغرفة وهو يحمل صندوق خشبي يتجه به إلى السفينة، هذا الرجل هو الأداة الوحيدة التي يمتلكها أدلر الآن وربما تكون نافعة، فلا بد من اللحاق به قبل أن تقلع السفينة، قطع أدلر بعض الخطوات بحذر متجهًا نحو الشاطئ ولكنه ظل بين الأشجار ولم

يخرج إلى الطريق المكشوف، وصل الرجل إلى السفينة فتعجل أدلر بعض الشيء حتى يلحق به ولكن الرجل وضع الصندوق واستدار عائدًا مره أخرى نحو الغرفة مما دفع أدلر للاختفاء سريعًا خلف الأشجار، خرج الرجل بصندوق آخر نقله إلى السفينة، وعاد ليعاود الأمر نفسه من جديد ولكن في هذه المرة لم يدخل إلى الغرفة، بل قابلته امرأة تجر صندوقًا لا تقوى على حمله، وتحمل على ظهرها طفلاً صغيرًا تغطيه من أشعة الشمس بردائها فلا يظهر منه سوى قدماه، في هذه اللحظة انتقل أدلر بتفكيره من هذا الموقف العصيب إلى المقارنة بين اهتمام هذه المرأة بطفلها ومساعدتها للشاب الذي يبدو أنه زوجها، وبين أفعال الملعونة هيلدا معه، وإهمالها في حق أطفالها، سبح أدلر في هذه الأفكار، وكأنه نسى ما قد جاء من أجله!

وسط ذلك الشرود الذهني علا صهيل الفرس فجأة، وكأنه ينذر أدلر من الغوص في بحر العواطف ولكنه في نفس اللحظة كان كناقوس الخطر الذي يحذر ذلك الرجل وزوجته من أن أدلر المتربص بهما.

ترك الرجل الصندوق على الأرض وأدخل زوجته وطفلها سريعًا إلى الغرفة التي لا تمتلك بابًا حتى، وخرج بسيفه يتفقد المكان في حذر ويتفوه ببعض الكلمات محاولاً استفزاز من يتربص به لمواجهته، أدلر يكتم أنفاسه، ويحاول أن يظل غائبًا عن نظر ذلك الرجل الذي يتقدم نحو الأشجار شيئًا فشيئا، ظل الرجل

يتقدم تقدمًا بطيئًا وأدلر متخفي حتى استطالت زوجة الرجل مدّة المطاردة وخرجت لتطمأن عليه مما أثار غضبه، واستدار يحدثها حتى يقنعها بالعودة للغرفة، ولكن مثلها مثل باقي النساء اللاتي خلقن من ضلع أعوج، فهي تجادله مما أثار غضبه واتجه نحوها لدفعها إلى الداخل بالقوة خوفًا عليها وعلى طفلها، وفي هذه اللحظة رأى أدلر فرصته سانحة للانقضاض على الرجل والسيطرة عليه، وهو ما فعله، فبخفة ورشاقة، قطع أدلر تلك الخطوات البسيطة نحو الرجل، الذي فور أن شعر بأدلر وهمَّ في الاستدارة إليه، كان أدلر قد أسقطه على الأرض واحكم القبض عليه، زوجة الرجل بدأت في النوح وطفلها في البكاء،

أثار نوح المرأة غضب أدلر الذي كره كل النساء وصيحاتهم، ولكن رقّ قلبه لبكاء الطفل، اشتاق أدلر لطفليه ببكائهما وضحكاتهما معًا وهنا وبعد أن تأكد أدلر من أنه أغلق بقبضته على الرجل كل منافذ الفرار، بدأ في التحدث إليه **قائلاً:** من أنت وماذا تفعل هنا، وإلى أين ستتجه بسفينتك؟

الرجل: ولم لا تجيب أنت على سؤالك الأول؟ من أنت وماذا تريد مني؟

أدلر: لا وقت لذلك الهراء، لم أطيح برأسك إلى الآن من أجل ذلك الطفل، وما أريد منك من معلومات، كن رحيمًا بطفلك واعطني إياها حتى أتركك له، فإن لم تفعل لن أكن أنا رحيمًا به ولا بك وسأفصل رأسك عن جسدك.

الرجل: إن فصلت رأسي ورأسه لن أعطيك إياها

أدلر: يا لك من وغد! أنا هنا الآن أصارع الموت من أجل أن أرى طفليّ وأنت تضحي بطفلك في سبيل المال أو في سبيل رب عملك أو أي شئ آخر؟ أقسم باني إن.. قبل أن يكمل أدلر قسمه تنبه لزوجة الرجل تهرول وهي تحمل سكينا في يدها؛ في محاولة للنيل منه ولكنه وبدون وعي بادرها بضربه من سيفه أصابت جنبها وشقت ظهر طفلها في آن واحد!

في نفس اللحظة سمع أدلر صوت صياح الكثير من الرجال قادم من البحر ولكن قبل أن ينظر إليهم أسقط الرجل السيف من يده وهم في الفرار وكاد أن يفلت بالفعل لولا أن أخرج أدلر خنجره مسرعًا وغرزه في قلب ذلك الرجل ونهض سريعًا وسلط نظره على البحر ليرى مجموعه من الرجال لهم نفس الرداء الذي يرتديه الشاب المقتول منذ لحظات، ويصيحون صياحًا عنيفًا، وهم يشيرون بسيوفهم نحو أدلر، بل إن بعضهم لم يستطيعوا الانتظار حتى تصل سفينتهم إلى الشاطئ بل قفزوا في الماء ليقطعوا المسافة المتبقية عوما إلى أدلر الذي شوهد وهو يقتل صديقهم وزوجته وطفله. أصيب أدلر بالفزع وحمل سيفه واتجه مسرعًا نحو جواده وامتطاه وانطلق في سرعة الضوء يلوذ بالفرار من تلك الوحوش الضارية؛ حتى لا يقطعونه إربا بعد أن ترك خنجره مثبتًا في قلب صاحبهم.

كان أدلر يعتريه الرعب ويحطمه الندم والحزن من قتل ذلك الطفل البريء وأمه، واليأس بعد الفشل في الحصول على أية معلومات من ذلك الرجل القتيل وجواده طائرًا دون وجهه محددة وكأنه استشعر الخطر هو الآخر.

كان الرجل المقتول هو فرد من أفراد عصبه لها من الصيت مالها في كواسكا، والرجال العائدون على متن السفينة أوشكوا على قتل أدلر انتقاما لصاحبهم هم أفراد في نفس العصبة، بعد أن وصل الرجال الذين قطعوا البحر عومًا وأصحابهم الذين استقلوا السفينة انتشروا في محيط المكان فملئوه عن أخره، دنا بعضهم مسرعين من صاحبهم الملقي وسط الرمال لعل هناك أمل في إنقاذه لكن الأمر قد نفذ وفارقت الروح الجسد.

التقط أحدهم الخنجر المثبت في قلب القتيل وجففه من الدماء التي تغطيه ثم بدأ يتفحصه ويدقق النظر به، فتلك العصبة هي عصبة متمرسة في القتل والنزاعات، وتعرف إلى أي جزيرة تؤول الأسلحة من أشكالها، أخذ الرجل يقرب الخنجر من عينيه أكثر فأكثر وكأنه يريد أن يتأكد من شئ ما قبل الإفصاح عنه، ويبدو أنه تأكد فأفصح **قائلا:** بوتانا!!

التفت جميع أفراد العصبة إلى المتحدث **فواصل:** هذه النقوش تعود إلى جزيرة بوتانا، لقد صنع هذا الخنجر في بوتانا.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض قبل أن يتحدث شخص ما يدعونه ريتشا، وهو قائد هذه المجموعة المكونة من خمسة وثلاثين فردًا **قائلًا:** في بوتانا الأمر أكثر إحكاما من هنا، تلك الخناجر لا يحملها سوى أفراد الحرس الملكي يا داماس! (وكان داماس هو اسم ذلك الرجل الذي يحمل الخنجر)

أجاب **داماس:** إذن فالقاتل هو فرد من أفراد الحرس الملكي لبوتانا!

القائد **ريتشا:** لقد رأيته وهو يلوذ بالفرار ولم يكن يرتدي زي الحراس

كما أن حراس بوتانا غير مخصص لهم ركوب الخيول في كواسكا، هناك شئ غير مفهوم.

كانت هذه العصبة تسمى بقوى النار، وهم مجموعة من الرجال الأشداء يقومون على طاعة أثرياء كواسكا وخدمتهم، هم الدرع الواقي لهم، فإذا أراد أحدهم هذه الفتاة أو تلك، قدمتها له قوى النار على طبق من ذهب ليفعل بها كل ما يحلو له من ألوان الفحش والرذائل. إذا ضاق صدر أحد الأغنياء بأحد سكان كواسكا فإنه يشير إلى ذلك وفي غضون ساعات يكن هذا المسكين في عداد الموتى، باختصار هم أداة البطش المُعلن في كواسكا.

وسط كل هذا فان الملك الموجود في كواسكا هو خادم أمين لهؤلاء الأثرياء، لا يمارس ملكه الصوري سوى على السكان البسطاء،

لكن إذا آلت المعضلة لقوى النار أو بالتحديد رؤساء قوى النار، فان الملك يتحول إلى فرد مخلص من أفراد العصبة يعيش على خدمة الأثرياء آملاً في إرضائهم ليس أكثر!

قد يبدو ذلك غريبًا لكنه يعود إلى حقائق قديمة؛ منها أن قوى النار هم من يقومون بتعيين أو عزل الملوك في كواسكا منذ عقود، يمتد نفوذهما إلى سرير الملك في غرفة نومه، هم لا يرون أنفسهم ملوكًا، بل شئ أرفع من ذلك! هم من يملكون مصير الملوك.

عجبًا!

تلك الجزيرة المسماة بوتانا يقودها ملك فاسد تحيط به حاشية أشد فسادًا يتناوبون على استغلال الناس دون أن يستطيع أحد أن يتفوه بأي لفظ معارض، فقط لأنهم حراس الملك الموقر!

أما هذه ـ جزيرة كواسكا ـ فهي مُقادة بسكانها بمواردها، بملكها بواسطة مجموعة من الرجال لا يمثل عددهم ربع السكان ولا حتى ثمنهم!!

لم لا يتحد هؤلاء البسطاء للإطاحة بالملك ومن ورائه قوى النار؟!

ما الذي يمنعهم من تحديد مصائرهم بأيديهم!

إن الجواب يكمن في خصلة أخرى من خصال البشر. هي الأنانية!

بشكل أو بآخر، فإن تلك الآفة التي تشغل جزءًا لا يتجزأ من كل بشري هي سبب رئيسي في التفكك بكل درجاته، تفكك الأمم، الشعوب، القبائل، العائلات وأحيانًا الخلان!

الأمر أشبه بدائرة متسعة كبيرة القطر، أنت مركزها، وعلى مسافات من المركز يتمركز أناس آخرون، كلما ازداد حبك لأحدهم كلما اقترب من مركز دائرتك!

تتشارك المصالح فتتقاطع تلك الدوائر وتشترك في مساحات كبيرة، تتعارض المصالح وتحجب المنافع، فتتنافر الدوائر وتتباعد!

في البداية تكون نظرتك بعيدة المدى، تستطيع أن تشمل دائرتك الجميع، ثم كلما تعرضت إلى قرار فاصل، انكمش قطر دائرتك التي تغدو لا تشمل أصحاب المسافات البعيدة في سبيل إرضاء من يتمركزون قريبًا!

تستمر دائرتك في الانكماش حتى يصبح قطرها لا يساوي سوى موضع قدمك!

عيناك لا ترى سواك!

تلك النظرة الشاملة بعيدة المدى، تغدو بعد وقت – طال أم قصر – نظرة ضيقة جائرة، عنوانها «**أنا فقط**» !

وليهلك الجميع.

حاول بعض أفراد قوى النار اقتفاء أثر ذلك الرجل الذي قتل صاحبهم أو الحصول على أي دليل تركه دون قصد، حتى يسهل عليهم الوصول إلى مكانه، لكن بلا جدوى، في ذلك الوقت كان البعض الآخر من المجموعة يعد لمراسم دفن المرأة والطفل، أما صديقهم المقتول فلن يدفن، فتبعًا لقواعد قوى النار لا يدفن أحد قتلاهم إلا مع من قتله في حفرة واحدة!

لذلك جُهزت سفينة تحمل جثمان القتيل وأبحرت بعيدا عن الشاطئ متجهة نحو مكان ما.

بعد أن فرغ الرجال من تجهيز السفينة وإطلاقها، ومن دفن المرأة المقتولة ورضيعها، اجتمع بهم القائد «**ريتشا**» ليخبرهم بخطواتهم المقبلة، استقر ريتشا على أن يبعث أحد رجاله حاملاً رسالة إلى جزيرة بوتانا يخبرهم بها عن سخط الناريين الشديد من مقتل أحد رجالهم بخنجر يؤول إلى حرس بوتانا الملكي، ويطلب منهم تفسيرًا دقيقًا وسريعًا لما حدث، في ذلك الحين سيكون بعض الناريين منوطاً بهم التفتيش عن ذلك القاتل الذي اغتال صاحبهم في كافة أرجاء كواسكا.

بالفعل، في ظهر اليوم التالي تفاجئ أفراد الحرس الملكي في بوتانا بسفينة ترفع لواء قوى النار تدنو من شاطئهم، حالة من الذعر تسود الحرس وهم يراقبون السفينة النارية تقترب شيئًا فشيئًا، فإن قدوم سفينة نارية إلى بوتانا لا يعني شيئًا سوى أن هناك كارثة على وشك الحدوث.

أرسى الناريون سفينتهم وكانوا خمسة رجال أشداء، أحدهم يقود السفينة، الثاني يرفع لواء قوى النار المرفرف، ثالثهم يحمل صندوق خشبي صغير الحجم، ورجلان يشهران السيوف في مقدمة السفينة، هبط الرجال من السفينة ولم يتبق بها سوى قائدها، اصطف أفراد حرس بوتانا لاستقبال الموكب الذي يتقدمه شاهرًا السيوف، يليهم حامل الصندوق الخشبي، ومن ورائه حامل اللواء.

ثلاثة من أفراد الحرس الملكي لبوتانا يسيرون على كل جانب من موكب الناريين، وفرد واحد يسير كدليل يترأس السائرين إلى قصر الملك.

اتجه الملك متوجسًا مضطربًا إلى القاعة الأضخم بالقصر لاستقبال وفد الناريين، عند أبواب القاعة توقف أفراد الحرس الملكي الستة، ولم يبق مع الموكب سوى الدليل الذي قطع بعض الخطوات في القاعة ثم توقف في مكان واستدار مشيرا الى شاهرا السيوف أن ينكسوا سيوفهم في حضرة ملك بوتانا وكان له ما أراد، نكس الرجلان سيوفهم وتنحى جانبا ليفسح الطريق لحامل الصندوق الخشبي الذي تقدم الى وسط القاعة ووضع صندوقه على منضدة من الزان الأصيل، ثلاثة أبواب للقاعة على كل باب يقف رجلان من أفراد الحرس الملكي الذين اصطحبوا الموكب الناري، في الثلث الأول من القاعة يقف حاملاً السيوف ومن بينهم حامل اللواء الناري، في وسط القاعة يقف الرجل الذي فتح الصندوق واخرج منه ورقه تحمل نص الرسالة الموجهة لملك

بوتانا، في الثلث الأخير من القاعة يجلس الملك وعن يمينه يقف الدليل وعن يساره يقف كبير مستشاري الملك.

أشار الملك إلى حامل الرسالة ليبدأ في قراءة مضمونها.

فتح الرجل الورقة ثم بدأ في القراءة بصوت أجش:

«**ملك بوتانا..**

لا سلام

نعتذر عن مناداتك ب» السيد ملك بوتانا «كما اعتدنا في خطاباتنا السابقة، فيبدو أنكم فقدتم سيادتكم، أو أنكم اقترفتم خطئا جسيما، وفي كلتا الحالتين، لا تبجيل لكم ولا مراعاة..

نعتذر أيضًا عن البدء بالسلام، فرسالتنا لا تحمل أي معنى من معاني السلام..

نرسل إليكم هذه الكلمات معبرين بها عن استيائنا وغضبنا الجم، بالأمس سقط أحد رجالنا بعد طعنه بخنجر يعود أصله إلى بوتانا»

في هذه اللحظة تقدم أحد حاملاً السيوف وحمل الخنجر من الصندوق الخشبي وأعطاه الى الدليل الذي حمله الى الملك ومستشاره..

ثم استأنف قارئ الرسالة:

«هذا هو الخنجر وتلك الدماء الجافة هي دماء رجلنا، هي دماؤنا التي نطلب تفسيرًا دقيقًا لإسالتها، نحن لا نطلب أعذارًا واهية ولا اعتذارات معسولة..

في الواقع أن تلك الرسالة لفائدتكم لا لفائدتنا، فنحن الناريين نمهلكم من الأيام خمسة، حتى تأتون إلينا بالقاتل حيًا فتقطع رأسه بسيف رجلنا القتيل. إن لم يكن لنا ما أردنا، فلن يكون لكم إلا كل ما بغضتم، في صباح اليوم السادس سنقضي على الأخضر واليابس، سنزهق أرواح كل سكان بوتانا فلابد أن من بينهم سيكون القاتل»

انتهى الرجل من قراءة الرسالة ووضعها في الصندوق الخشبي وأغلقه، أشار الملك بتقديم الطعام والشراب الى الوفد الناري لحين أن يفرغ من التشاور مع مستشاره، قدم الطعام والشراب على الفور لكن الوفد الناري امتنع عن تناول أي شئ في صرامة وغضب. ازداد توتر الملك وأنهى حديثه مع مستشاره سريعًا ثم **قال: «يؤسفنا ما سمعناه في رسالتكم أشد الأسف، نحن لا نملك أية معلومات عن مقتل رجلكم الكريم، هذا الخنجر يؤول إلى بوتانا بالفعل، لكننا فقدنا حامله منذ أيام، ففي نهاية الرحلة التجارية الماضية عاد رجالنا من كواسكا غير مكتملين العدد، فقدنا الحارس الملكي رقم ٣٥ لا نعلم ماهية ما حدث لرجلنا المفقود كما لا نعلم كيف وصل ذلك الخنجر إلى قاتل رجلكم. إن كان «٣٥» قد قتل في كواسكا ستكون دماء رجلكم قد**

سالت بنفس اليد التي أسالت دماء فقيدنا، الأمر غامض نوعًا ما وكلانا قد خسر أحد رجاله، لا أعدكم بالرد خلال مهلة الخمسة أيام، ولا أتقبل تهديدكم، فكما ذكرت قد يكون كلا الرجلين قتلا بأيادٍ كواسكيه، وعندئذ سنكون نحن من يطلب القصاص، سنبذل ما بوسعنا لكشف حقيقة الأمر. ونرجو تعاونكم»

في هذه اللحظة انتهى الدليل من كتابة رد الملك في رسالة ثم قام بتوثيقها بالختم الملكي ووضعها في الصندوق الخشبي، حمل الرجل الناري الصندوق، ثم هم الموكب بالانصراف، في تلك الأثناء كان خبر الوفد الناري قد أذيع بين سكان بوتانا الذين اختلفت ردود أفعالهم، بعضهم كان قلقًا مضطربًا معتبرًا ذلك الوفد نذير شؤم على بوتانا وسكانها وملكها، البعض الآخر كان شامتا في الملك ظنًا منهم بأنه قد قام بخطأ ما في حق أصحاب اللواء الناري وسيقومون بعقابه وحده دون المساس بالسكان الأبرياء، وسط كل هذا كان شعور الرهبة يسيطر على مئات السكان عندما اصطفوا على جانبي الطريق مودعين الوفد الناري بنظراتهم وهمساتهم، هم لا يعلمون حقيقة الأمور، ولا يعلمون كينونة هؤلاء الرجال أصحاب اللواء الناري، كل ما يعلمونه أن ذلك اللواء هو قوة عظمى، وإن حمله رجل واحد ودخل به على أرض بوتانا، فإن الملك ورجاله يعدون لذلك ألف حسابٍ وحساب.

أقلعت سفينة الناريين وظل السكان وأفراد الحرس الملكي سواء يراقبونها حتى اختفت عن أعينهم، في هذه الأثناء أمر ملك

بوتانا بذبح الدليل، وأفراد الحرس الملكي الستة اللذين حرسوا الأبواب حتى لا تتسلل الأخبار من أفواههم بين باقي الحرس والسكان بان ملكهم الموقر تلقى رسالة تهديد شديدة اللهجة سال لها لعابه وبلت جبينه عرقا، وبالفعل نفذ الأمر الملكي في غضون بضع دقائق على يد فئة من خاصة رجال الملك ومعاونيه، ثم أمر الملك بأن يطوف بعض الحراس في بوتانا؛ منادين بأن الملك سيخطب خطبة قصيرة مساء اليوم في ساحة القصر.

تجمهر السكان قبل حلول المساء بساعات في فناء قصر الملك منتظرين الخطبة المعلن عنها في شغف وترقب، بكل تأكيد فان الخطبة ستتعلق بشأن زيارة الوفد الناري المفاجئة وهو ما أشعل فضول السكان، بعد ساعات من الانتظار ينادي أفراد الحرس في الأبواق معلنين عن بداية الخطبة في غضون بضع دقائق، تفتح الشرفة الرئيسية لغرفة الملك الذي خرج في كامل زيه الملكي وأخذ يجول بنظره بين السكان الذين قد سيطر عليهم الصمت وغلبت الرهبة صيحاتهم وهياجهم، قطع الملك ـ الذي نادرًا ما يسمع صوته في هذه الجزيرة – ذلك الصمت بادئًا خطبته القصيرة

قائلاً: «**أيها الناس، سكان جزيرة بوتانا، جئنا بكم الى هنا من أجل هذه الخطبة المقتضبة التي تحمل إليكم خبرًا هاما، لقد أتى إلينا ـ كما تعلمون ـ وفد مبعوث من أحد الحلفاء المخلصين ليخبرونا بنبأ ينم عن إخلاصهم وولائهم لبوتانا**

وملكها وسكانها، لقد علم الحلفاء بوجود بعض الجواسيس في أفراد الحرس الملكي للجزيرة يقومون بنقل الأخبار لأعداء الجزيرة والمتربصين بها، وبناء عليه قد حكمنا على هؤلاء المرتزقة بالإعدام كي نلقن من أراد السوء لبوتانا وأهلها درسا قاسيا لا ينسى، وقد قمنا بتنفيذ الحكم فور صدوره، لكننا لن نعلن عن أسماء الخونة حتى لا نتسبب في الأذى النفسي لأسرهم، وعليه فان الجزيرة في حالة استنفار، وكل أفراد الحرس الملكي لن يغادروا ثكناتهم إلى كهوفهم لمدة لن تقل عن العشرة أشهر، أما عن المتطلبات المعيشية لأسر الحرس، فستصل إلى كهوفهم في مواعيدها المضبوطة، نحن لا ننسى رعيتنا. حُفظت بوتانا وحُفظ شعبها»

بعد أن انتهى الملك من خطبته قام السكان بالتهليل والصياح والتصفيق الحار معبرين عن مدى إعجابهم بخطبة ملكهم العظيم الذي أظهر تعاطفه مع شعبه وحرصه على مصالحهم ومصالح جزيرتهم.

ببضع سطور من الكلام المعسول اكتسب الملك تعاطف جميع سكان الجزيرة بلا استثناء، ليس هناك من يعلم حقيقة الأمور، لا أحد يعلم أن الأرواح المعدومة بعيده أشد البعد عن الخيانة والتجسس!

لا أحد يعلم أن من ماتوا، ماتوا فقط لأنهم أدوا عملهم على أكمل وجه ولم يتقنوا سوى الإخلاص لملكهم!

إن كانوا هؤلاء المتهمين جواسيس فعلاً لقوى النار أو غيرها، لقامت هذه القوى بحمايتهم من ملكهم، إن كانوا جواسيس لم يكن الملك ليصدر حكم إعدامهم اتقاءً لشر أعدائه!

لقد ظهر الملك في ثوب المخلص الأمين حامي حمى الشعب وراعي الأمن والمصالح، وفي الحقيقة هو ضعيف جبان لا يملك مصير نفسه ولا شعبه!

لكن حتى نحسن القول، فان ظلم الملك كان ظلمًا عادلاً!!

فهؤلاء الأفراد المعدومون، كانوا أداة من أدوات الملك التي يعيث بها في الأرض فسادًا!

لذا، فإنهم كما ظلموا المئات من سكان بوتانا البسطاء تنفيذًا لأوامر الملك، فقد قتلوا ظلمًا تنفيذًا لأوامر نفس الملك!

فالجزاء من جنس العمل.

في الواقع، لا يوجد في تلك الحياة حقائق مسلم بها سوى الحقائق الدينية، بل حتى الحقائق الدينية يختلف سكان الأرض فيما بينهم بشأنها، قطعًا أنت لا تستطيع أن تجزم على أي شئ في محيط حياتك!

في كل يوم تكتشف حقائق عدة، تكتشف أنك عشت مئات الكذبات وانخرطت بها واقتنعت بها تمام الاقتناع، بل وساعدت على نشرها وإقناع غيرك من الناس بها، حتى تصل إلى اللحظة الفارقة التي ينهار بها صرح معتقداتك العظيم أمام عينيك، في

تلك اللحظة تدرك أن كل ما حولك قد يكون كذبة! كل من حولك قد يكونوا كاذبين، أنت نفسك قد تكون أكبر كاذب، إن أردنا إطلاق لقب عادل على هذا الكوكب الملعون، فلن نجد أعدل من كوكب الكذب!

بعد أن فرغ الناس من صياحهم واستنفذوا كل طاقاتهم في التهليل والتصفيق وإظهار الفرح والإعجاب بكل الطرق، لم تُفتح أبواب باحة القصر حتى ينصرف الناس، ففي كل خطبة يلقيها الملك في باحة قصره تفتح الأبواب الضخمة عقب انتهاء الملك من خطبته لينصرف الناس وقتما أرادوا، أثيرت دهشة الناس واستغرابهم لذلك الأمر، بعد بعض الوقت، فتح باب واحد ضئيل لا ينفذ من خلاله سوى فرد واحد، وعلى جانبي هذا الباب تواجد الكثير من أفراد الحرس الملكي، ثم بعض الحرس بتنظيم الناس في صفوف وبدءوا في إعطاء الأوامر بالانصراف للصفوف تواليًا، كل فرد يخرج من الباب يكتب اسمه بواسطة أحد الحراس، يبدو أن خطبة الملك كانت خدعه لكسب تعاطف السكان وتهدئة توترهم بخصوص زيادة الناريين، وأيضًا حيله لفرز أسماء المتواجدين في بوتانا والراحلين عنها.

بعد ساعات من العمل الشاق انصرف آخر فرد موجود بفناء القصر وبدا أن أفراد الحرس قد استقروا على الأسماء المنقوصة، تقدم كبير الحرس إلى مجلس الملك وأخبره بأن هناك بعض الأسماء المفقودة، أحدهم يعمل كبائع في سوق بوتانا يسمى

«**بيدرو**» ثانيهم كان بحارنا «**أدلر**» ومعه أسرته، أما ثالثهم هو بحار شاب وصديق حميم **لأدلر** وهو «**بيرت**» وهناك رجل يدعى «**ايريك**» كانوا قد وجدوه غارقا منذ أسبوع تقريبا.

أمر الملك في ذلك الوقت بمداهمة كهوف المفقودين الثلاثة وإخباره بسبب اختفائهم في أسرع وقت ممكن، وبالفعل في غضون ساعات عاد أفراد الحرس المكلفين بذلك وأخبروا الملك بأن البائع بيدرو وُجد متوفيا في كهفه، ولم يعلم أحد بخبره حيث أنه غير متزوج ولا يمتلك أبناء ولا أصدقاء، في الغالب قد قتلته وحدته وجفاء الناس وبعدهم عن معاملته حيث كان مصابًا ببعض الحروق في وجهه وأنحاء متفرقة من جسده جعلت هيئته مثيرة للاشمئزاز في نفوس سكان بوتانا، هنا قد حكمت النفس البشرية على نفس بشرية أخرى بالإعدام، بالموت آلاف المرات يوميًا، الموت في كل مرّة يبتعد عنه طفل صغير قد أرسلته أمه ليشتري لها بعض الأشياء من السوق، وفي كل مرّة تلقى فيها انتقادا لاذعا على خروجه من بيته بهذا الشكل، أو كل مرّة استمع فيها إلى همزات الساخرين من هيئته ومشيته المتثاقلة، والشامتين في عودته يوميًا دون أن يبيع سوى القليل، وكأن كل ذلك كان بمحض إرادته واختياره!

وكأنهم معصومين من التعرض إلى تلك الحوادث التي تعرض إليها!

يظل الناس ساخرين كارهين، متعجرفين حتى إذا أصابتهم مصيبة عزفوا على أوتار المسكنة، ورقصوا على نغمات الزهد.

بعد ذلك أخبر أفراد الحرس ملكهم بأن المختفي الثاني بيرت كان قد همّ بالسفر إلى جزيرة أخرى باحثًا عن عمل أفضل ومعيشة أكرم، أما المختفي الثالث البحار أدلر، فقد ذهب في الرحلة التجارية الماضية إلى كواسكا، ولم يعد وانقطعت أخباره إلى الآن.

بدأ طرف الحل يظهر للملك في تلك اللحظات. لابد أن لأدلر علاقة باختفاء الحارس رقم ٣٥ الذي اختفى معه في نفس الرحلة، لكن ما هي العلاقة لا أحد يعلم!

أمر الملك باستجواب كل أفراد الحرس الملكي عما يعلمونه بشأن الحارس رقم ٣٥ وعلاقته بأدلر، وبذلك الاستجواب، علم الملك بقصة أدلر والحارس عندما طعنه الأخير بخنجره أمام ثكنات الحرس، وسخر من زوجته الخائنة، وبذلك كسب أدلر عدوًا جديدًا وهو الملك، الآن أدلر يصارع الملك، قوى النار، هيلدا وزوجها الثري، ويبحث عن أولاده، وهو مسكين ضعيف، لا قبل له بكل هذا أو بعضه حتى!

في خلال كل تلك الأحداث كان الوفد الناري قد عاد برسالة ملك بوتانا إلى القائد ريتشا الذي أثلجت كلمات الملك صدره قليلاً لوجود بصيص أمل في الوصول إلى قاتل رجلهم.

أما أدلر فكان قد هرب بجواده بعد أن قتل أحد أفراد الناريين - الذين لا يعلم عنهم أي شئ حتى الآن - وامرأته ورضيعها واتجه بجواده الى كهف الرجل الثري زوج هيلدا اعتقادًا منه أن ذلك هو آخر مكان قد يخطر ببال هؤلاء الرجال، فلن يختفي قاتل صاحبهم في كهف رئيسهم!

فلابد أن هؤلاء الأفراد هم رجال مخلصون لزوج هيلدا اللعينة التي تسببت في كل تلك المتاعب والمشقات.

تناول أدلر بعض الثمرات الموجودة في الكهف على مضض، فهو يكره أن يدخل جوفه أي شئ تابع لهيلدا وزوجها، ولكن لا خيار أمامه حتى لا تخور قواه أكثر من ذلك، استراح أدلر بعد ذلك مستندًا على سرير متين لم يسبق له أن اتكأ على مثله، ثم سبح أدلر في سبات عميق بفعل إرهاقه الشديد وحُسن السرير وراحته.

تناوبت العديد من الأحلام على أدلر في نومه، أحدهم يقص قصه جديدة عن والده، والآخر يخبره بأن أولاد هيلدا ليسوا أولاده بل أولاد هذا الثري، والأخير يصور له مشهد انتقام الرجال منه لقتله صاحبهم، فقام أدلر مفزوعًا بعد الحلم الأخير الذي صوره قتيلاً، لكنه أصيب بفزع أكبر عندما وجد أطرافه موثقة بالحبال

المتينة ولا يستطيع الحركة، رفع أدلر رأسه بصعوبة قبل أن يصيح بصوت **عالٍ:**

من أنت يا هذا؟!! ماذا تريد مني! لا تقتلني أرجوك، أمهلني أخبرك بما حدث، أنا لست قاتل أقسم لك.

كان هذا الرجل الذي رآه أدلر رجلاً في العقد الثالث من عمره تقريبًا، ذا ملامح حادة وبشرة داكنة، طويل القامة وعريض المنكبين، يرتدي شئ أشبه بخوذة على رأسه يتدلى منها خيش غليظ يغطي النصف الأعلى من وجهه فلا ترى منه سوى عينيه.

شعر أدلر بالذعر بعدما دقق النظر في ملامح وتفاصيل ذلك الضخم الذي قام بتوثيقه، وتضاعف الذعر حينما ظل الرجل صامتًا لم ينبس ببنت شفه، رغم كل توسلات أدلر وصراخه.

ما باليد حيلة، كف أدلر عن المناجاة والتزم الصمت أملاً في إرضاء هذا الوحش، ظل الرجل صامتًا يجول بناظريه في الكهف دون أن ينظر لأدلر قط.

بدأ الهدوء يتسلل الى نفس أدلر رويدًا رويدًا. ملابس ذلك الرجل مختلفة عن ملابس قتيله ورفاقه، كما أنه لو أراد أن يشقه إلى نصفين بسيفه لاستطاع في سهوله ويسر، لكنه قام بتوثيقه لغرض آخر وهو ما حاول أدلر معرفته لكن دون جدوى.

بعض دقائق من الصمت المرعب وضع الضخم سيفه الى جانبه ثم نطق أخيرًا بصوت **رخيم:** من أنت؟

سمع أدلر السؤال لكنه لم يجب في التو بل ظل للحظات يفكر في حيلة تجنبه إفشاء سره لهذا الضخم الذي لا يعلم عنه شئ، وبينما أدلر يحاول التظاهر بالرعب الشديد كي يبرر تأخر إجابته قطع حبل أفكاره المتهتك ذلك الضخم **قائلاً:** لا عليك، لا تحاول بذل مجهودًا في الكذب كي لا تفارق الحياة في الحال.

أنت لا تملك خيارات عده؛ لذا اخبرني قصتك كاملة الآن.

رغم أن هذا الضخم لم يستخدم أسلوبًا قاسيًا في استجواب فريسته إلا أن الرعب الذي تملك من أدلر أجبره على الاعتراف دون مجهود يذكر.

ففي الحال تحدث أدلر وقصّ على الرجل حكايته كاملة منذ قراءته لجواب هيلدا إلى اللحظة التي خلد فيها إلى النوم منذ ساعات قليلة.

لا يعلم أدلر لم اختار الحل الأسهل وقرر أن يبوح للرجل الضخم بكل أسراره، هل لأن هذا هو الحل الوحيد؟

أم الحل الصائب؟

أم أنه سأم الحياة ومشاق رحلته، فحاول أن يمد ذراعه نحو الموت؟

خالجت أدلر العديد من المشاعر المضطربة والمتناقضة بعد أن انتهى من روايته، ونهض الضخم من مجلسه واتجه إلى الباب الخلفي للكهف..

هل سيغادر ذلك الصامت الكهف ويترك أدلر سابحًا في بحر الشكوك والتكهنات.

أم أنه سينادي رفاقًا له للفتك بأدلر أو حملة كغنيمة إلى أحد الرجال أصحاب القتيل.

أنهى الضخم سلسلة التكهنات هذه بعد أن عاد وجلس أمام أدلر مره أخرى، في هذه المرة خلع الرجل خوذته وكأنه قد شعر بالأمان نحو أدلر وصدق روايته التي لم تزعجه تفاصيلها.

كان وجهه يحمل بعض آثار الحروق ورأسه خالية من الشعر لكنها مليئة بالندوب، وبقايا الجروح الغائرة.

توسطت هذه الآثار ثغره؛ عميقة، تبدو وكأنها تقسم رأس هذا الضخم إلى جزأين، لم يكن أدلر في حالة من الثبات النفسي والانفعالي تسمح له بالتدقيق في ندوب الضخم، لكن هذا الرجل أشار إلى تلك الثغرة العميقة فرآها أدلر عن كثب، ثم بدأ الضخم في التحدث بنفس النغمة الرخيمة **قائلاً:**

ذلك الرجل الذي ساعد زوجتك على ترك جرح غائر في قلبك، هو من زرع الفأس في رأسي ليترك هذا الجرح الغائر أيضا.

في البداية أعتذر لك عن تقييدك بهذه الطريقة، لكني مجبور على ذلك فأنا لا أعلمك ولا أعلم دافع وجودك في هذا الكهف.

قال الضخم هذه الكلمات الرقيقة التي هبطت على قلب بحارنا كهبوط المطر في الصحراء ثم هم في حل وثاق أدلر.

ازداد ارتياح أدلر بل ارتسمت البسمة لا إراديًا على شفتيه لأول مره منذ وقت بعيد وبدا منصتًا بحرص لذلك الضخم الذي استأنف حديثه **قائلاً:**

أدعى ماركينا، تعود أصولي الى جزيرة نيترو (**وهي جزيرة صغيرة تقع في الاتجاه الجنوبي لكواسكا، يطلق عليها أحيانا الجزيرة الخشبية حيث أنه لا مباني هناك سوى المساكن الخشبية المطلية بالأبيض فقط، لا يتخللها سوى سوق الجزيرة، وقصر متوسط الحجم في أقصى شمالها**)

كنت أمتهن الصيد في نيترو حتى سن العشرين حينما أتى أحد أثرياء كواسكا الى جزيرتنا معلنًا عن طلبه لرجال مخلصين يعملون تحت إمرته بكواسكا، وبالتأكيد أنت تعلم كواسكا بالنسبة إلى شعب نيترو هي جنة الإله في أرضه.

ذهبت إلى كواسكا مع ذلك الرجل الذي كان يدعى يوري ولم أدخر أي مجهود في إثبات ولائي وإخلاصي له حتى لا يرسلني إلى نيترو مرة أخرى، كان يوري أحد أكبر أثرياء كواسكا وحتى إن كنت عبدًا عنده فأنت من اكبر المحظوظين بين شعب كواسكا ولك عليهم مزية كبيرة.

بعد سبعة أعوام كنت قد حفرت لنفسي مكانًا مميزًا بين حاشية يوري وخاصة رجاله، كنت فقدت أبي وأمي وأنا في عهد الطفولة وأعيش مع أختي الكبرى في نيترو قبل المجيء إلى

كواسكا، وبعد السبعة أعوام تشجعت أخيرا وطلبت من السيد يوري أن يقبل أختي كخادمة عنده حتى تأتي إلى كواسكا و

تصبح إلي جانبي كما اعتدت دومًا، قبل السيد يوري طلبي وكنت أسعد الناس لذلك، بل وحدث ما لم أكن أستطيع أن أحلم به حتى!

بعد أشهر قليلة أخبرني السيد يوري بأنه يريد الزواج من أختي، بالتأكيد هو يستطيع أن يحصل على ما يريد من أختي وقتما يريد لكنه فضل أن يسير الأمر بهذه الطريقة التي بدت وكأنها طلب الأذن مني، حتى لا يقال أن السيد يوري تعدى على أخت أحد رجاله عنوة.

لكن بعيدًا عن كل ذلك كنت في أشد الفرح لطلبه فهذا يعني أنني وأختي سنكون من المحظوظين أكثر وأكثر عند سيدنا يوري.

ذهبت إلى أختي طائرا أزف إليها الخبر السعيد كي تطير معي فرحا لكن صدمت من طريقة استقبالها للبشرى السارة التي احملها!

كانت أختي مصدومة بشدة وتغيرت كل ملامح الرضا التي تملأ وجهها منذ أن لفظت من جوف أمي إلى جوف الحياة، لم أستطع فهم رأيها حتى هي لم تستطع تفسيره، لكنها كانت مُصرَّة على الرفض القاطع، وبدون إبداء أي سبب مقنع أو شبه مقنع.

تملكني الغضب وأصبحت كالبركان الثائر في وجهها مما أضعف عزيمتها على الرفض، وبالفعل في النهاية كنت قد أقنعتها بالواقع الذي لا نستطيع رفضه، إن لم توافق هي على الزواج فسيأخذ منها كل ما يريد بسلطته، ثم يلقيها معي في اليم، أو يقطعنا إربًا وينثرنا بأراضي كواسكا!

لا.. نحن نمتلك رفاهية الرفض، لا نمتلك رفاهية الاختيار من الأساس.

تزوجت أختي من السيد يوري وجرت الأمور على نحو مرضي لنا جميعا وتأقلمت هي على الحياة كزوجه لكبير أثرياء كواسكا لمدة وصلت إلى الخمس سنوات، ففي ذلك الحين دخلت حياة يوري امرأة حسناء أسرته بمفاتن جسدها وحسن وجهها، كما ذكرت لك نحن لا نملك رفاهية الاختيار، لم تستطع أختي أن ترفض وجود تلك المرأة على فترات متقطعة بكهف يوري بل على سريره يضاجعها أمام أعينها، ظل الحال هكذا لوقت ليس بالقليل قبل أن يخبر يوري أختي إنها ستعيش في كهف آخر؛ لأن تلك المرأة الحسناء ستأتي لتأخذ مكانها، لم تنزعج أختي لذلك بل أرضاها إنها لن ترى تلك المضاجعة القذرة أمام أعينها كما كان يحدث قبل ذلك.

وسط كل تلك الأحداث كان قلبي أنا يعتصر ألمًا على ذلك الوضع الذي أضحت أختي مُجبره على تحمله.

لكني لم أكن أعلم أن ما كان يعصر قلبي ألما ما هو إلا بداية الجحيم لأختي ومن ورائها أنا.

تلك المرأة اللعينة طلبت في ذات نهار من يوري أن يغير لها خادمتها بالكهف فهي لا تجيد التعامل مع طفليها، وما كان من يوري إلا أن يرضخ لطلبها وترك لها الحرية في اختيار خادمه لها ولطفليها، ومن منطلق كيد النساء وقع الاختيار على أختي الزوجة الأولى ليوري.

تجرعت أختي العلقم أيام عدة دون أن تبدي كللها ولا وهنها، كانت راسخة مثل الجبال تماما وعلى الجانب الأخر استمر أنا في التحطم ندما على المجيء بها إلى كواسكا من الأساس.

مارست زوجة يوري الجديدة كل ألوان القهر والذل في حق أختي المسكينة حتى نفذ صبرها في ليله من الليالي وأخبرتني أنها بيّتت النيّة على الهرب من سلطة يوري الى أي مخبئ داخل كواسكا أو خارجها، لم أكن أستطيع معارضها بل لم استطع النظر في عينيها المتقرحتين من البكاء يوميًا، وما كان مني سوى أن أخبرتها بأني سألوذ بالفرار معها في الوقت التي حددته.

ولكن ككل قصص الضعفاء، بمجرد أن شرعنا في الابتعاد عن أماكننا المعهودة لحق بنا سرب يرأسه يوري، ويتكون من أشد واعتى رجاله، لم أقدر على مجاراتهم وحدي، أمسكوا بأختي واقتادوها إلى مكان بعيد وحاولوا قتلي لكنني تمكنت من الفرار.

مكثت بين حفر الأموات وسط الأشجار الليل بطوله أكاد انفجر من الغيظ والقهر، مع الفجر حملت سيفي وقررت اقتحام كهف يوري وأنا أعلم تمام العلم أني سألقي حتفي في تلك المحاولة، لكني فضَّلت الموت على حياة الجبناء.

وما إن وصلت إلى ظهر الكهف وجدت يوري يقهقه مع بعض رجاله الذين تركوه بعد دقائق واتجهوا إلى الباب الرئيسي للكهف، رأيت الفرصة سانحة أمامي لحصد روح سيدي اللعين واندفعت نحوه في غيظ وتهور لكنه قاومني وأرسى فأسه في رأسي ليترك لي هذه الذكرى التي تراها، لم أنل منه سوى جرح في كتفه قبل أن يستنجد برجاله الذين أتوا فورًا، وحاولوا الإمساك بي دون جدوى، عدت إلى مخبئي وسط حفر الموتى، قررت ألا أذهب إلى الموت بأقدامي إلا بعد أن أرسل يوري إليه.

ظللت أراقب الكهف من على مسافات بعيده حتى أظفر بالفرصة التي تمكنني من رأس يوري لكنها لم تأت، لم أمل الانتظار، كنت أعلم أن أختي الآن تقاسي كل أشكال الذل والاستعباد تحت أقدام امرأة يوري الحسناء، وكنت أسكن آلامي بتخيل تلك اللحظة التي سيطيح فيها سيفي برأس يوري..

لكن تلك اللحظة لم تأت يا أدلر، في أحد الليالي شديدة الظلام سمعت أصوات ضحكات صاخبة قريبه من مخبئي، تأهبت وحملت سيفي وأخذت أراقب الوضع، بعض الرجال يتجولون في المحيط لكني لا أستطيع تمييزهم، ابتعد الرجال مرة أخرى عن

الأشجار والحفر حتى انقطع الصوت وأصبحت أراهم بصعوبة بالغة، اشتعلت النيران بعد ذلك، لابد أنهم سيتسامرون إلى الصباح وأشعلوا النيران قاصدين الدفء، لم أعر ذلك انتباها وظللت في مكاني منتبها لما يحدث حولي، بعد وقت قصير قام الرجال من مجالسهم وتحركوا جميعًا حتى غابوا عن مدى بصري لكن النيران مازالت مشتعلة، تأكدت أنهم رجال يوري لذلك السبب، لن يشعل أحدهم النيران بتلك الضراوة من أجل الدفء فقط سوى رجال يوري، ولن يترك أحد النيران مشتعلة بتلك الطريقة ويرحل غير مبال للنتائج سوى هذه العصبة الفاسدة.

بعد أن تأكدت من ابتعادهم تمامًا ذهب نحو النيران حتى أخمدها فأنا لا أريد أن يوجد أي شئ مثير للانتباه في محيط مخبئي.

وصلت إلى مكان النيران في سهولة وخفة، لكن خطواتي تثاقلت حينما اقتربت منها، لم تشعل النيران في الحطب بل أشعلوها في جسد بشري!

كانت من عادات أثرياء كواسكا إشعال النيران في رجالهم الذين ثبتت خيانتهم.

تأثرت قليلا لذلك الجسد الذي طمست ملامحه، لكني سرعان ما استفاقت ولعنت الجسد المحروق ومن أحرقه، في النهاية هو رجل فاسد من رجال يوري اللعين وقد يكون ممن شاركوا في إفساد هروبي مع أختي، وحملها إلى كهف سيدهم.

عزمت على أن أغدق الرمال على النيران حتى أخمدها وقصدت بعض الأقمشة المتواضع الذي تُرك مكان الرجال حتى احمل به الرمال، وما أن أمسكت بالقماش حتى ارتعدت فرائصي وارتخت مفاصلي وجثوت علي ركبتي، كان تلك الأقمشة هي ملابس أختي يا أدلر. لقد جردوها من ملابسها وأشعلوا النيران بها بدم بارد وهم يتضاحكون ويقهقهون، لقد تركوا كل بقاع الجزيرة وقادهم القدر إلى تلك الرقعة بجوار مخبئي حتى أعيش مذلولاً طيلة حياتي، لقد شاهدت أختي وهي تحترق من الوهلة الأولى وتركتها حتى ماتت أبشع ميتة؛ ظنًا مني أنها نيران الدفء!

لقد كانت نيران الجحيم التي أحرقت قلبي قبل أن تحرق أختي فلذة كبدي وقرة عيني، احتضنت جسدها المحترق كالمجنون وأنا اصرخ وأتلوى كالطائر الذبيح، أصابت النيران جسدي ووجهي لكنها لم تكن أقوى من تلك التي اشتعلت بضراوة في قلبي وأحشائي.

أخمدت النيران بجسدي، لم يتبقى من أختي ما أحتضنه حتى يا أدلر، أضحت أختي رماد تذروه الرياح.

أنا من قتلها، لقد شاركتهم في ذلك، جئت بهذه المسكينة الجميلة من نيترو لتكون إلى جانبي حتى أحميها شرور أهل نيترو، لكني وضعتها رهن شر أعتى وأظلم.

شاهدت أختي تحترق بناظري يا أدلر، **لا** تفارق ضحكتها خيالي لحظه، كانت الوجه الحسن الذي أنظر إليه أنسى تعب الأيام ومرارتها، كنت أتذوق الرضا والقناعة في كلماتها!

أنفقت حياتها ترعاني بعد موت أمي وأبي، أما أنا!

فقد أتيت بها الى من أحرقوها!

في هذه اللحظات قطع أدلر حديث ماركينا المطول، وضمه الى صدره يهدئه ويخفف عنه، ودموعهما تنهمر سويًا في آن واحد.

ظل الوضع هكذا بضع دقائق حتى استكمل ماركينا حديثه **قائلاً:** لن أسمح للموت أن يتمكن مني قبل أن أتمكن منهم جميعا يا أدلر. سأحطم رؤوسهم جميعًا وأنتزع قلب يوري من صدره وألتهمه بأسناني.

حاول أدلر أن يهدئ من انفعال صديقه الجديد ماركينا ببعض الكلمات مفادها أنه سيتمكن من الثأر لنفسه وأخته.

هدأ ماركينا بعض الشيء مما أعطى **لأ**دلر الفرصة ليبادره بالحديث **قائلاً:** بالتأكيد إن المرأة الحسناء التي حطمت حياة أختك هي هيلدا التي أخبرتك بقصتي معها، أليس كذلك؟

أومأ ماركينا برأسه مشيرًا الى صحة كلام أدلر.

استأنف أدلر **حديثه:** كيف مكثت كل هذه المدة في كواسكا إذن؟

ماركينا: في نفس المكان، بين حفر الأموات الذين أصبحت أشبههم كثيرًا، لقد ماتت الحياة في عيني منذ موت أختي، يوميًا أراقب يوري ورجاله لكن لا جديد، لا أظفر بفرصه واحده أتمكن فيها منه على انفراد، لا أريد أن تذهب محاولة قتله سدى، لن أموت حتى أقتل يوري.

بعد تلك الكلمات ساد الصمت بضعة دقائق قبل أن يستأنف ماركينا حديثه حيث **قال:** لقد كان جوادك على مقربه من مخبئي حينما قتلت أحد الناريين، لقد رأيت كل ما حدث دون أن يراني أحد، لقد أضحيت بارعًا في الاختفاء، كالأشباح، شبحا بارعًا.

سأل أدلر في **اهتمام:** من الناريون؟

بعد ذلك السؤال قص ماركينا قصة الناريين على أدلر الذي لعن حظه حينما سمع كل تلك التفاصيل الغليظة عنهم وعن رؤسائهم.

لكن الآن بدت خريطة الانتقام متضحة لأدلر نوعًا ما، هيلدا مع يوري الآن. الناريون هم رجال يوري وأعوانه، ماركينا عدو عدوه؛ أي أن ماركينا صديقه!

تبادل الرجلان النظرات التي حملت كل أنواع القسم وقطعت كل العهود على أنهم لن يكلا ولا يملا حتى ينتقما من يوري وزوجته ورجاله أيضًا.

سيطر الصمت وقت ليس بالقليل استراح الرجلان خلاله من الحديث الطويل المملوء بالمآسي والذكريات المؤلمة، لكن أدلر

قطع ذلك الصمت وهو يصيح كأنه تذكر شيئًا هامًا **لا يدري كيف غاب عن باله:** الجزر السبع؟ ماذا تعلم عنها؟ قال لي الحارس ٣٥ قبل أن أقتله أنها مأوى هيلدا وزوجها؟ ألديك أية معلومات عنها؟ أتوسل إليك ماركينا لا تجيبني بالنفي!

أجاب ماركينا وهو يضحك ضحكه **ساخرة:** معلومات أهل كواسكا لا تختلف كثيًرا عن معلوماتكم في بوتانا عن الجزر السبع، لكن الشيء الواضح بالنسبة لي هو أن تلك الجزر هي مأوى يوري وأمثاله من الأثرياء الفسدة، أتتذكر أين قتلت ذلك الرجل التابع لقوى النار؟

أدلر: وكيف أنسى اللحظة الأسوأ في حياتي يا رجل، بالتأكيد أتذكر جيدًا.

ماركينا: جيد. حركة السفن من هذا الشاطئ مقصورة فقط على سفن يوري وأصحابه، بل انه غير مصرح للعوام من سكان كواسكا أن يجتازوا حدود معينه تقربهم من الشاطئ، يبدو أن تلك السفن تقلع قاصدة الجزر السبع، وترسو عائدة منها.

لم يكمل أدلر الحديث مع صديقه الجديد بعد تلك الكلمات بعدما ارتسم إليه الطريق الذي ستكون نهايته هيلدا وأولادها، لكن من الواضح والبديهي أن ذلك الطريق محفوف بالمخاطر، ونسبة تجاوزه سالمًا ضئيلة، أما إذا استطاع اجتيازه دون أذى، فان نسبة بقائه حيًا بعد أن يصارع يوري وذويه تكاد تنعدم!

استغرق بحارنا الكثير والكثير من الوقت في التفكير في حظوظه؛ في الظفر بما يريد وبما تحرَّك لأجله من البداية، وترك جزيرته، تارة يشعر بأن كل شئ ميسر وبأنه سيستطيع الوصول إلى هيلدا وزوجها والانتقام منهما، وتارة يرى كل أبواب الطريق موصودة أمامه ولا يمكن فتحها.

على الجانب الأخر كان ماركينا مستندًا برأسه على الحائط وينظر إلى الأعلى، لكنه في الواقع لا يرى سقف الكهف الحجري، بل يرى أخته شاخصة أمامه تضحك ضحكتها الراضية التي سرعان ما تتبدل إلى نظرات لوم وعتاب تنال من قلبه ما تنال وتقرح عينيه من البكاء كما تذهب صوته من النحيب.

بالتأكيد إن من أسوء ما قد يخالج الإنسان هو شعور الندم، اللحظة التي تتيقن فيها تمامًا أن كل شئ كان يسير على ما يرام انتهى وتحول إلى كارثة كبرى – في الغالب – بفعل حماقتك. الأمر لا رجعة فيه، لا تملك لأمرك ضرًا ولا نفعًا، كل ما كان يمكنك فعله أصبح غير مجدٍ مهما أتقنته، كل ما كان يمكنك منعه أصبح أمر نافذ وتمكن منك!

تعود بالزمن إلى وقت القرار، وقتما كنت قادر على توجيه دفة الأمور إلى طريق الصواب

لكنك – وبكل قوتك – وجهتها إلى طريق الهلاك!

لتعش التمرد وتختال، أو لمكابرتك وتعجرفك، أو لأي سبب آخر لن تفيد معرفته بشيء بعد الندم!

لكن الوضع الذي يمر به ماركينا هو ندم من نوع آخر، فهو لم يكن يخطط لكل ذلك ولم يتمرد!

بل كان خاضعا لأقصى درجة، كان خاضعًا للدرجة التي جعلته يؤمن أن خدمة سيده هي مفتاح الجنة على الأرض!

جعلته كفيفا عن رؤية ما يمكن أن تؤول إليه الأمور بعد حين.

لم يفكر أن أخته ستعاني مع سيده زير النساء!

ولم يفكر أن رفض أخته – وهي التي اعتادت الرضا والقناعة والموافقة على ما تسوقه إليها الظروف – هو علامة تشير إلى بشاعة العواقب!

لم يتمرد، يا ليته تمرد..

بعد أكثر من ساعة من الصمت الكامل شعر أدلر بالجوع والعطش، وذلك أمر طبيعي فمنذ أن ترك بوتانا وهو لا يتغذى سوى على الطفيف من الطعام، لكن هذا الشعور أثار في عقله سؤال ما.

أدلر: كيف كنت تحصل على طعامك كل هذه المدة في مخبئك؟

ماركينا: لدي صديق وفي يدعى كيلاري، كان يتردد علي من الحين للآخر بما يكفيني من الطعام والشراب لعدة أيام، كان على مقربة مني طيلة فترة الصراع مع يوري، ويعلم كل تفاصيل العداء

أدلر: كيف يجرؤ على القدوم إليك في مخبئك، إن رآه أحد الناريين لانتهى أمره وأمرك في الحال

ماركينا: قلت لك.. صديق وفي، أتى معي من نيترو لكنه لم ينل إعجاب يوري وتركت له حرية الاختيار بين العودة إلى نيترو أو المكوث في كواسكا باحثًا عن رزقه، قرر البقاء في كواسكا وعمل مع صانع سفن شهير في كواسكا، يدعى أزولا، يساعده في عمله حيث أن أزولا يتجاوز سن الستين، لكنه يبقى صانع السفن الأمهر في كواسكا، حتى أن كل سفن الناريين من صنع يديه.

أدلر وهو يضحك **باستنكار:** كنت أظن أن لدي أصدقاء

ماركينا: الصديق الوفي هو كنز ثمين، لا يأتي في العمر سوى مرات معدودة وقد يأتي مرة واحدة، أظنك صديق وفي يا أدلر.

ابتسم أدلر وكأنه يشكر القدر الذي ساق إليه ماركينا كي يكون أنيسه ورفيقه في رحلته الشاقة الجافية **ثم أكمل حديثه:** أستظل معي هنا، أم ستعود إلى مخبئك لمقابلة صديقك؟

ماركينا: يأتي إلي كيلاري مرّة كل أربعة أيام ويحضر معه ما يكفيني من الطعام في هذه المدة، رأيته البارحة؛ لذا فليس من الضروري أن أعود الليلة. ما بك يا رجل. أترفض استضافتي في مخبئك الفاخر الذي يعج بالطعام والشراب؟!

بعد أن فرغ الرجلان من الضحك والتسامر جلسا ليتفقا على خطتهما المقبلة لتجاوز تلك المرحلة العصيبة والوصول إلى طريق الجزر السبع في أقرب وقت ممكن.

لكن بعد الكثير من النقاشات والمداولات لم يصلا سويًا إلى أي طريقه واضحة تمكنهما من مقصديهما سوى التأني وعدم استباق الأحداث، بالتأكيد أدلر الآن هو الهدف الأسمى والأهم للناريين، لذا سيظل مختبئًا بالكهف، وفي نفس الوقت سيعود ماركينا إلى مخبئه ويواصل مراقبته للناريين كلما أستطاع فربما يحصل على معلومات مفيدة تقربهما من غايتهما خطوة، ولحين أن تهبط عليهما من السماء معجزه تنجيهما من ذلك الوضع المتوتر في كواسكا، سيبقى كلاهما في مكانه منتظرًا مستجدات الأمور.

رحل ماركينا إلى مخبئه كما اتفقا وظل أدلر ماكثًا بين جدران الكهف الذي يبغضه، هو يشعر بأن تلك الجدران تحدق النظر فيه وتضحك ساخرة منه وكأنها تخبره بأنها رأت زوجته هيلدا في كل ألوان الجماع مع يوري حتى تصدعت الجدران من تأوهاتهما سويًا، ذلك السرير الذي يتخذه مكانا للنوم بالطبع هو السرير الذي اتخذه يوري وهيلدا مكانًا للمضاجعة، إجمالا، هذا الكهف هو المكان الذي شهد كل ألوان الرجس التي أذهبت شرف أدلر بلا رجعة.

بقي الحال كما هو عليه لثلاثة أيام إضافية، أدلر لا يخرج من الكهف ولا يعلم شيئًا عن صديقه المختبئ الآخر، وفي نهاية اليوم الثالث، انقطعت وحدة أدلر بعد قدوم ماركينا إلى الكهف، تصافح الرجلان وتعانقا وقص كلاهما ما شغل أيامه من أحداث شحيحة إلى الآخر، أدلر لا شئ في يومه سوى النوم وتناول الطعام، أما ماركينا فلم يظفر من مراقبته للناريين بأي معلومة جديدة، حركة السفن مستمرة بواقع سفينة مغادرة من الشاطئ، وسفينة عائدة إليه يوميًا، مكث ماركينا في مخبئه حتى أتى إليه صديقه كيلاري وأخبره ماركينا بمستجدات الأمور، وبذلك سيبقى الرجلان في الكهف سويًا وسيتردد عليهم كيلاري في ذلك المكان بدلاً من حفر الأموات التي كان يقطنها ماركينا.

وهو الأمر الذي اسعد أدلر وطمأنه بعض الشيء.

بعد عدة ساعات استيقظ الرجلان من نومهما في فزع، باب الكهف الخلفي يطرق بعنف شديد، حمل أدلر سيفه وتأهب لملاقاة مصيره، أما ماركينا فلبس خوذته وحمل سيفه وتقدم نحو الباب، حاول ماركينا تغيير صوته وهو يسأل في **توجس:** من بالباب؟

أجاب الطارق بعصبيه **مفرطة:** كيلاري كيلاري.. أنا كيلاري!!

(كان كيلاري رجل سريع الانفعال، شديد العصبية وفي غاية الحدة)

فتح ماركينا الباب الى صديقه الذي عاتبه **بانفعال:** كدت أن أفقد يدي وأنا أطرق بابكما، ظننت أن الناريين قد نالوا منكما!!

امتص ماركينا غضب صديقه، وهدأه ثم أشار الى أدلر وقال مخاطبًا **كيلاري:** هذا هو أدلر، الرجل الذي أخبرتك قصته في عجالة.

حاول كيلاري تبديل ملامح الامتعاض والغضب وخفف من حدة وجهه ثم رحب بأدلر وتصافحا بحرارة.

جلس الرجال ثلاثتهم ينظر الى بعضهم البعض لا يعرفون من أين تبدأ دائرة الحديث، اتخذ ماركينا زمام المبادرة وسأل سؤال كان يجول في بال أدلر **أيضًا:** ما الذي أتى بك الليلة يا كيلاري، ظننتك لن تأتي قبل ثلاثة أيام على الأقل.

كيلاري: أعتقد أن ما أحمله من معلومات لا يحتمل التأخير، أو حتى إن كان يحتمل فأنا لست منوط بتحديد ذلك، المعلومات تعود إليكم وأنتم على دراية أكثر مني بخطورتها، أو بالتحديد هي تعود إلى هذا الرجل.

قال كيلاري تلك الكلمات وهو يشير بسبابته إلى أدلر.

سال لعاب ماركينا لما سمعه بينا كان أدلر يبلع ريقه بصعوبة ثم **سأل:** أية معلومات؟؟

كيلاري: قبل ساعتين من الآن كان هناك ثلاثة رجال من الناريين متواجدين في كهف أزولا الرجل الذي أعمل معه، جاءوا

كي يعطوا لأزولا الأوامر بتنفيذ سفينة جديدة في أسرع وقت، لكنها سفينة بمواصفات خاصة، هي أكبر سفينة سيتم تصنيعها في تاريخ كواسكا، قال الناريون لأزولا بالحرف الواحد، نريد سفينة يمكنها حمل الناريين أجمعهم في آن واحد، وأنت تعلم يا ماركينا أن اكبر سفنهم لا تستطيع حمل نصف عددهم حتى!

ماركينا مقاطعا **كيلاري:** أجل يا كيلاري لكن هذه المعلومة غامضة لا نستطيع تفسيرها أو إيجاد معنى مناسب لها!

كيلاري **بانفعال:** دعني أكمل ما بدأته.

صمت ماركينا تاركًا المجال لكيلاري حتى يكمل حديثه..

استطرد كيلاري **قائلا:** أخبرهم أزولا أن هذا الأمر قد لا يكلل بالنجاح وأنه لا يضمن له قدرته على صناعة سفينة بهذه المواصفات، لكنهم أصروا أن عليه المحاولة، وكي يأمن أزولا شرهم أشار عليهم أن يأتي إليهم بكل أنواع الأخشاب التي يعرفها كي يختاروا أي منها يريدونه لصناعة سفينتهم العملاقة، حتى إذا فشلت تلك العملية، يلقون باللوم على أنفسهم لا على أزولا ومساعده المسكين (مشيرًا الى نفسه)

بدأ أزولا في تحويل الأخشاب من الخيمة الخارجية الى الكهف وأمرني بأن أرتبهم في صفوف من حيث الأمتن للأضعف، وبينما نحن على ذلك كان الرجال يحتسون الخمور ويتسامرون بصوت عالٍ، خلال ذلك التسامر استطعت أن استخرج نبأين يرجعون الى أدلر كما قلت في البداية.

قاطعه أدلر وهو يحثه على **الإسراع:** أخبرني يا رجل قبل أن أسقط قتيلاً!

وهنا قصّ عليه كيلاري قصة الوفد الناري الذي ذهب الى بوتانا ونتائج تلك الزيارة وانعكاسها على قرارات ملك بوتانا الذي حصر أسماء المفقودين وعزم في النهاية على البحث عن أدلر.

تلقى أدلر ذلك الخبر بصدمة بالغة، لا قبل له بعدو آخر!

وأي عدو، ملك بوتانا!

الآن أصبحت كواسكا متوترة، وبوتانا محظورة، الخطر يحيط بأدلر من كل مكان ويبدو أن الأرض خلت من منافذها!

وفي نفس الوقت لم يكن ماركينا في حال جيدة، بل وقع عليه الخبر كوقوعه على أدلر، الرجلان في قارب واحد الآن.

بدت على أدلر علامات المقت والغضب والحزن والحسرة وكل ما يمكن تخيله من مشاعر مؤلمه ومكروهة.

بينما هو كذلك كان كيلاري ينظر إليه نظره غريبة أثارت استغراب **ماركينا:** لم تنظر الى أدلر بتلك الطريقة يا كيلاري؟ هو صديقي وبذلك هو صديقك؟ لم تنزعج من هذا المسكين؟

هز كيلاري رأسه مستنكرًا قول ماركينا **وقال:** أخطأت في ما نطقت به يا ماركينا حول انزعاجي لكنك أصبت في شئ ما، بالفعل إن هذا الرجل مسكين، أنت لا تفهمني، أكاد من فرط إشفاقي على صديقك الذي أصبح صديقي أن ابكي!

ظن أدلر وماركينا أن تعاطف كيلاري كان بسبب هذا الخطر المحيط بهما من كل جانب! بالتأكيد هو أمر يثير الشفقة والتعاطف لكن كيلاري عاد **ليكمل:** إن ما سمعتاه لا يمثل قبحه نقطة في بحر بشاعة وهول النبأ الثاني الذي كدت أبكي دمًا حينما سمعته، جئت إليكم الى هنا كالذي يحمل صخرًا على قلبه ويفترض أن يلقي ذلك الصخر فوق قلوبكما!

تفتحت أعين أدلر وماركينا وقد تملك منهما الرعب حد تكاد أن تسمع أصوات نبضاتهما المتلاحقة، لم يستطع أي منهما استجماع قوته وسؤال كيلاري عن النبأ الثاني، بل ظلا ينتظران أن ينطق الرجل بالكارثة التي يحملها، أو تفارق روحاهما الحياة من شدة الفزع والخوف!

استكمل كيلاري والكلام يخرج من لسانه بثقل **شديد:** لقد ذكر الناريون أثناء تسامرهم أن ذلك الطفل الذي قتله أدلر لم يكن ابن المرأة، ولا الناري اللذان قتلا معه، بل كان هذا الطفل ابن هيلدا الذي أتى هو وأخوه معها من بوتانا.

تجمدت أطراف ماركينا وهو يغطي وجهه بيديه محاولاً إخفاء دموعه التي جرت فور سماع الخبر وكأنها كانت متأهبة لتسري على خديه كعادتها.

رفع كيلاري وجهه من الأرض متعجبًا من تأخر صياح أدلر وعويله!

نظر إليه فوجد أدلر يميل برأسه نحو أحد كتفيه، عيناه مسلطتان على الأرض، العرق يملأ جبينه وأصابعه تتحرك حركات عشوائية غير مفهومة بلا قصد أو وجهة، يرتفع صدره أكثر من المعتاد وكأنها الشهقة الأخيرة في حياته السوداء، يتمتم ببعض الكلمات غير المسموعة لكيلاري وماركينا، لكن صوته أخذ يرتفع تدريجيًا وبدأت كلماته تتضح لصاحبيه، كان يعيد كلمات كيلاري مرات عدة، كأن تروس عقله قد توقفت وهو يكرر تلك الكلمات محاولاً تحريكها مره أخرى أملاً في الاستيعاب، تسقط أول دمعة من عينه، تلك الدمعة التي ظل يقاومها بكل قوته، لكنه لم يستطع ردها وكان سقوطها بمثابة الاستسلام لما قاله كيلاري، والتأكد من أن محاولات الهرب من الواقع لن تجدي نفعًا، اختلط ماء الدمع بماء العرق وبدا وجه أدلر يابس تغطيه الغبرة رغم كل ما يجري عليه من ماء.

ماركينا لا يزال يحاول إخفاء دموعه، لكن صوت تنهده قد فضح أمره.

كيلاري الذي لا يحنو قلبه سوى نادرًا، استند برأسه على الجدار الذي بخلفه وأخذ يلكم الأرض لكمات عنيفة.

إلى الآن لم ينطق أدلر بأي شئ مفهوم، تقترب رأسه من كتفه شيئا فشيئا، توقف عن التمتمة والهمهمة، استجمع أدلر قواه وزحف خطوتين على ركبتيه مقتربًا من كيلاري ونطق أخيرًا بصوت **متهدج:** كيلاري!

ذرفت أعين كيلاري الدمع ولم يلتفت الى أدلر، أمسك أدلر بلحية كيلاري بلطف بالغ وحرك وجهه ثم نظر في عينيه ولم يتحدث، لكن أعين كيلاري كانت مضمومة تحاول مجاهدة الدمع حتى لا يخرج منها..

أدلر مره **أخرى:** كيلاري. أجبني يا رجل.

فتح كيلاري عينيه وشلال دموعه يغمر وجهه ثم نظر لأدلر ليجده يرسم بسمه باهته، بسمه تفصح عن القهر والألم، بسمه تحمل من الحزن ما لا تحمله آلاف الدموع ومئات الصيحات!

كيلاري ينتظر أن يتفوه أدلر بكلمات تنم عن ألمه بعدما استجاب لندائه والتفت له، لكن أدلر لم يستطع إخراج حروفه المبعثرة واكتفى بمواصلة الابتسام الزائف الذي لم يصمد طويلاً وبدأ يتلاشى تدريجيًا وتحولت ملامح أدلر الذي أخذ يعض على شفتيه وينظر إلى كيلاري نظرات حادة غاضبة، في حركه سريعة قبض أدلر على مجامع ثياب كيلاري وأخذ يهزه هزًا عنيفًا دون أن ينبس ببنت شفه!

كيلاري كجثة هامدة بين يدي أدلر لا يحرك ساكنًا ولا يحاول الدفاع عن نفسه، بل يستمر في تفريغ دموعه المتراكمة في عينيه.

يبدو أن أدلر لم يستسلم بعد، حاول الابتسام ليحث كيلاري على مواصلة حديثه، لعل هناك أي مخرج من ذلك النفق المظلم،

لعل كيلاري يكمل حديثه السام بالترياق الشافي، لعله يخبره بأن من مات كان ابن هيلدا ويوري!

لعل هؤلاء الناريون قد ذكروا أي سطر إضافي يخمد النيران التي اشتعلت في أحشاء أدلر!

لكن الابتسام لم يدفع كيلاري لنطق حرف زائد، فحاول أدلر أن يعنف كيلاري ويرهبه، لكن لا جديد يذكر!

باءت كل المحاولات بالفشل الذريع، ارتخت قبضة أدلر على ثياب كيلاري ثم تركها ماركينا أخفض يديه ثم نظر الى صديقه والحزن يحرق قلبه، كيلاري عاد إلى الاستناد على الحائط وواصل البكاء!

نهض أدلر وهو يضع يديه على مؤخرة رأسه، استدار، وأخذ ينظر الى جدران الكهف وهو لا يعلم هل تبكي حزنًا مشفقة على حاله البائس، أم تضحك في شماتة وتؤازر صاحب الكهف وزوجته!

حرَّك أدلر يديه من على رأسه ورفعها عاليًا ثم قطع خطوات قليلة واخفض يديه بقوة صادمًا الحائط وهو يصيح بكل بقوته، يصيح بدافع الحزن والانكسار والتحطم؛ ليهز جدران الكهف بيديه وصوته **قائلاً:** لقد قتل أدلر طفله! لقد مات ولدي بسيف أبيه!

وقبل أن ينهض ماركينا مسرعًا محاولاً كف أدلر عن لكم الحائط، كان أدلر قد صدم الحائط برأسه وسقط مغشيًا عليه والدماء تغطي ملامح وجهه الحزين.

أسعف ماركينا وكيلاري جرح صديقهم السطحية في رأسه، لكنهما لم يستطيعا مداواة جروحه الغائرة التي تملأ قلبه!

بدلا له ملابسه التي لوثتها الدماء، وبللها العرق قبل الدموع وأراحا جسده على السرير الفاخر وهو يغط في نومه لكن دموعه مازالت تسري على خديه وكأنه يجابه كابوس آخر في منامه، لكن قطعًا لا يوجد كابوس أعتى من هذا الذي يواجهه في واقعه.

في هذه الأثناء كانت جنود بوتانا التي وصلت الى أرض كواسكا تكثف جهودها بحثا عن أدلر المسكين، وعلى الجانب الآخر الناريون لا يدخرون جهدًا آملين في الشيء ذاته!

لقد أصبح أدلر مقصد ملك بوتانا والناريين والحزن والآلام!

استيقظ أدلر في صباح اليوم التالي ليجد ماركينا وكيلاري قد أنهكهما السهر بجانبه، وناما طالبين قسطًا من الراحة، نظر إلى آثار لكماته وآثار الدماء على الحائط، ملابسه الملوثة، ماركينا الذي لا يزال يغطي وجهه حتى وهو نائم، خصلات الشعر المتساقطة من

لحيته حينما كان يهزه بعنف، كل ما حدث بالأمس كان حقيقة، الأمر وقع ولا مفر من ذلك الآن..

فتح أدلر باب الكهف كي يخرج ليجلس تحت أشعة الشمس لعلها تحرقه كما تحرق الأحزان قلبه، ثم انتبه إلى أن جلوسه خارج الكهف قد يعرضه الى التهلكة، لكنه لم يتراجع وحمل سيفه وخرج أو بالأحرى كان يجر سيفه على الأرض، فهو لا يملك من القوة ما يسعفه كي يحمله.

جلس أدلر في مكان مشمس بجوار إسطبل الخيول التابع لكهف يوري ثم أطلق لخياله العنان، لم يستطع أدلر ترتيب أفكاره كما كان يفعل دومًا بالتفكير في جميع الاحتمالات الممكنة، والانتقال من نقطة ما لأخرى، في هذه المرة لم يسلط أدلر ضوء عقله سوى على نقطه واحده وهي أن ذلك الطفل القتيل ليس ابنه، بل هو ابن يوري الذي اعتاد مجامعة هيلدا، لابد أنه لم يستطع التحكم في شهوته في كل مره وقذف في رحمها القذر ـ في ذات مره – ما أنجب هذا الطفل..

ولكن حتى وان لم يكن هذا الطفل هو ولدك، هل يجوز لك قتله؟

ما ذنب هذا المسكين؟

قد يكون ذنبه أنه نجل هذا القذر يوري وتلك اللعوب هيلدا!

لكن مهلاً. هل تؤمن بذلك؟

إذن لماذا أنت ساخط على حياتك وترى أنك ضحية محاولة والدك لاستكشاف الجزر السبع؟

لماذا تعتقد بأن عبء البحث عن سر مقتل والدك كان من مظاهر ظلم الحياة وبطشها. أنت لم تختار أن تكون نجل بحار قتيل في حادث غامض، كما لم يختار هذا الطفل أن يكون نجل رجل دنئ لا يستحق لفظة رجل من الأساس..

استمر أدلر في دحض المبررات – التي يضعها بنفسه – لقتل نجل يوري قبل أن يتريث قليلًا ليقول لنفسه صبًرا!

كيف تسبح في اتجاهين في آن واحد؟!

كيف هذا أيها المخبول؟!

كيف تسوق إلى نفسك مبررات قتل الطفل وأنت تسير في طريق **عنوانه:** الطفل ابن يوري؟

لو كنت تعتقد أن هذا الطفل ليس ابنك وانه نجل عشيق هيلدا من البداية لم تكن لتجلس حيثما أنت جالس الآن!

لم تكن لتترك بوتانا ولا حياتك وتجابه كل تلك المخاطر!

أنت تفعل كل ذلك فقط، من أجل أولادك!

هل ترى هيلدا امرأة لينة القلب؟ إن لم يكونوا أولادك لكانت هيلدا زفت إليك هذا الخبر ـ السعيد بالنسبة لها ـ في جوابها وقت الهروب كي تزيد من قهرك وإذلالك!

مثلك كمثل من يصعد مبنى مكون من عشرة طوابق كي يحصل على الكنز الكائن بالطابق الأخير، لكنه قد شعر بالإعياء في الطابق الرابع فجلس يقسم أغلظ الأقسام أن الطابق العاشر الأخير خاوي، لا يختلف عن باقي الطوابق، وما أن تتجدد طاقته ويشعر بقدرته على مواصلة الصعود، ينهض ليحنث كل تلك الأقسام السخيفة وينطلق في سرعة الريح نحو الكنز الغالي!

إنهم أولادك أدلر. أولادك!

لقد قتلت طفلك بسيفك كف عن الهروب!

كان ماركينا قد استيقظ من نومه فلم يجد أدلر في مكانه الطبيعي وهو السرير!

بحث عنه في غرف الكهف، ولا أثر، فتح الباب الخلفي وبحث عنه في المحيط، لا جديد، اتجه ماركينا مهرولاً ليبحث خلف الاحتمال الأخير والمستبعد وهو أن يكون أدلر قد خرج من الباب الرئيسي للكهف، استراح قلب ماركينا وهدأ جريان الدم في عروقه عندما فتح الباب الرئيسي ووجد أدلر جاثيًا على ركبتيه أمام الصخرة القريبة من الباب ومعطيًا ظهره للكهف، لكن لم يقف أو يجلس أدلر بهذه الطريقة؟ يبدو أن يديه مشغولتان بشيء ما!

تقدم ماركينا خطوات حثيثة نحو أدلر محاولاً فهم ما يقوم به أدلر دون أن يزعجه، فلابد أن يراعي شعوره في تلك الظروف اللعينة التي يمر بها، وما أن تحرك ادلر حركة ما وتبين لماركينا ما يفعله أدلر حتى صاح في عنف **وذهول:** ماذا تفعل أيها الغبي؟!!!

ثم قفز مسرعًا في اتجاه أدلر الذي كان قد ثبت ذراعه اليمنى بحبل إلى الصخرة، وأشهر سيفه الذي يحمله بيسراه عازمًا على قطع يده التي قتل به طفله، لكن ماركينا انقض نحو ذراعه الأيسر مبعدًا السيف عن الاتجاه المقصود، كانت توقيت قفزة ماركينا في توقيتًا مناسبًا لكنه لم يكن التوقيت الأمثل، في نتيجة تلك المحاولة هي أن هوى سيف أدلر على ثلاثة من أصابع يد ماركينا اليسرى فقطعهم في الحال، سقط ماركينا يصيح من الألم ويلعن تصرف أدلر، وفي ذلك الوقت خرج كيلاري الذي أخذ بعض الوقت ليفهم ما حدث ثم بدأ في سب ماركينا المتألم وأدلر الذي جلس جلسة الأمس مستندًا برأسه على كتفه وينظر الى الأرض وهو يبكي على حاله وعلى ما سببه من أذى لصديقه الذي كان يحاول إنقاذه.

ركض كيلاري الممتعض مسرعًا نحو ماركينا ـ الذي فقد ثلاثة من أصابع يده اليسرى ـ محاولاً إسعافه، أما أدلر فمشى في خطى متثاقلة نحو ماركينا وقبل رأسه ثم – على نفس النحو البطيء – استدار وعاد إلى الكهف مره أخرى، بعد عدة دقائق عاد ماركينا إلى الكهف وهو يحاول كظم غيظه مراعاة لحال صديقه البائس، تبعهما كيلاري الفطن الذي محا أثار الدماء، وحمل حبل أدلر وسيفه الى داخل الكهف خشية أن يمر أحد الناريين من هنا ويكتشف أمرهم.

خلع ماركينا ثيابه الملطخة بالدماء وارتدى بدلاً منها ثوب من ثياب يوري التي تركها بالكهف، راقب أدلر ما يفعله ماركينا ثم **قال:** هل ذلك الثوب الذي ألبستموني إياه يعود الى هذا الوضيع؟

تعجب ماركينا من سؤال أدلر السخيف في ذلك التوقيت وكأنه لا يبالي بأن صديقه كاد أن يفقد يده اليسرى وهو يحاول إنقاذه، لكنه كظم غيظه مره أخرى **وأجابه:** نعم، هل لنا من مصدر أخر؟

حاول أدلر خلع ما يرتديه قبل أن ينهره ماركينا **قائلاً:** أدلر. كف عن كونك رجل لين القلب غارق في التفاصيل، إن المعركة التي قررت خوضها تحتاج الى رجل شديد البأس صلب الفؤاد حتى يستطيع الصمود لا الانتصار، وبقدر قدرتك على الصمود، تكون حظوظك في الفوز.

استجاب أدلر لكلمات ماركينا وتوقف عن محاولته لخلع الثياب ورضي بالأمر الواقع، تلك القماشة التي يرتديها هي قماشة الرجل الذي شتت شرفه وطعنه في رجولته، وقد تكون القماشة التي سال عليها لعاب أطفاله حينما كان يوري يدللهم من أجل رضا والدتهم، وقد تكون هي القماشة التي....

قطع كيلاري حبل أفكار أدلر **قائلاً:** يا رجل، نحن نعلم أنك تمر بما لا يطيقه إنسان، ونحن لن نتركك مهما كلفنا الأمر، قضيتنا

واحده وهدفنا واحد، لكن أرجوك لا تهلكنا وتهلك نفسك معنا، تجلد وتحامل حتى نبلغ مرادنا ونخرج من ذلك الكابوس أحياء منتصرين، فان خسرنا دون أن نقتل، سنموت يوميًا برماح الندم وسيوف الذكريات.

كيف لك أن تفعل ذلك بنفسك؟! إن كان هذا الطفل ابنك يا أدلر، فعليك تضميد جراحك حتى تصل إلى أخيه، وإن لم يكن، فلا داعي لما تفعل.

بكى ادلر بكاءً حارًا ثم نطق بصوت تهدج **بالبكاء:** أنا آسف ماركينا عما سببته لك من ضرر، آسف كيلاري على ذلك الوحل الذي قدتك إليه، آسف على كل شئ، لكن صورة الطفل لا تفارق خيالي، تذكرت في منامي ذلك الناري حين هددته **قائلا:** كن رحيما بطفلك واعطني المعلومات التي أريدها حتى أتركك له، فان لم تفعل لن أكن أنا رحيما به، ولا بك، وسأفصل رأسك عن جسدك **فأجابني:** إن فصلت رأسي ورأسه لن أعطيك إياها، تذكرت تعجبي من جموده نحو طفله، هذا لأنه لم يكن طفله، كان طفلي، كان طفلي.

بعد ذلك صمت ادلر قليلاً وصديقاه صامتان لا يجدان ما يمكنهما قوله في تلك اللحظات حتى أكمل أدلر حديثه **قائلاً:** رأيت في منامي كل ضحكاته منذ أن لفظته هيلدا مع أخيه بالكوخ، لا أتخيل تعبيرات وجهه حينما قطع سيفي بطنه ومزق أحشائه، هل كان يعلم أن أبيه هو من قتله وأن أعداء أبيه هم من كانوا

يحاولون حمايته؟ أنا آسف لكم وللرضيع، آسف على كل شئ، كل شئ.

وبعدها انخرط أدلر وماركينا في البكاء قبل أن يضم ماركينا أدلر إلى صدره وربط على كتفه وقال بنبرة **دافئة:** لا عليك يا صديقي تلك هي ضريبة الصداقة، وقد قمت بدفعها حتى أظفر بصديق جيد مثلك، والآن عليك بدفع ضريبتك وتناسي ما يثقل قلبك حتى نمر بزورقنا الى بر الآمان من بين أساطيل الخطر التي تحيط بنا من كل اتجاه.

حينئذ جاء دور كيلاري الذي أكمل مواساة أدلر **قائلاً:** أنت لم تقودني إلى وحل أو غيره أدلر، أنت لا تعلم ما بيني وبين يوري.

انتبه أدلر لكيلاري منصتًا إلى جريمة يوري الجديدة التي سيتعرف عليها بعد لحظات

ثم استأنف كيلاري حديثه **قائلاً:** كانت ليوري جارية جميله في عام من الأعوام، كانت تتردد كثيرًا على أزولا صانع السفن الذي أعمل معه كما تعلم، وقعت في شراك حبها، أحببتها كما أحب نفسي أو أكثر بعض الشيء، وهي الأخرى بادلتني نفس الشعور أو ما يزيد، وعندما علم يوري المتغطرس بذلك، أرسل إلي رجاله الذين ساقوني إليه في ذل ومهانة، ثم أتى بتلك الفتاة أمامي وقام بنفسه بـ...

لم يستطع كيلاري إكمال حديثه نظرًا للأذى النفسي الشديد الذي يعانيه وهو يقص مأساته على أدلر، ولم يمتلك أدلر الجرأة

أو لنقل الوقاحة الكافية ليطلب من كيلاري الاستئناف، لكن كيلاري عاد واستكمل حديثه بأسلوب كنائي حين **قال:** قاموا بجعلي عقيمًا أدلر، تمنيت الموت ألف مره لكن ذلك المتجبر أبى أن يخلصني من حياتي، بل قرر أن يقتلني كل يوم أكون مجبرًا فيه على التعايش مع تلك المأساة، فقدت فرصتي لأكون أبًا يا أدلر، لكني أدرك جيدا كل ما تشعر به أكثر من أي شخص آخر.

بعد تلك الكلمات استوعب أدلر ما حدث لكيلاري واستحى من الدموع التي تجري على خديه، على الأقل - إن كان هو والد الطفلين - فطفله الآخر ما زال على قيد الحياة، وسواء إن كان أو لم يكن والدهم، فهو لا يزال قادًرا على الإنجاب من أي مراه يتزوجها فيما بعد!

قام أدلر من مجلسه ليحتضن كيلاري مواسيًا إياه فضحك كيلاري ضحكة ساخرة **قائلاً:** يا رجل لا تجزع، لقد اعتادت قلوبنا على الصعاب والمآسي، نحن أبناء الموت وسكان جحيم الأرض.

أنهى ماركينا تلك المشاهد الدرامية الحزينة قائلاً - بنبرته الصارمة المعهودة ـ: يكفي ذلك القدر من وجبات البؤس الدسمة. نحن لا نفعل أي شئ الآن سوى إنهاك قوتنا المتواضعة أصلاً، والخطر يحيط بنا من كل جانب، ملك بوتانا وجنوده، الناريون، لا ندري من منهم سيتمكن منا قبل الآخر، لكننا نأمل ألا يكون هذا أو ذاك، لذا دعونا نلقي بعبء ما مضى، ونحمل أعباء ما هو قادم.

تنبه أدلر وكيلاري لحديث ماركينا الذي أكمل **قائلاً:** إن ظللنا هكذا لا نفعل أي شئ سوى الاختباء، فأمامنا مصير واحد ليس له ثاني الموت، سنهلك بسيوف جنود بوتانا، أما سنحمل على أذرع الناريين الى يوري، إما سنموت من الجوع والعطش بعدما ينفذ ما بالكهف من طعام.

كيلاري: إذن ماذا علينا أن نفعل؟

ماركينا: الناريون الآن مشغولون بأدلر أكثر من أي شئ آخر بكل تأكيد، أظن أنهم حتى إن رأوني سيتجنبون إهدار جزء بسيط من طاقتهم في الركض خلفي وإمساكي وحملي إلي يوري، هم الآن لا يعرفون أنني صديق هدفهم، أنا بالنسبة إليهم حاليًا هدف غير مرغوب فيه، يكادوا يخشون حملي إلى يوري فيستشيط الأخير غضبًا ويعاقبهم على تقاعسهم وعدم تمكنهم من أدلر.

كيلاري: لا أوافقك، لم لما تفترض أن تمكنهم منك وحملك إلى سيدهم سيكون بمثابة المخدر الذي سيُسكّن حنق يوري وغضبه حتى يتمكنوا من أدلر بعدك؟!

لم يجد ماركينا حجه شافيه يرد بها على استنكار صديقه وبدا وكأنه اقتنع بما قاله ثم **واصل:** على أية حال لن أظهر نفسي إليهم وسأستمر في التخفي، ما قصدت إيضاحه هو أن أدلر لن يخرج من الكهف إطلاقا في هذه الفترة لأي سبب، حتى تتبين لنا ميعاد خطوتنا القادمة.

كيلاري: وما هي خطوتنا القادمة إذن؟!

ماركينا: نيترو، خطوتنا القادمة هي نيترو، لن نستطيع المكوث هنا لمدة أطول، سنهرب إلى نيترو حينما تسنح لنا الفرصة.

كيلاري: لن تسنح!! كيف سنفعلها؟ كل الطرق مسدودة، الرحلات التجارية جميعها تحت إشراف الناريين، ولا يوجد هناك وسيله أخرى للخروج من كواسكا سوى بسفن أو قوارب الناريين وذلك لن يحدث بكل تأكيد وأيضًا قد تكون نيترو تحت مراقبة رجال يوري الآن بحثًا عنك!

كل الأبواب موصده أمام ما تقول.

ماركينا: بالتأكيد يوري قد قام بسحب كل رجاله الآن من أي مكان غير كواسكا.

كيلاري: لم كل هذا؟ من أجل أدلر؟ من أجل رجل واحد؟؟

ماركينا: إن هؤلاء القوم الذين يعتمدون على عدد غفير من الرجال في حمايتهم هم أكثر الناس جبنًا، كما أنهم لديهم الكثير من الأعداء، فان كسر ظفر احدهم ظنوا أن ذلك نتيجة لمكيدة محاكة ضدهم.

كيلاري: وماذا عن ما ذكرته بخصوص الرحلات التجارية في كواسكا ومراقبة الناريين لها وللشواطئ؟

ماركينا: ليس تلك هي المشكلة التي ستعرقل طريقنا.

كيلاري **بامتعاض:** أنا لا أفهم أي شئ على الإطلاق، وأكره أسلوبك البطيء ماركينا.

تغاضى ماركينا عن جملة صديقه الممتعض **وسأله:** هل تثق في صانع السفن أزولا؟

كيلاري: بكل تأكيد، قضيت سنوات عدة في خدمته، فديته بنفسي كثيرا حينما حاول لصوص كواسكا سرقة أخشابه ونقوده، إنه يعاملني كابنه وأثق به تمام الثقة.

ماركينا: رائع، أنت الآن مواطن عادي في كواسكا لا يحمل الناريون لك أي ضغينة، ستذهب إلى أزولا، وتباشر عملك معه كما اعتدت ثم تطلب منه أن يصنع لنا سفينة أو حتى زورق، أي شئ يستطيع أن يتجاوز بنا البحر نحو نيترو، ونرجو ألا يخذلك.

استمع كيلاري إلى حديث ماركينا ولم يجبه، لكنه لم يبدو معترضًا على تلك الخطة.

فهم ماركينا جواب صديقه بالموافقة من ملامحه **واستأنف:** ما يشغل بالي الآن هو من أي نقطة من شاطئ كواسكا ستقلع رحلتنا نحو نيترو، كل الخطوط السواحلية تحت المراقبة النارية، لكن ذلك الأمر سابق لأوانه وأسهل في تجاوزه من غيره، لذا سنتمهل وننتظر حصولنا على مبتغانا من أزولا.

كل ذلك الحديث يدور على مرأى ومسمع من أدلر الذي حاول مجتهدا إبداء تركيزه واهتمامه حتى يتفهم صديقاه أنه تجاوز نكسته وعاد لمواصلة الرحلة الثلاثية، لكن حروفه خانته حينما

نطق سائلا **كيلاري:** معذرة، لدي سؤال ما، لم كان طفل هيلدا ماكث في هذا المكان مع الرجل الناري الذي قتلته وزوجته؟!

شعر ماركينا بالغضب من سؤال أدلر في ذلك التوقيت، من المفترض أن النقاش الآن متمحور على ما هو أهم من هذا السؤال، يخططون للنجاة وادلر مازال سابحًا فيما مضى.

تدارك كيلاري الأمر وأجاب أدلر **قائلاً:** من المؤكد أن زوجة السيد يوري لن تقوم برعاية أبنائها بنفسها، تلك وظيفة جواري يوري، وجواري يوري هن زوجات الناريين؛ لذا قد تكون تلك المرأة هي من ترعى الطفل القتيل.

أدلر مرة **أخرى:** لكنك لم تجيبني على سؤالي، سواء كانت المرأة المقتولة هي من ترعى الطفل أم لا، لم ظل هذا الطفل هنا في حين غادر أخوه مع أمه وزوجها؟!

كيلاري: بالتأكيد أنا لا أعلم يا أدلر، ولا اعلم حتى إن كان افتراضي صحيحًا أم خاطئا، لكن مثلاً قد يكون الطفل في ذلك الوقت يتناول وجبته من ثدي الجارية، أو شيء غير ذلك، أنا لا أعلم وذلك السؤال لن يجدي بأي شيء الآن.

اقتنع أدلر بإجابة كيلاري أن الطفل الرضيع كان يتحصل على حصته من لبن الجارية، واقتنع أكثر بأن ذلك السؤال لا جدوى منه الآن؛ لذا عاد أدلر إلى اجتهاده في برهنة تركيزه واهتمامه بحديث ماركينا السابق، واشترك في الحديث قائلا وهو ينظر إلى **ماركينا:** لقد ذكرت أنني لن أخرج من هنا، وذكرت أيضا أن

كيلاري سيواصل عمله بشكله الطبيعي وسيطلب من أزولا ذلك الطلب. إذن وأنت؟!

ماركينا: مهمتي الأولى هي إيجاد طريقه ما لتوفير الطعام والشراب حتى لا نجد أنفسنا في مجاعة عندما ينفذ ما لدينا من مخزون، ومهمتي الفرعية هي تحديد طريقة ما تمكننا من الإقلاع من شاطئ كواسكا قاصدين «**نيترو**» دون أن نتعرض لخطر كبير.

بدا من كلمة كبير التي نطقها ماركينا أن الخطر موجود موجود لا محالة، لكن أقصى آماله ألا يكون الخطر كبير.. سحقًا!

تدخل كيلاري **قائلاً:** أما الطعام والشراب فأنا مسئول عنهم طالما سأعود لمواصلة العمل، أما عن تحديد نقطة الإقلاع، فاجعلها مهمتك الأولى ولتكن مهمتك الفرعية هي مساعدتي في نقل الطعام من بيت أزولا إلى هنا ليس أكثر.

ماركينا: لسنا أطفال في منازلهم نحظى بحياة مترفة، أسلك نفس الطريق التي تسلكه إلى الكهف متخفيا ليلا وقم بتأخير الطعام إلى الليل، لا مشكلة في ذلك، لن نخاطر بقدومك إلى هنا في وضح النهار من أجل الطعام!

كيلاري: وهو كذلك. اعتقد أنه علي أن أرحل الآن حتى لا يستطيل أزولا غيابي.

أدلر: لكنا مازلنا في وضح النهار فعلاً!

كيلاري: لا تقلق سأسلك ذلك الطريق الغائب عن الأعين وحتى إن رأوني، فلن يثير هذا استغرابهم، أنا أعمل مع صانع السفن الأكبر هنا، وكثيرا ما أتجول بحثا عن الأخشاب، طالما لا أحمل طعاما، وكأني ذاهب إلى زيارة أحد، فإن كل شيء على ما يرام.

صافح كيلاري الرجلين دون أن يتحدث أي منهم، لكن الأعين كانت ناطقة بأبلغ الألفاظ وأفصحها.

ينظر كل واحد منهم إلى صديقيه، وهو أما يرى فيهم أمله في النجاة، أو خطره الذي قد يقوده إلى الموت ولا يعلم أي الخيارين أقرب للحدوث!

على الجانب الآخر كان الناريون يعملون على قدم وساق للإيقاع بأدلر، كانوا ينصبون شركهم لاصطياد فريسة لا يعلمون مدى خطورتها، لا يعلمون أيا من أعدائهم قد يكون المتحكم في أدلر الذي هو – وبكل تأكيد – أداة مُسلطة عليهم من أحد الأعداء، كما جرت العادة بين تلك الجماعات.

أما في بوتانا، فالملك كان غير قادر على ممارسة حياته بشكل طبيعي أبدا، تؤرقه ورطته مع الناريين صباحًا ومساءً، لا يستطيع النوم ولا اتخاذ القرارات، ولا يستطع حتى أن يحظى بليلة مميزة مع أحد نساء القصر. أمر ملك بوتانا بتكثيف البحث

عن أدلر في بوتانا فربما عاد إليها بطريقة ما، كما أمر بزيادة أعداد الجنود المتوجهين إلى كواسكا لمساعدة الناريين في البحث عن أدلر هناك.

وصل كيلاري إلى أزولا واعتذر له عن تأخره، وتعلل بأنه كان يبحث عن بعض الأخشاب تسعفهم في صناعة السفينة النارية الضخمة المطلوبة. لم يأبه أزولا لغياب كيلاري من الأساس، ولم يعر انتباه لذلك الاعتذار.

باشر كيلاري عمله مع صانع السفن متحينًا الفرصة؛ كي يطلب منه طلبه الذي قد تتوقف عليه نجاتهم من أيدي الناريين، ومواصلة رحلتهم الصعبة، لكن أزولا في ذلك اليوم كان يبدو شارد الذهن، غير صاف البال، لابد أنه كان يفكر كثيرا كيف يقضي للناريين طلبهم حتى لا يقضون هم على حياته؛ لذلك رأى كيلاري أن الوقت غير مناسب لذلك الطلب، وفضَّل أن لا يخسر فرصته في ساعة من الساعات النادرة التي يتعكر فيها صفو العم أزولا، وقرر أن يعرض عليه الأمر في اليوم التالي..

أما أدلر وماركينا فمكثا في الكهف يقتاتان على الطعام الموجود ولا يتحدثان إلى بعضيهما البعض البتة. كان الأمر أشبه بشعائر جنائزية، كلاهما يسبح في خياله، أحدها يفكر في أولاده، الأخر يفكر في أخته، لكن كليهما يفكران في يوري وهيلدا..

مر ذلك اليوم الثقيل على هذه الحال؛ أدلر وماركينا في الكهف، كيلاري في عمله مع أزولا، الناريون في عملهم بحثا عن أدلر، جنود وحرس بوتانا يبحثون عن أدلر، بعضهم في بوتانا والبعض الآخر في كواسكا.

خلد كيلاري إلى نومه في ساعة مبكرة من الليل بنية الاستيقاظ مبكرًا والذهاب إلى صديقيه شبه المسجونين في الكهف، لكن في منتصف الليل كادت أن تفسد خطته، هجم حيوان مفترس على الغرفة الخشبية التي يرقد فيها العم أزولا، وكان كيلاري ينام في غرفة أخرى صغيرة ملحقة بالغرفة الأصلية، استيقظ كيلاري على صراخ أزولا الذي كان يخاف من تلك الحيوانات بطريقة لا توصف، نهض كيلاري مسرعًا، وحمل خنجره، الذي قلما استخدمه سوى في قتل تلك الحيوانات التي طالما ما تهاجمه في مكان عمله، أو في أرجاء كواسكا أثناء تجوله، قفز بخفة ورشاقة من جانب الغرفة، وثبت خنجره في رقبة ذلك الحيوان، الذي لم تتبين هويته في ظلام الليل الدامس، والذي كان يحاول اقتحام الباب الخشبي لغرفة أزولا لالتهامه، وكان قد أوشك على كسر الباب بالفعل..

دخل كيلاري إلى أزولا المسكين وهدأ من روعه، واخبره بأن كل شيء على ما يرام، وأنه قتل الحيوان المهاجم، تشبث أزولا بذراعي كيلاري وهو يرتعد، فضمه كيلاري إلى صدره وردد عليه كلمات التهدئة والاطمئنان مرة أخرى، كان يعامله كأبيه الذي

حرم منه مبكرًا، هدأ أزولا نسبيًا بعد قليل ثم تمتم بكلمات الشكر لكيلاري وأخبره أن لولاه كان سيصبح وجبة عشاء دسمة في هذا المساء. ضحك كيلاري وقال **له:** لا شكر على واجب، أنت كأبي.

فرد أزولا وهو يرسم ضحكة هزيلة كبنيان **جسده:** ونعم الابن أنت يا ولدي.

رأى كيلاري أن هذه اللحظة هي الأنسب على الإطلاق ليطلب من أزولا ما يريد، كانت هذه اللحظة ـ بكل تأكيد – محورية في حياة كيلاري ورفاقه، العم أزولا الآن هو أملهم الوحيد في النجاة، وإن كان هذا الأمل أملاً ضعيفًا في الأساس.

خرج كيلاري خارج الغرفة وأخرج خنجره من رقبة الحيوان، ثم جرّه إلى داخل الغرفة للاستفادة من فروه، خرج إلى الباب مرّة أخرى ونظر في محيط الغرفة ليتأكد من عدم وجود حيوانات مهاجمة أخرى، لكن هذا ما بدا لأزولا، أما كيلاري فكان – في الحقيقة – يتأكد من عدم وجود أي من الناريين في محيط المكان..

على كل فالفارق ليس بكبير، أو أنه ليس هناك فارق جوهري بين الناريين والحيوانات الضارية، جميعهم يفتقدون العقل ويتجهون إلى القتل والتمثيل والخراب.

أغلق كيلاري الباب وشرع في صنع شراب دافئ للعم أزولا كي يحصل على راحته كاملة. راق ذلك لأزولا كثيرا وأثنى على كيلاري مرّة أخرى.

في هذه اللحظات بدأ كيلاري في عرض كلماته المصيرية على العم ازولا **قائلاً:** سيدي لي عندك حاجة وأرجو ألا تخذلني.

بدأ كيلاري حديثه بهذه الكلمات وهو يضم كفيه على بعضيهما ويضعهم في مستوى رأسه التي انحنت وهو ينظر إلى الأرض كنوع من الاحترام وإظهار حساسية الطلب.

مسح أزولا بيده على رأس كيلاري وطالبه بأن يعتدل في جلسته ويسرد طلبه الذي لن يتأخر عنه إن كان قادرًا على ذلك طبعًا.

اطمأن كيلاري نوعًا ما ثم **استطرد:** سيدي أود الذهاب إلى جزيرتي نيترو لمدة يومين فقط لا غير، اطمئن على بعض الأقارب وأعود سريعًا في الخفاء.

لم يفهم أزولا من كلمات كيلاري سوى انه يستأذنه في الغياب عن عمله لمدة يومين، ولم يكن هذا بالعائق الكبير، فرد أزولا **باستغراب:** وما المانع يا بني. لك ما شئت، لازال أزولا مُفعما بالطاقة ويمكنه تدبر أمره ليومين بدون مساعد.

ثم ضحك ضحكة صامتة.

كيلاري: أعلم ذلك يا سيدي تمام العلم لكنني لم أخبرك بحاجتي إلى الآن.

نظر أزولا كيلاري دون أن يتحدث لكنه ضيق عينيه محاولاً فهم ما يحدث.

استرسل **كيلاري:** أنت تعلم أنه لا يمكن الخروج من كواسكا إلا بأذن الناريين وهم الآن في حالة طارئة يبحثون عن قاتل صاحبهم؛ لذا فإن موافقتهم على ذلك الأمر هو ضرب من ضروب الخيال حاليًا.

أود أن تساعدني يا سيدي في صناعة أي قارب، أي شكل خشبي يستطيع نقلي أنا وشخصين آخرين إلى نيترو.

هنا شعر كيلاري بأنه اقترف خطئا جسيما لابد أن أزولا سيسأل عن هوية الشخصين.

وبالفعل لم تمر سوى بضع ثواني حتى سأل **أزولا:** ومن سيذهب معك؟

تدارك كيلاري الأمر بذكاء ثم **قال:** لا يا سيدي لن يذهب معي احد بل سآتي بشخصين معي من نيترو ليحترفوا أي حرفة في كواسكا تمكنهم من الحصول على قوت يومهم، أنت تعرف يا سيدي أن نيترو جزيرة فقيرة وكواسكا جزيرة كبيرة، والجميع هناك يطمح في القدوم إلى هنا.

صمت أزولا قليلا ثم **قال:** اسمع سأساعدك في ذلك ولكن بشرط أن تأتي لي بفتى مخلص وذكي مثلك تمامًا ليكون مساعدي الثاني.

تهلل وجه كيلاري **وصاح:** سآتي لك بالفتى الأكثر نضجًا وإخلاصًا في نيترو، بل في العالم اجمع. شكرًا جزيلاً يا سيدي كل كلمات الشكر لا تسعني للتعبير عن مدى امتناني.

أزولا: كيلاري كيلاري، لا عليك من هذا الكلام المعسول، قم وأخلد إلى نومك وأعلم أن من الغد ستزداد ساعات العمل حتى ننجز قاربك، وننجز سفينة الناريين الضخمة.

قفز كيلاري على الفور **وقال:** الرحب والسعة يا سيدي، سنبذل اليوم كله ونحن نعمل؛ لا أمانع.

ضحك أزولا **وقال:** إذن اذهب إلى نومك وسنبدأ العمل في الظهيرة.

خرج كيلاري من الغرفة وهو جزلاً منتشيًا بموافقة أزولا على ما كان يتمناه هو ورفيقاه، ثم دخل إلى غرفته وجلس بها إلى الفجر تقريبًا، وانصرف مسرعًا نحو الكهف.

استغرق وصول كيلاري إلى الكهف مدة أقصر من تلك التي كان يستغرقها في كل مرّة، ففي هذه المرّة كان كيلاري لا يسير، بل كان طائرًا بفعل رياح السعادة والارتياح.

وصل كيلاري إلى الكهف ثم طرق الباب الخلفي ففتح له أدلر الباب بسرعة وكأنه يجلس خلف الباب منتظرًا قدومه.

نظر ماركينا الذي كان متكئا على السرير إلى وجه كيلاري ثم اعتدل وهو يبتسم لابد أن هناك خبر سار فكيلاري لا تُرى البشاشة في وجهه سوى نادرًا، يبدو أن أدلر لاحظ ذلك أيضا حيث **صاح:** وافق أزولا؟؟؟

ما كان من كيلاري سوى أنه قام باحتضان أدلر، فصاح أدلر فرحًا وعلى أثر ذلك صفق ماركينا معبرًا عن سعادته، كان الجميع تحت ضغط جديد وها هي أول خطوة في خطتهم تسير كما يحبون، كاد ينسى هؤلاء الرجال أن هناك في قاموس الحياة ما يسمى بالفرح والسعادة قبل أن يأتي إليهم هذا الخبر؛ متخذًا أول خطوة في طريق انتشالهم من بئر الظلمات، كما انتشل المارة نبي الله يوسف.

أنهى ماركينا هذه المراسم الاحتفالية بشيء من الجد والحزم قائلاً بتعبيرات **جامدة:** جيد، أول خطوة سارت على النحو المأمول، ولنأمل أن نكمل باقي الخطوات بنفس الجد والالتزام. أبليت بلاءا حسنا يا كيلاري.

في هذه الأثناء وتحديدًا فور شروع أزولا في صناعة القارب سيتعين علي أن أقوم بمهمتي البحث عن نقطة للانطلاق منها نحو نيترو.

أدلر: سيكون الأمر خطرًا.

ماركينا: أعلم ذلك طبعا لكن ما باليد حيلة لابد أن أفعل ذلك.

كيلاري: وكيف ستفعل ذلك؟

تنحنح ماركينا ثم **قال:** في الواقع لا أدري سأخرج وأحاول.

بادر ماركينا بالشروع في شيء شجاع، قرار تحفه المخاطر، لكن لابد منه. إن فشل في الأمر سيقضى عليهم، وإن لم يحاول فيه سيقضى عليهم أيضًا؛ لذا من الأجدر أن يخوض في تلك المحاولة ويترك النتيجة تأتي كما تأتي.

خلق الله الناس أنواعًا كما صنف كل مخلوقاته من الناس من لا يسير في الحياة سوى بخطط مدروسة وأهداف موضوعة، سلسلة من القرارات معلومة العواقب ومؤمنة المخاطر، يسير فوق خريطة واضحة المعالم، واضحة التضاريس، التلال معلومة أماكنها، الجبال معلوم ارتفاعها، السهول معلوم عمقها، يدري أين يضع قدمه، ويدري الموقع القادم لقدمه، والأشد تمييزًا لهذا النوع من الناس، إن قدمه لا توضع بل هو يضع قدمه؛ أي باختياره دومًا.

ومن الناس من يترك شراع قاربه لأمواج بحر الحياة، يواجهها في وقتها حسب شدتها، لا يعد الخطط، بل يتخذ القرارات في حينها، إن كانت الرياح عاتية والأمواج عالية، يحاول أن يخوض البحر بأقل الخسائر الممكنة، ولا ينكس شراعه، إن كانت الرياح هادئة والأمواج منخفضة، يحاول استثمار ذلك السكون بقطع المسافة الأكبر في الوقت الأقل. وفي الواقع كلا النوعين ناقص النوع الأول لا يصل سوى للأهداف المضمونة، لا يعتمد على النتائج المتأرجحة، فلا يقطع الطريق نحو الأهداف بعيدة المدى من الأساس، تنتهي رؤيته للأهداف بتجاوز تلك النقطة التي ينتهي عندها نور عينيه، أما النوع الثاني.. فهو يرى بنور فؤاده وضياء

عقله، يطمح فيما هو بعيد دائما، لا سماء لآماله، ولا حد لأهدافه، لكن مخاطر طريقه ليست مضمونة دائمًا، فقد يهوى وتنكسر رقبته في أي وقت دون سابق إنذار.

كلا النوعين ينقصه بعض من صفات النوع الأخر، فإذا وجدنا نوع ثالث من البشر يتمتع بروح المغامرة، ومع ذلك يأخذ الاحتياطات اللازمة، نوع يمتلك مزيج من صفات النوعين السابقين، فسيكون هو النوع الأفضل على الإطلاق، ومن نظرة أخرى بعيدة المدى تتجلى إلينا هنا واحدة من أهم مميزات الصداقة، عندما تصادق شخصًا أو أكثر يكمل كل منكم الآخر، تحيك بخيوط ميزاتك خروقات عيوب صديقك، وتغطي مميزات صديقك على أسطح عيوبك العارية. تلك التوليفة دائمًا ما تنجح، ولكن لابد أن يتوافر الحب، الإخلاص والأمانة.

وهو ما يأمل كل من أدلر، ماركينا، وكيلاري أن يجده في صديقيه.

كان كيلاري قد عاد إلى العم أزولا للبدء في الأعمال الشاقة، سيتعين عليه مضاعفة مجهوده في العمل حتى يتمكنا من إنجاز سفينة الناريين الضخمة، والقارب المتواضع الذي طلبه من العم، رغم أن العم أزولا أقدم وأمهر صناع السفن في كواسكا، والجزر المجاورة لها، وقد صنع العديد والعديد من السفن التجارية

والحربية وغيرها، إلا إنه عندما ينجز هذا القارب، سيكون أقيم ما صنعه على الإطلاق منذ أن احترف صناعة السفن. القارب ذو الأهمية الكبرى، الذي قد ينقذ حياة كيلاري وصديقيه، ويعطيهم أملاً جديدًا لمواصلة رحلتهم الشاقة.

أما أدلر فهو كالعادة ظل سجين الكهف لا ينبغي أن يخرج من بابه حتى وفي الوقت ذاته، كان ماركينا قد استعد للخروج، والبحث عن نقطة ما ينطلق منها قاربهم بعد صناعته.

كان يوم كيلاري شاقًا حقًا لكن بحلول الليل كان قد أنجز برفقة أزولا جزءا جيدا من قاربه، وآخر أكبر من سفينة الناريين التي هي وبكل تأكيد الهدف الأول لأزولا؛ حتى لا تذهب حياته سدى لتأخره في صنع سفينة نارية، ولكن مشقة يوم كيلاري لا تمثل شيئا بالنسبة للعبء الذي يتحمله ماركينا، فقد خرج بحلول الليل وهو ملثم ويمشي في تثاقل وريبة؛ حتى أن تحركت بعض حشائش الأرض تحت قدميه، وهو يسير، ظن أن هناك من يلحق به وسيهوى عليه سيف أحدهم ليطيح برأسه الضخمة في الحال..

قطع ماركينا الطريق الوعر إلى الساحل، لم يعمد إلى الطريق الرئيسي لأنه دون شك مراقب من قبل الناريين، ومدجج بهم، لم يكن الناريون يعيرون ذلك الطريق الوعر أي اهتمام؛ لأنه كان فرعيًا، صعبًا، مليئًا بالصخور غير المستوية، والحيوانات الضارية، وشعب كواسكا دون استثناء أجبن من مجرد محاولة خوضه. أولاً

لأنهم لا قبل لهم بمشقة الطريق ومخاطره، وثانيًا لأنهم لا يجرؤون على المضي قدما في فعل قد يغضب عصبة النار منهم.

بعد تجاوز بعض العراقيل المحتملة، وصل ماركينا إلى نقطة تجعل شاطئ البحر واضحًا له بشكل جيد، حاول تأمين تلك النقطة وتفحص المسافة المحيطة به من كل الجوانب؛ ليجعل تلك النقطة هي نقطة انطلاقه في الاستكشافات القادمة. حتما لن تنجز تلك المهمة في وقت قصير..

أمن ماركينا النقطة كما أراد، ثم حفر حفرة كالتي يدفن فيها الأموات في كواسكا، أو للدقة كالتي كان يقطنها بعد هروبه من يوري ورجاله، هو معتاد على ذلك الأمر، كما انه رأى أن الناريين إن مروا من هنا، لن ينتبهوا لحفرة ميت، وهو ما سيوفر له قدر مقبول من الحماية.

تجرد ماركينا من درعه – الذي كان يحمله دومًا بيسراه لتفادي ضربات السيوف في أي نزاع محتمل – ووضع خنجره فوق الدرع، ولم يبقي معه سوى سيفه، ثم أخذ يقطع خطوات عرضية بطيئة في محاولة لتبين أي نقطة من الساحل، تكون أكثر أمانًا للانطلاق منها، دون أن يراهم أحد، الأمر ليس بيسير حيث أن النقطة التي ينبغي على ماركينا إيجادها يجب أن تكون مؤمنة، كما ذكرنا، ولها طريق مؤمن أيضا يمكنهم من جلب القارب إليها دون أن يعترضهم أحد، وجلب القارب لن يكون بالأمر الهين أيضا، لكن دعنا نسير مع المحارب ماركينا خطوة بخطوة..

بعدما قطع ماركينا مسافة عرضية بسيطة، رأى مساحة من الساحل بعيدة بعض الشيء عن أقرب سفينة نارية مجاورة، أو برج مراقبة. كسر ماركينا بحذر فرع من فروع الشجرة التي يقف بجوارها كي يترك علامة ما لهذه النقطة ثم واصل السير لعله يجد نقطة أكثر أمنًا.

بعد حوالي نصف ساعة من السير العرضي البطيء المملوء بالالتفات يمينًا ويسارًا، وإلى الخلف، وصل ماركينا إلى نقطة أخرى محيرة نوعًا ما قد كانت هذه المساحة من الساحل بعيدة بمسافة مثالية عن سفن الناريين وثكناتهم البحرية، لكن كان هناك برج من أبراج المراقبة يقع على مسافة قريبة منها..

من المعلوم أن أبراج المراقبة التي تقع على الساحل المؤدي إلى نيترو لا تعمل بكامل طاقتها فمن المستحيل أن يكون الخطر الذي سيهدد الناريين قادمًا من نيترو الجزيرة الهزيلة البائسة، لكن الناريين يقيمونها كنوع من الاحتياط لإرهاب من يحاول التقدم من خلالها، أو لتوفير فرص عمل مريحة لذويهم، أو لأسباب أخرى لا يعلمها ماركينا، ظل ماركينا يفكر بضع دقائق ويطرح على نفسه الأسئلة ويجيبها بأكثر من إجابة، ثم رأي أن هذا ليس هو المكان المناسب للتفكير، قطع فرع الشجرة التي أمامه، ثم قصد العودة إلى نقطة انطلاقه مرة أخرى ليأخذ درعه وخنجره، ويرجع إلى الكهف على أن يعود في اليوم التالي ليتأكد من أنه قد اختار المناطق المناسبة وأن الناريين لا يمكثون فيها، فالتروي

في تلك الحالة مطلوب حتى لا يرتكب خطأ ساذج يودي بحياته وحياة صديقيه..

عاد ماركينا إلى الحفرة التي صنعها حتى ينتشل درعه وخنجره ويعود بسرعة شديدة إلى الكهف قبل أن ينفجر قلبه من شدة خفقانه؛ نتيجة الخوف والتوجس، لكن قلبه كاد أن ينفجر حقًا عندما رأى حفرته منبوشة واضحة العمق لا تغطيها الرمال، ظل ماركينا مندهشا ينبش بيديه محاولاً استخراج الدرع والخنجر لكن لا جدوى، أحدهم قد توصل إلى الحفرة ونبشها واستخرج ما فيها، وضع ماركينا يديه على رأسه، وفي الواقع هو لا يدري لما وضعهما هكذا، هل يتخذ وضع الاستسلام لأنه طالما لم يجد الخنجر والدرع فبالتأكيد هناك من وجدهم، واستتر خلف أحدى الأشجار منتظرا عودته حتى يقبض عليه، أم يضعهما بدافع الحسرة والندم على تهوره في أخذ تلك المخاطرة وحماقته عندما ترك الخنجر والدرع مدفونين بالحفرة، أسمه محفورا على كليهما، ولا بد أن من وجدهم هو احد أفراد قوى النار. الآن هم تأكدوا من وجوده وانه يخطط لشيء ما، كل هذا دار بعقل ماركينا الذي كاد أن يفقد صوابه قبل أن يستفيق لنفسه، ويعزم على الركض بسرعة الريح محاولاً الهرب، لعل هناك أي منفذ أخر ينجيه من المصير المظلم الذي يراه.

استدار ماركينا ونزع لثامه الذي لم يعد له فائدة من الآن وتأهب ليقطع ذلك الطريق في أقصر وقت ممكن، لكن شيء ما سكن آلام ماركينا جزئيا ورطب قلبه، لقد لمح الدرع والخنجر في وسط الطريق على مسافة بضعة أمتار، جثا ماركينا على ركبتيه وهو يحاول تهدئة نفسه وإقناعها بان أمره لم ينكشف بعد. لابد أن الذي نبش الحفرة واستخرج أشياء ماركينا، وتركهم في وسط الطريق، هكذا هو حيوان لعين كان يبحث عن وجبته في حفر الأموات – وبالمناسبة كان ماركينا معتادًا على هذه الهجمات من الحيوانات، عندما كان يسكن هذه الحفر – لكنه لم يجد ما يريد؛ لذا رحل وترك الدرع والخنجر في هذا المكان بهذا الشكل..

ارتاح ماركينا قليلاً، لكن الخوف ما يزال يسري في عروقه كسريان الدم؛ لذا ركض ماركينا مسرعًا نحو الدرع، والخنجر، لكنه بعد مسافة شحيحة جدًا اعترضت قدميه حجرة صغيرة عرقلته، فانكب على وجهه، وارتطمت رأسه بالأرض الصلبة، وفي نفس لحظة ارتطام جسد ماركينا ورأسه بالأرض، ارتطم خنجر احدهم في الشجرة التي تجاور خنجر ماركينا ودرعه!!

في لحظات قليلة، وقبل أن يفهم ماركينا ما يجري حوله، ظهر أحد الناريين وهو يسب ماركينا ويلعنه **قائلاً:** ألا تزال على قيد الحياة أيها الوغد؟

كان هذا الناري هو ريتشا **(قائد الناريين في كواسكا والذي كان يترأسهم عندما رأوا أدلر يقتل صديقهم على الشاطئ كما ذكرنا سابقا)**..

كلا الرجلان يعرفان بعضهما جيدًا..

نهض ماركينا ونظر إلى الرجل ـ الذي لابد أنه شارك في حرق أخته المسكينة – وخطف النظر إلى جانبه كي يتأكد من أنه أعزل لا يمتلك سوى الخنجر الذي ارتطم بالشجرة، وسقط على الأرض منذ لحظات. يبدو أن ريتشا كان يتسكع بين الشجيرات أو يواعد إحدى زوجات أحد الناريين في الخفاء، فالخسة والنجاسة تجري في دماء هؤلاء البشر.

تقدم ماركينا نحو القائد ريتشا بخطوات واثقة يقودها الغضب والرغبة في الثأر أما ريتشا فظل واقفا مكانه في شموخ وكأن عدوه هو أرنب بري وليس محاربا محنكا ضخم الجثة كماركينا.

ذلك الهدوء الذي تمتع به ريتشا استفز ماركينا الثائر من الأساس فبدل مشيه بالركض نحو ريتشا الذي لا يزال ثابت لا يحرك ساكنًا وقبل أن يصل ماركينا إلى ريتشا بقليل مد الأخير يده خلف عنقه وأخرج سيفه من غمده الذي كان يحمله على ظهره ليجتز به رأس ماركينا المندفع غير القادر على التراجع ـ حيث أن المسافة المتبقية بينه وبين ريتشا لن تمكنه من ذلك ـ أدرك

ماركينا في تلك اللحظة أن موته أصبح أمر مؤكد ومسألة وقتية ستنفذ في خلال ثواني لا محالة..

في ثواني قليلة كان ريتشا قد رفع سيفه بشدة وعنف وهو يصيح صياحًا يكاد يصم الأذن ووجه سيفه ليهوى على عنق ماركينا الذي أغلق عينيه وسلم للقدر الذي قضى بفراقه الحياة بهذه الطريقة..

لكن بدلاً من أن يتلقى ماركينا ضربة سيف على عنقه قد اصطدم بجسد ريتشا وسقط فوقه على الأرض ماذا حدث في الثواني التي أغلق فيها ماركينا عينيه!

لا يدري فتح ماركينا عينيه سريعًا ليجد انه ينام فوق جسد دون رأس.! انفصلت رأس ريتشا عن جسده!!

نهض ماركينا مسرعًا غير قادر السيطرة على حركاته اللاإرادية التي تجبره على التلفت في كل الاتجاهات بسرعة بالغة ويحملق في ما يحيط به تارة وفي جسد ريتشا تارة، وفي رأس ريتشا المقذوفة بعيدا تارة أخرى. من فعل هذا!

هل هي عناية السماء، هل هي العناية الإلهية. ماذا حدث؟!!

في ظل حالة الذهول هذه ركل احدهم بقدمه ظهر ماركينا الذي استدار مسرعًا بعد أن تقدم بعض الخطوات ليرى أمامه شيء أشبه بالشبح الضخم، يمتطى جوادًا أسودًا أصيلاً، ويرتدي رداء أسودا ولثاما أسودا، ويتطاير شعره الكثيف الطويل من كل

الجوانب، تراجع ماركينا في ذعر قبل أن يتحدث هذا الضخم بصوت شديد الغلظة **والخشونة:** الآن أهرب.

ثم اختفى الضخم بحصانه الذي كان يقطع الأرض بسرعة الرياح ويضربها بيأس الأسود.

في غضون لحظات كان ماركينا يركض ويركض ويركض بكل ما لديه من قوة تسيطر عليه حالة الهلع للدرجة التي تجعله يكاد يضل طريق العودة، تتراقص أمامه الشجيرات والأحجار والصخور، وهو لا يعلم أين يضع قدمه كل ما يعلمه أن عليه مواصلة الركض إلى أن يجد نفسه داخل الكهف بجانب أدلر، لكن قبل أن يخرج ماركينا من وسط الأشجار سمع صوت ذلك الشبح الغليظ مرة **أخرى:** تذكر دائمًا الضوء الأخضر.

بكل تأكيد لم يأبه ماركينا لهذه الكلمات غير المفهومة من هذا الضخم غير معلوم الهوية الذي قد يبدو جنيًا ليس من بني الإنسان من الأساس، نعم هو بالتأكيد جني خارق للطبيعة.

واصل ماركينا الركض دون توقف إلى أن التصق جسده بباب الكهف الخلفي واخذ يطرقه بما تبقى لديه من قوة، فتح أدلر الباب ليجد ماركينا الضخم يسقط فوقه بكامل جسده أسند أدلر ماركينا بصعوبة وادخله إلى الفراش وأغلق الباب ثم احضر إليه بعض المياه وسأله في **ذعر:** ماذا حدث لك؟؟

ماذا جرى؟

نظر ماركينا إلى أدلر وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يشير إليه بأصابعه كي يتمهل ويكف عن الأسئلة.

لكن هذا **لم** يردع أدلر الذي **واصل:** هل أصابك شيء؟ هل هناك جرح ما؟

أين درعك وخنجرك؟

ماذا حدث لك يا رجل؟!!

اجبني فورا

صرخ ماركينا في هذه **اللحظة:** كف عن هذا أدلر

تدارك أدلر الموقف **وقال:** حسنًا حسناً أنا آسف لذلك اهدأ أولاً **لا** بأس.

اتخذ ماركينا وضع النائم على ظهره ووضع يده فوق جبينه واخذ يبلع ريقه بصعوبة وهو يغلق عينيه، وأدلر جالس أمامه يراقبه ويحاول تفحص جسده لعله يجد جرح غائر يجيبه على سبب تلك الحالة التي يرى عليها صديقه..

كان ظلام الليل بدأ في الانجلاء حينما طرق باب الكهف مرة أخرى سأل **أدلر:** من بالباب

ليجيبه **الطارق:** كيلاري.

فتح أدلر الباب وادخل صديقه وتصافحا.

رأي كيلاري ماركينا وهو راقد في الفراش وتبدو عليه علامات الإعياء فسال في تعجب عما حدث.

اخبره أدلر بما حدث تفصيلاً منذ عودة ماركينا فالتزم كيلاري بطلب ماركينا هو الآخر وجلس صامتًا يراقبه.

بعد عدة دقائق، أخيرا اعتدل ماركينا في جلسته ببطء ثم نظر إلى صديقيه وبدأ في **التحدث:** لا أصدق إني أراكما الآن، لا اصدق إني جالس في الكهف ومازلت قادر على التنفس.

حاول صديقاه أن يحافظا على صمتهما رغم كل التساؤلات التي تمزقهما تمزيقا، ويبدو أن هذا الالتزام راق لماركينا الذي **واصل:** سأقص عليكما ما حدث لعلكم تجدون تفسيرًا لما رأيته.

بعد أن انتهى ماركينا من رواية ما حدث إلى صديقيه بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة عاد إلى وضع النائم على ظهره لكنه لم يغلق عينيه **وتابع:** الآن هل تجدون تفسيرًا لهذا؟

أجاب أدلر **مسرعًا:** بالتأكيد أمر ذلك الضخم الذي تميز بالأسود الكامل محير جدًا ولا أجد له تفسيرًا، أما ريتشا هذا فيبدو انه نبش حفرتك واخرج الخنجر والدرع وتحقق من صاحبيهما بعدما قرأ أسمك، ثم نصب لك ذلك الفخ بوضعهم بعيدا حتى تذهب لالتقاطهم بعدما ينخلع قلبك عندما تجد الحفرة فارغة فتفقد تركيزك تمامًا، ثم عندما تذهب وتلتقطهم يوجه خنجره إليك ويقضي عليك، لكن هذا الحجر الذي أسقطك كان بمثابة القشة التي انتشلت الغريق من الموت.

يبدو أن هؤلاء المحاربين بارعين حقًا! في دقائق كان قد توصل لخطة لتشتيت تركيزك وإرهابك والقضاء عليك!

أردف **كيلاري:** أوافق أدلر في كل ما قاله هذا هو التفسير السليم والواضح لما حدث ولا يحتاج تدقيق أكثر من ذلك، وهذا الضخم هو لغز محير بكل تأكيد.

ساد الصمت قليلاً بعد ذلك وكل من الأصدقاء الثلاثة يبحث في ثنايا عقله عن تفسير لهذا الضخم!

لكن ماركينا قطع هذا الصمت **قائلاً:** على أية حال كيف تسير الأمور المتعلقة بالقارب:

كيلاري: على نحو جيد جدًا كل شيء على ما يرام وقطعنا شوطًا مُرضيًا جدًا في صناعة القارب عكر صفونا أمر بسيط لكن مر بسلام.

أدلر وماركينا في آن **واحد:** ماذا حدث؟

كيلاري: جاء إلينا ثلاثة من رجال ريتشا يسألون عن مستوى التقدم في صناعة سفينتهم، فاخبرهم أزولا أن كل شيء يسير بشكل جيد ولم يتبق الكثير لكن أحدهم شاهد القارب فسال أزولا عن سبب صناعته فمن المؤكد أن قوارب البحارين في كواسكا لا يتسلمونها سوى بإذن من الناريين ولم يطلب أحد البحارين في كواسكا هذا الإذن منهم مؤخرًا فأجابه أزولا بعد أن تردد قليلاً بأنه يصنع هذا القارب حتى يكون جاهًزا حينما يطلبه احد البحارين فيبيعه إليه في الحال بدلاً من أن يشرع في بدايته وقت الطلب، فهو أصبح رجلا عجوزًا غير قادر على تسليم البحارين قواربهم في الأوقات المطلوبة، امتعض ذلك الناري من إجابة أزولا وبدا

انه ارتاب قليلاً لتردده، لكنه ركل القارب ركلة خفيفة دون أن يتحدث وانصرف.

أدلر: يبدو أن العثرات تحوطنا من كل الجوانب! تبًا

أما ماركينا فقال في **هدوء:** دعك من هذا، كل هذا متوقع، واصل العمل على إنجاز القارب في أسرع وقت، ولا تنقص من جهدك في صناعة سفينة الناريين، حتى لا يغضب منك أزولا فنخسر صفقتنا.

سأخرج غدًا إلى مكان النقاط مجددًا لأتأكد من أنها بعيدة عن ارتياد الناريين.

بعد أن قال ماركينا ذلك عقّب أدلر ناهًرا **إياه:** ليس الغد!

اهدأ قليلاً، اليوم عدت بمعجزة دون خنجرك ودرعك، الغد قد لا تعود.

عند ذلك صاح ماركينا **بشدة:** الخنجر والدرع!! قد يجدهم أحدهم! اسمي محفور على كليهما

لا بد أن أخرج إليهم في الحال.

رد كيلاري في **غضب:** هل ترى نفسك قادرًا على الذهاب إلى الخلاء لقضاء حاجتك بمفردك وأنت على هذه الحالة؟

على كل لقد بزغت الشمس، ستضطر رغمًا عنك الانتظار إلى أن يحل الليل حتى تذهب وتتفقدهم، نأمل جميعًا أن تجدهما حيثما تركتهما.

عقب **أدلر:** نأمل أن لا أحد مر من هناك، فقد يجدهما ويجد فخًا آخر منصوب بجوارهما.

قطع كيلاري الصمت السائد **قائلا:** حسنًا، سأذهب إلى أزولا لأباشر العمل

ثم التفت إلى أدلر **وأكمل:** لا تتركه يخرج من الكهف بهذه الحالة أبدا.

أومأ أدلر برأسه ثم نهض ليصاحب كيلاري إلى باب الكهف ليغلقه خلفه.

عاد أدلر إلى ماركينا الذي لازال راقدًا في فراشه يحملق في جدران الكهف وعقله سابح في بحار العواقب الوخيمة، فضل أدلر أن يظل صامتًا ولا يرهق ماركينا في الأسئلة أو الطلبات، فأسند رأسه إلى الجدار وسافر هو الآخر بعيدًا بخياله سافر إلى الأرض التي تسكنها هيلدا وابنه، أو الذي قد يكون ابنه..

بعدما أخذ الخيال حصته من الوقت تنبه أدلر لماركينا المرهق الذي غلبه النوم عندئذ استراح أدلر بعض الشيء، وقرر أن يحصل على قسط من الراحة هو الآخر..

ساعات قليلة حتى استيقظ أدلر من نومه على صوت حركة ماركينا، يتجهز ليخرج باحثًا عن درعه وخنجره.

نظر أدلر حوله ليتأكد أن الليل قد حل قبل أن يوجه السؤال إلى **صديقه:** إلى أين؟

ماركينا **بسخرية:** لا أعلم أفاضل بين الذهاب إلى قصري الفاخر لأضاجع جارية حسناء أو الذهاب إلى سفينتي العملاقة لاستجم على الشاطئ ما رأيك حيال ذلك؟

شعر أدلر بالحرج لسذاجة سؤاله ثم تنحنح **وقال:** حسنًا، ستتقصى الخنجر والدرع، آمل أن تعود معافى.

وضع ماركينا كفه على خد أدلر **وقال:** آمل أن أعود.

خرج ماركينا بخطوات سريعة كأنه لا يهاب الموت وما أن أغلق باب الكهف خلفه حتى سمع الباب يفتح مره أخرى فالتفت ليجد أدلر يحمل سيفه.

امتعض ماركينا لأنه ظن أن أدلر يريد الذهاب معه فصاح **فيه:** هل فقدت عقلك؟

رد أدلر **بسرعة:** لا لا لا.. أود الذهاب أعلم أنه مستحيل لكنك خرجت دون خنجر أو سيف!!

خذ سيفي.

في حركة سريعة أخرج ماركينا سيفه من غمده المختفي بين ملابسه **وقال:** أنها خدعة بسيطة من خدع المحاربين أيها البحار.

ثم ابتسم ابتسامة سريعة واستدار ليواصل طريقه..

اطمأن أدلر بعض الشيء وأغلق الباب وعاد إلى الكهف.

كان ماركينا يعلم الطريق الذي سلكه المرة السابقة جيدًا، لكنه فضل أن يذهب من طريق ملتوي بعض الشيء ليتفادى الفخاخ المحتملة.

استغرق الأمر بعض الوقت لكنه في النهاية وصل الى موقع ما يمكنه من رؤية حفرته حيث ترك الخنجر والدرع أول مرة راقب ماركينا المكان جيدًا وبحذر ليتأكد من انه خالي تمامًا..

وما أن تأكد حتى أسرع نحو الحفرة ينظر بها فوجدها فارغة ثم تذكر انه ترك خنجره ودرعه في المكان الذي قتل فيه ريتشا..

استدار سريعًا وأخذ يبحث أمام كل الأشجار المجاورة لكنه لم يجد أي شئ سرى الخوف في عروقه الآن الأمر مؤكد والأمل مبتور..

لقد حصل الناريون على الخنجر والدرع وتأكدوا من وجود ماركينا في كواسكا وأنه يخطط للهروب منها عن طريق البحر لقد باءت الخطة بالفشل قبل أن تبدأ من الأساس!!

أخذ ماركينا يوبخ نفسه على تهوره وعلى المصير الأسود الذي قاد نفسه وصديقيه إليه لكنه لم يترك المكان يذهب ويجئ بين الأشجار وكأن عقله رافض الاقتناع بأن فرصتهم الوحيدة للنجاة أصبحت في مهب الريح.

في الأخير استسلم ماركينا للأمر الواقع لا خنجر لا درع لا فائدة من القارب الذي يصنعه أزولا لا نجاة!!

سيظل ماركينا وصديقيه في كواسكا الى أن يموتون من الجوع أو يقتلهم الناريون ظل ماركينا يفكر في موته المحتوم هو وصديقيه حتى سمع صوت جلبة عظيمة يأتي من بعيد بين الأشجار..

نظر ماركينا فرأى على مدى بصره الكثير من شعلات النار مرفوعة لأعلى الكثير من السيوف البارقة بجوار الشعلات!

الأشجار تحترق الأصوات تتعالى وتزداد في صخبها وبريق السيوف يقترب أكثر فأكثر!

صفع ماركينا وجهه بقوة حتى يستفيق من حالة الذهول التي حلت به وجعلته غير قادر على تحريك قدمه من موضعها، نظر إلى الطريق الملتوي الذي جاء منه، حدد وجهته، ثم انطلق يركض مسرعا حتى لا يحرق بتلك النيران كالأشجار أو يطفئ بريق السيوف بدمائه!

للمرة الثانية ماركينا يهرب من هذا المكان وقلبه يكاد أن ينخلع من مكانه، وللمرة الثانية أيضا يعود إلى الكهف وقد كان بينه وبين الموت خطوات قليلة يبدو أن أدلر كان جالسًا خلف الباب مباشرة فما أن ارتطم جسد ماركينا بالباب حتى فتحه أدلر قبل أن يطرقه ماركينا.

في هذه المرة لم يكرر أدلر الخطأ مرة أخرى صمت ولم ينطق بحرف واحد حتى تحدث ماركينا من نفسه بصوت **متهدج:** لم أجد شئ.

رد أدلر في **ارتياب:** أهذا كل شئ؟

ماركينا: ماذا تعني؟

أدلر: يبدو عليك الفزع! هل حدث شئ آخر؟

ابتلع ماركينا ريقه ونظر الى الأرض وهو **يقول:** نعم، حدث شيء غريب.

ثم قص على أدلر ما رآه من نيران وسيوف وما سمعه من أصوات متعالية عنيفة.

أدلر: هل لديك أية تفسيرات؟!

ماركينا: للأسف لدي تفسير واحد، وجدوا درعي وخنجري وقاموا بتكثيف البحث عني في الأماكن المحيطة بالشاطئ.

أدلر: هذا يعني أننا لن نستطيع الاقتراب من الشاطئ! يا للمصيبةَ! لن نخرج من هنا حتى نموت!

وضع ماركينا يديه على رأسه وهو **يقول:** الأمر أصبح مستحيل أن نتسلل بقارب إلى الشاطئ دون أن يعترضنا أحد، لقد كنت بمفردي وكانوا على وشك الإمساك بي! لن نقدر على إيصال القارب إلى الشاطئ مهما حدث.

قال أدلر وبدا وكأنه يبحث عن أي أمل يمكنهم من التقاط الأنفاس ولو **مؤقتا:** أرأيت أي شئ يدل على أن من كانوا يحملون النيران والسيوف هم الناريون؟

ماركينا: لا، لكن لا أحتاج لذلك، من سيفعل هذا في تلك الجزيرة غيرهم

أدلر: أليس من الممكن أن تكون ثورة على الناريين؟

ماركينا: لا لا استبعد هذا تماما، هؤلاء الناس أجبن من التنفس أمام الناريين.

أدلر: قد يكون هجوما من أعداء الناريين؟

ماركينا: لا أعلم يا أدلر ولكني لا أعتقد ذلك، هل حدث الهجوم بعدما وجدوا خنجري ودرعي بيوم واحد على سبيل الصدفة!

أدلر: مما وصفته لي فالأعداد كانت كبيرة وتحمل سيوف ونيران وتحرق الأشجار، هل كل هذا من أجل رجل واحد؟ من أجل ماركينا فقط؟

ماركينا: قد سبق وذكرت لك أنه أمر طبيعي هم يظنون أنهم مستهدفون دائمًا نظرًا لعلاقاتهم المشبوهة المتعددة لذا قد يرون أن ماركينا هو فرد من مجموعة أفراد جاءوا لمراقبتهم أو مهاجمتهم أو أي شئ آخر..

تلقى أدلر الإجابة وصمت ولكن يبدو أنه لم يقتنع بما قاله ماركينا وتشبث بأمل أن تلك الجلبة عند الشاطئ لم يكن سببها الحصول على خنجر ماركينا ودرعه.

مرت ساعة أو بعض ساعة حتى سمعا طرقًا عنيفًا على باب الكهف يكاد أن يخلعه تسمر الرجلان مكانهما ولم يقدر أي منهما على النطق بأي كلمة!

قطع هذا الرعب صوت كيلاري وهو يصيح **بغضب:** أيها الحمقى أين أنتم؟!

استراح الرجلان لسماع صوت كيلاري وأسرع ماركينا نحو الباب لإدخال صديقه.

دفع كيلاري ماركينا من صدره دفعة عنيفة وأغلق الباب خلفه بعنف وهو يقول **بامتعاض:** هل قطعت أذانكم؟؟

حاول أدلر امتصاص غضب كيلاري وتأسف له عن التأخر في فتح باب متعللاً بالفزع من صوت الطرق العالي ثم بدأ يقص عليه ما حدث لماركينا حتى يبرر له خوفهما.

كيلاري: كنت أعلم أن ذلك سوف يحدث

اعتدل ماركينا في جلسته وهو ينظر لكيلاري وسأله **متعجبًا:** ماذا تقصد؟!

كيلاري: لقد وجد الناريون أغراضك.

ماركينا: أعلم ذلك لم أجد أي شئ في مكانه وعدت فارغ اليدين

أدلر: لا لم تعد فارغ اليدين حتى تحمل بشرى أننا سنموت قريبًا

امتعض ماركينا لتعقيب أدلر ونظر إلى كيلاري مشيرًا إليه بإكمال الحديث.

كيلاري: لقد عدت لاستكمل يومي الطبيعي مع العم أزولا، أعددت له طعامه ثم شرعت في إكمال سفينة الناريين حتى لا يغضب أزولا كما اتفقنا، بعد ذلك بقليل سمعت صياح عظيم آت من جهة ثكنات الناريين شعلات النار في الهواء وبجوارها بريق السيوف كما رأيت أنت تمامًا تملكني الهلع، وركضت سريعا إلى الجهة المقابلة لغرفة أزولا وتواريت بين الأشجار الكثيفة..

تقدم الناريين الرجل الذي كان قد نهر العم أزولا لصناعته القارب قبل ذلك ووقف أمام الغرفة وبجانبه سبعة من الناريين تقريبًا وخلفهم الكثير والكثير منهم، ثم تقدم منهم اثنان وخرجا بالعم أزولا من غرفته يجرونه جرًا دون حول له ولا قوة

صاح قائدهم في العم أزولا بعنف مستجوبًا إياه مرّة أخرى عن سبب صناعة القارب

لم يجب أزولا وظل يبكي في حالة من الفزع هنا اشهر قائد الناريين سيفه وأقسم بقتله

فأجابه أزولا مسرعًا وأخبره بكل شئ من ألف القصة إلى يائها، ضحك الناري ضحكة صفراء **وقال:** شكرا أزولا، والآن سأنفذ قسمي.

ووجه سيفه نحو ازولا فأخترق صدره الهزيل ومات في الحال..

بعد ذلك أمر رجاله بحرق غرفة أزولا والقارب وجمع الخشب المحترق بعد ذلك.

كل ذلك وأنا أراقبهم ولا أستطيع التنفس تقريبًا.

فعل الرجال ما أمر به قائدهم وجمعوا له الخشب بعد حرقه، فأخذ يرتب بعض القطع الخشبية المحترقة على الأرض بطريقة ما ليكون في النهاية جملة بالخشب المحترق..

أدلر: أتمكنت من قراءتها؟

كيلاري: نعم، كتب «**أهلا ماركي ومن معك**»

أحمَّر وجه ماركينا بعد سماعه تلك الكلمات، وارتعد جسده..

أدلر: ماذا يقصد بمن معك؟

كيلاري: بالتأكيد أنا أولهم لأن أزولا أخبره بكل شيء وأنا من طلب من ازولا صناعة القارب.

أدلر: وأنا؟

كيلاري: لا أظن.

ماركينا: بل ظن، كما أخبرتك أدلر، لابد أنهم ربطوا بين وجودك ووجودي وأننا متحالفان مع أحد أعدائهم الخارجيين.

أدلر: ما كل هذا؟!

الأمر أشبه بقصة خيالية!

ماركينا مخاطبا **كيلاري:** وكيف عدت إلى هنا؟؟

كيلاري: لم أكمل، بعد ذلك أمر القائد بعض رجاله بالذهاب إلى الشاطئ لاستقبال بعض الرجال أسماهم «**الملثمين**» وما فهمته من حديثه أنها فرقة خاصة بحماية يوري وأصحابه ذوي النفوذ قد أرسلها يوري من أجلك خصيصًا يا ماركينا فور علمه بأمر خنجرك ودرعك ومقتل ريتشا.

ماركينا: نعم نعم أعلم هذه الفرقة جيدًا، سمعت عنهم مئات القصص لكني لم أراهم سوى مرة وحيدة عندما كان يوري مهدد بالقتل في نيترو قبل أن يستولى عليها.

أدلر: لا يهم، ملثمون، ناريون، كلهم سواء.

ماركينا: أخطأت هناك اختلاف، الناريون يمتازون بالقوة. الملثمون يمتازون بالذكاء، هي فرقة حراسة خاصة ميزتها الأولى الحدس السريع.

أدلر: على كلٍ نحن في ورطة.

كيلاري: يبدو أيضا من حديث الناريين أن ملك بوتانا سيبعث أمهر رجال حرسه ليشاركوا الناريين في البحث.

أدلر: ملك بوتانا إذن أنا في الصورة بشكل واضح!
ليست ورطة هي ورطة عظيمة. كارثة!
كنت ممتعض لأننا لن نستطيع الاقتراب من الشاطئ..
الآن نحن لسنا في أمان في الكهف نفسه!
سيكثفون البحث ويجدونا لا محالة.

كيلاري: في الأخير ذهبت كل فرقة من الناريين لتنفيذ أوامر القائد ثم تسللت أنا بين الشجيرات ووصلت إليكم بأعجوبة.

أدلر: والآن.. ماذا سنفعل؟

لم يتلقى أدلر أية إجابة على سؤاله، فالتزم الصمت هو الآخر.

لم يمر من الوقت سوى ساعة أو بعض ساعة حتى سمع أدلر وصديقاه صهيل مرتفع ودق عنيف للأرض، يبدو أن مجموعة من الفرسان يمتطون خيولهم ويتجهون نحو الكهف!

أدلر: أوشكت النهاية! أو إننا قد انتهينا بالفعل.

ماركينا: صَه!!

صمت أدلر فورًا وبدا ماركينا ينصت جيدا لصهيل الخيول منتظرًا أي صيحة من صيحات الفرسان، لكن لا سوى صوت الخيول..

همس ماركينا بصوت **خافت:** يبدو أنهم فرقة من الملثمين

أدلر: وما الدليل؟

ماركينا: لا يسير الناريون بهدوء، لا بد أن يثيروا جلبة بأصواتهم المتعالية.

كيلاري: هذا صحيح.

قطع نقاش الرجال داخل الكهف صوت غليظ يبدو أنه لقائد هؤلاء الفرسان الملثمون حيث **قال:** أنتما الاثنان اتبعاني إلى داخل هذا الكهف، وأنت اعتني بالخيول وراقب الأمر.

من تلك الأوامر تبين للرجال أن هناك أربعة من الملثمين في الخارج، ثلاثة منهم سيتوجهون إلى الكهف بعد ربط خيولهم، أي في غضون بضعة دقائق..

على الفور أشار ماركينا لصديقيه بأن يحمل كل منهما سيفه، ويستتر في مكان ما، بحركات سريعة حمل الثلاثة سيوفهم واتخذوا أماكن تمكنهم من اصطياد الملثمين فور توجهم إلى الردهة الرئيسية للكهف.

وفي حركة سريعة أيضًا خلع ماركينا خوذته ورماها في منتصف الردهة، يبدو أنه يخطط لشئ ما..

اقترب صوت الملثمين من الباب الرئيسي للكهف وعلا صوت اصطدام لبلطة بالباب في محاولة لكسره وفتحه.

في هذه اللحظات همس ماركينا لزميليه بصوت خافت وأمرهما بانتظار إشارته للانقضاض على الملثمين فور دخولهم..

أخيرا انفتح الباب، دخل الملثمون إلى الكهف شاهرين سيوفهم يخطون بحذر شديد، كل منهما يرتدي بنطالا أسودا، وقميصًا أسودا، يغطيه درع معدني براق، وعلى رؤوسهم خوذة سوداء، ووجوههم مغطاة بلثام رمادي، كان زيهم أنيق حقًا ومثير للإعجاب والرهبة.

اتجه الفرسان للردهة الرئيسة واسترعت خوذة ماركينا الملقاة على الأرض انتباه قائدهم، أمر القائد أحد الرجلين بأن يأتي إليه بالخوذة وقد كان. كانت خوذة ماركينا مليئة بالنقوش والعلامات. في الواقع ليس لأي منها دلالة أو فائدة للفرسان، كان أحدهم اسم أخته وأخر اسم جزيرته نيترو وهكذا، لكن تلك النقوش بدت وكأنها شيء هام لقائد الفرسان الملثمين، وشعر أنه سيتوصل منها إلى أمر ما؛ لذا جلس على صندوق خشبي واضعا سيفه بجواره، وبدأ في قراءتها بحذر..

رأى ماركينا أن هذه هي اللحظة المثالية للانقضاض عليهم، قائدهم يجلس على الصندوق، وبجواره يقف فارسان أحدهما يتفحص الكهف بعينيه والآخر يسلط تركيزه مع قائده محاولاً مساعدته في القراءة وبالفعل أشار ماركينا لزميليه وفي الحال انقض ثلاثتهم على الفرسان...

بضربة سريعة أطاح أدلر برأس الفارس الأيمن، وفي الوقت ذاته اخترق سيف ماركينا عنق قائد الفرسان الذي كان يحاول التقاط سيفه من على الصندوق..

أما كيلاري فواجه بعض المقاومة وجرح في ذراعه لكنه تمكن من قتل الفارس الأيسر في النهاية..

انتشى أدلر وصديقاه لهذا الانتصار وتلك النشوى أنستهم أمر الفارس الرابع الذي كان ينتظر بالخارج، اقتحم هذا الفارس الملثم الكهف على الفور بعد سماع صوت احتضار أقرانه. كان كيلاري أقرب الرجال إلى باب الكهف..

على الفور أحاط الفارس رقبة كيلاري بذراعه الغليظ ووضع سيفه على رقبة كيلاري المجروح في ذراعه تسمر أدلر وماركينا في مكانهما دون أية ردة فعل تحدث الفارس الملثم بصوت هادئ ومستقر مشيرًا لأدلر وماركينا بأن يتجردا من سلاحيهما وبالفعل وضع كل منهم سيفه على الأرض في حذر وخضوع حتى لا يقتل صديقيهما بدأ الملثم يخطو إلى الوراء ببطء وحذر ساحبًا كيلاري معه وأشار إلى أدلر وماركينا ليتبعاه ببطء..

الوضع يتعقد ولا يعلم أدلر ولا صديقاه ما ينوي هذا الفارس فعله هل يقتلهم بالترتيب أم سيطلب المدد بطريقة ما ويأسرهم الثلاثة ثم يبعثهم إلى يوري ليفعل فيهم كيفما أراد!

بدأ أدلر وماركينا في طرح الأسئلة من نوعية «**ماذا تريد؟ أيمكننا التفاوض؟**» وأكثر من الهذيان غير المفيد..

أما الفارس فكان يتجه بكيلاري بخطوات ثابتة نحو الخيول ولا أحد يدري وجهته القادمة..

وفي وسط تعقد الأمور سقط سيف الفارس من يده فجأة!!

اندهش الجميع وهم أدلر وماركينا مسرعين نحو الفارس لتخليص كيلاري من قبضته لكن في غضون ثواني كان الفارس الملثم قد سقط على الأرض بفعل رمح اخترق ظهره واقتلع روحه!!

زادت الدهشة وعمّ الذهول!!

من أطلق هذا الرمح!! ولفائدة من!! ليس لهم من حلفاء! ولا أحد يعلم بأمرهم أصلاً!

صاح ماركينا بغضب **وعجز:** من هناك؟؟

قال أدلر **بسرعة:** لا فائدة من هذا، فلنتحرك نحو الكهف حتى لا توجه إلينا الرماح الآن على الأقل!

استجاب صديقاه لما قاله وتوجه الثلاثة مسرعين نحو الكهف وأثناء ذلك الفرار علا صوت غليظ **قائلاً:** للمرة الثانية، الضوء الأخضر كان حاضرًا.

لم توقف هذه الكلمات أدلر وكيلاري عن طريقيهما للكهف لكن ماركينا توقف على الفور واستدار باحثًا بعينيه عن ذلك الشبح الضخم الذي أنقذه قبل ذلك من سيف ريتشا قرب الشاطئ، لكن دون جدوى لا أثر لهذا العملاق.

عاد ماركينا إلى صديقيه **قائلاً:** أرأيتم؟ هو ذلك الشبح مرة أخرى.

أدلر: لا أفهم أي شيء من يكون هذا الرجل إن كان أنسيًا، الأمر لا يحتمل حيرة زائدة!

كيلاري: أنصتا. على أية حال هذا الغامض يأخذ صفنا، فمن الأولى أن نفكر الآن كيف سننجو من هذا الكرب، قبل أن نفكر في أمر الضوء الأخضر هذا.

أدلر: لا يمكننا البقاء هنا أكثر من ذلك سينتبه الملثمون والناريون لغياب رجالهم وسيكثفون بحثهم أكثر وأكثر وسيأتون إلينا ثانية تلك المرة كانوا أربعة رجال تمكنا من ثلاثة ومكنا القدر من رابعهم المرة القادمة لن يكونوا أربعة ولن يساعدنا القدر، وسنلقى حتفنا بكل تأكيد.

كيلاري: وإلى أين نتجه؟

أدلر: لا أعلم!

ماركينا: الأمر في غاية التعقيد والصعوبة تلك الفرقة من أبرع الحراس الشخصيين ليوري وذويه، افتقاد أربعة رجال من الملثمين سيكون بمثابة الكابوس، سيظنون أن الخطر الذي يلاحقهم كبير وجسيم، وسيُدعمون بتدعيمات هائلة وضخمة، قضي علينا.

من تلك الكلمات بادرت لذهن أدلر لفكرة قد تكون مجدية سأل أدلر **ماركينا:** ما صلاحيات الملثمين في هذه الجزيرة؟

ماركينا: أرأيت صلاحيات الناريين الصارخة؟ للملثمين صلاحيات أكبر منها.

أدلر: إذن سينصاع الناريون لأي أمر من تلك الفرقة، أليس كذلك؟

ماركينا: بكل تأكيد.

أدلر: حسنًا لدي خطة.

اعتدل ماركينا وكيلاري في جلستهما وحثا أدلر على التحدث بسرعة ما خطتك.

أدلر: أعلم إنها مخاطرة كبيرة لكن نحن في قلب الخطر من الأساس إذن فلنحاول ونختلق أمل النجاة من رحم الموت

كيلاري: أدلر.. أدلر لا لوقت لهذه المقدمات، نحن نعلم ذلك انطق!

أدلر: حسنًا سنرتدي ملابس الفرسان الملثمين ومن حسن حظنا أن زيهم التقليدي يستر كل بقعة من الجسد وصفتهم الأساسية هي أنهم ملثمون فاللثام جزء رئيسي من الزي لن يرانا أحد.

ماركينا وقد بدا معجبًا **بالفكرة:** وبعد ذلك؟

كيلاري **مقاطعًا:** نتخذ صفوف الملثمين لحين عودتهم إلى يوري ونصبح قد وصلنا إلى مبتغانا!

أدلر: للأسف سيكون ذلك مستحيلاً إن مكثنا وسطهم بعض الوقت سينكشف أمرنا عاجلاً أم آجلاً وسيكون الناريون هم من وصلوا إلى مبتغاهم بالقبض علينا وإرسالنا إلى سيدهم.

كيلاري في **خجل:** معك حق

أدلر **مسترسلاً:** سنتجه بهدوء وثقة إلى الساحل ونعطي أوامرنا للناريين بتجهيز سفينة سريعة تقلنا إلى الجزر السبع لأننا نحمل معلومات مهمة نريد إيصالها إلى السيد يوري ورفاقه.

ماركينا: اسمح لي لدي تعديل طفيف، إن طلبنا ذلك قد نعرض أنفسنا لخطر للملثمين قائد وسطهم ولا يمكن العودة إلى الجزر السبع دون أذنه إن مر هذا الخبر أمامه سيكتشف أمرنا في الحال

أدلر: إذن ماذا ترى؟

ماركينا: خطتنا القديمة نيترو سنتجه إلى نيترو، عندما نطلب ذلك سيظهر الأمر كأنه جزء من البحث! ولن يشك أحدهم في أمرنا.

كيلاري **بابتسامة:** إذن خطتنا القديمة ستعود للعمل وبمساعدة الناريين ومباركتهم دون حمل قوارب إلى الشاطئ، أو اختيار نقطة للانطلاق في الخفاء، أو الخوف من لحاق الناريين بنا!

ماركينا: نأمل ذلك.

كيلاري: خطة عبقرية أيها الشيطان أدلر وبهذه الطريقة لن يشعر الملثمين أنهم فقدوا ثلاثة من رجالهم أما الرابع فلن ينتبهوا لأمر رجل واحد منهم قد يظنون انه غرق أو انقضت عليه

الحيوانات المفترسة أو أي شيء، وبالتالي لن يكتشفوا البحث ولا أي شيء.

أدلر: حتى ولو اكتشفوا أمر الرابع وشكوا في قتله على أيدينا، سنكون في نيترو حينها.

ثم أردف **بسخرية:** إن نجونا ستصبحان مدانين بحياتكما للبحار أدلر.

ماركينا: كما قلت، إن نجونا، ولا أحد يعلم ما سيحدث في رحلتنا، قد ننتشلك من براثن الناريين خلال الرحلة أيها البحار، وقد تنجو وحدك.

أدلر: أيها المتشائم. هيا نتجهز.

قام الرجال يخلعون ملابس الملثمين وينظفونها من آثار الدماء ويرتدونها، وهَمَّ ماركينا المحارب المحنك بتحويل الخيول، وجثة الملثم المقتول بالرمح إلى داخل الكهف، حتى لا يمر احد الملثمين في هذه الأثناء ويرى جثة صديقه، أو الخيول تصطف أمام الكهف فيدفعه الفضول إلى داخل الكهف ليرى ماذا يحدث.

بعدما تجهز الرجال وارتدوا ملابسهم واعدوا السيوف.

أشار كيلاري إلى صديقيه بان يأخذ كل منهما سيف من سيوف الملثمين معه وان يخفي سيفه الأساسي في غمده، تلك التفاصيل الدقيقة قد تودي بحياتهم.

بعد ذلك رأي ماركينا إن ترك جثث الملثمين في مكانها هذا قد تعرضهم للتتبع السريع.

أدلر: إذن نخفيها

ماركينا: لا، سنحرقها

بدا ماركينا وكأنه متأثرا بذكرى حرق أخته وهو يقول ذلك لكن كيلاري تحدث مسرعا ليشتت تركيز **ماركينا:** إذن متى سننطلق؟

ماركينا: ليلاً، هِما بالحرق حتى لا يسرقنا الوقت.

أدلر: هناك شيء آخر، الخيل الرابع قد يكشف أمرنا أيضًا.

ماركينا: اقتله وأشركه في المحرقة.

وبالفعل قاموا بقتل الفرس الرابع وحرقه مع جثث الملثمين حتى أصبحوا جميعهم رمادًا وبقايا لا تتبين حينما تراها إن كانت هياكل عظمية لإنسان أم حيوان قتل من اجل عشاء لذيذ وحرقوا بقاياه!

حان وقت الانطلاق الآن!

لكن ماركينا طلب منهم مهلة لنصف ساعة تقريبًا، وهم بترتيب الرماد وبقايا الحريق بشكل ما حتى أنتج في الأخير جملة منقوشة بالرماد على أرض الكهف مفادها «**على الرحب والسعة**»

بهذه الطريقة كان ماركينا يرد على ما فعله الناريين حينما شكلوا بالأخشاب المحترقة جملة «**أهلا ماركي ومن معك**»، كما

رأى أنهم حينما يقرءون تلك الجملة ستؤكد لهم وجود ماركي وأصدقائه في كواسكا وستبعد الأنظار عن نيترو نهائيًا!

بدا الأمر مسلي لأدلر وكيلاري، لكنه كان بمثابة تحدي بالنسبة لماركينا الذي اطمأن نسبيًا لخطة أدلر كما اطمأن لوجود ذلك الشبح الغريب الذي ينقذهم من الموت «**الضوء الأخضر**» .

بعد ذلك ودع الرجال الكهف وامتطوا خيولهم وتوجهوا بكل ثقة وأمل نحو الشاطئ.

ها قد بدأت رحلة النجاة، أو الهلاك، أيهما أقرب.

لكن على أية حال، هم الآن يملكون الأمل، وسيحاولون قطع طريقهم المعتم بنور ذلك الأمل.

قطع الرجال الثلاثة بخيولهم المسافة وسط الأشجار والصخور والعشش المهدومة وحفر الأموات، قابلوا الكثير من المنعطفات حيث أنهم سلكوا الطريق الرئيسي، هم الآن بالزي الأكثر احترامًا في كواسكا كلها مروا بالكثير من الناريين وبعض الملثمين دون أن يتحدثوا لأحد أو يتحدث إليهم أحد.

أصبح الساحل على مرمى بصرهم وهنا أشار كيلاري وماركينا إلى أدلر أن صوته هو الأقل ألفة بالنسبة للناريين، فهم سمعوا صوت ماركينا الغليظ من قبل وكذلك صوت كيلاري، أم أدلر لم يسمع صوته في كواسكا قط.

ابتلع أدلر ريقه بصعوبة، ثم رد وهو يصطنع **الهدوء:** حسنًا ستصبحان مدانين لي بالنجاة بنسبة مائة بالمائة الآن.

كيلاري: افعلها ثم قل ما شئت.

ماركينا: ليس وقت المزاح، أدلر لمن ستذهب؟

أدلر: ماذا تقصد؟ سأذهب لأحد الناريين المعنيين بتجهيز السفن او الحراسة على الساحل.

ماركينا: خطأ، قد يرتاب منك لأنك بالتأكيد **لا** تعرف اسمه، ماذا ستطلق عليه؟

كيلاري: سحقا لك ماركي، إن كنت تريد أن تقول شيئا ما، قله فورا **لا** تكن دراميًا.

ماركينا وكأنه قد استجاب لزجر **كيلاري:** كنت أعرف بعض الرجال هنا سننتظر إلى أن يظهر احدهم وأخبرك اسمه.

وبالفعل انتظر الرجال بعض الوقت ومن حسن طالعهم انه لم يمر الكثير حتى ظهر رجل من المألوفين لماركينا.

ماركينا **بسرعة:** أدلر هذا الرجل أسفل البرج يدعى «**إيزاك**» لكنه ليس المسئول الأول هنا، لذا قد **لا** يشعر بالغرابة أن لم تناديه باسمه ابدأ حديثك معه دون أن تذكر اسمه، وإن شعرت انه ارتاب اذكر اسمه في أي جملة ليطمأن، الأمر يتوقف على تركيزك الآن.

أدلر: اتفقنا، أنا من وضع الخطة، وأنا من سيسير بها وبكم إلى بر النجاح.

تقدم أدلر في هدوء كما يسير الملثمون بخيولهم تمامًا ومن خلفه ماركينا وكيلاري وقد اصطنعا النقاش البسيط بكل هدوء ووقار.

تقدم أدلر بفرسه نحو البرج الذي يقف أسفله ايزاك بينما انتظر صديقاه على أول الشاطئ قرب آخر شجرة.

انتبه ايزاك لتقدم أدلر نحوه فهرول إليه مسرعًا وهو ما طمأن أدلر وصديقاه اللذان يراقبانه نسبيًا.

بدأ ايزاك بالحديث وكأنه أراد أن يحمل عبء البداية من على عاتق أدلر **قائلا:** أهلا يا سيدي، هل لك من حاجة هنا؟ أنا في خدمتك.

أدلر بوقار **وبرود:** أنصت، أريدك أن تجهز سفينة أو قارب يسع ثلاث أشخاص ليقلنا إلى نيترو لنكمل بحثنا هناك.

ايزاك: أفضل سفينة في خدمتك يا سيدي.

أدلر: كم سيستغرق الأمر من وقت، ليس لدينا الكثير.

ايزاك: لن يستغرق أي شيء يا سيدي، بعض السفن مجهزة للانطلاق فورًا فقط سأصعد إلى البرج لأؤكد تصريح الإبحار، معذرة يا سيدي أنا لست المسئول الأول هنا.

أدلر مصطنعا **الغضب:** قلت لك ليس لدي الكثير من الوقت لتصعد إلى البرج، أو حتى يهبط من في البرج إليك، كف عن

هذا الهراء، أحضر السفينة ثم اذهب وأخبر من تريد إخباره بأننا أبحرنا، أتظن أن هناك من سيعترضنا أو يرفض أوامرنا؟

ايزاك بصوت متقطع وقد تملكه **الخوف:** لا يا سيدي أقسم إني لا اقصد ذلك، تقدم معي يا سيدي واختار سفينتك وانطلق بها وقتما شئت.

أدلر: حسنًا، سنترك لك تلك الخيول لترعاها حتى نعود، هل ستستطيع رعايتها أم نتركها لشخص آخر؟

ايزاك: لا تقلق بشأن ذلك يا سيدي.

أدلر بمبالغة كي يؤكد على أمر **عودتهم:** هذا الخيل أهم عندي من زوجتي، إن وجدته مصاب بمكروه حينما أعود لن يكون الأمر لطيفا.

إيزاك: سأرعاه مثلما أرعى أولادي يا سيدي.

حينئذ ترجل أدلر وأشار إلى صديقيه، فهبطا من على خيلهما واتجها نحوه، ثم سار الثلاثة مع ايزاك نحو السفينة الغالية التي ستخرجهم من بحر الموت.

ظن ايزاك أن أدلر كان يبالغ في عرضه حينما قال له إن خيله أهم من زوجته، ولكن في الواقع أدلر لم يبالغ أبدًا. هذا الخيل أهم من زوجته، بل أن ثوبه أغلى من زوجته هيلدا ربّة كل تلك المتاعب التي تحيط به من كل جانب.

وصل الرجال أخيرا إلى السفينة مع ايزاك الذي بدأ في عرض مميزاتها قبل أن يشير إليه أدلر الذي يبدو وكأنه قد انخرط في دور الزعامة وأعجب بنفسه، حينما أصبح ذا سلطة وهيبة.

صعد أدلر ومن بعده ماركينا ثم كيلاري إلى السفينة وأقدامهم تكاد تتراقص من شدة الفرح تمالك أدلر أعصابه، واستدار لينظر إلى ايزاك ويشير نحو الخيول دون أن يتحدث، فرد عليه ايزاك بان أشار إلى عينيه كناية عن انه سيرعاهم خير رعاية.

حافظ أدلر على وقاره؛ حتى ذهب إلى دفة السفينة بينما جلس ماركينا وكيلاري على أرض السفينة كأنهما غير قادرين على الوقوف أكثر من ذلك.

ينظر كل منهما إلى شاطئ كواسكا ويتمنى أن يغمض عينه ويفتحها فيرى هذا الشاطئ أبعد ما يكون عنه، وبالفعل ها قد حانت اللحظة وانطلقت سفينة النجاة وبدأت تبعد رويدًا رويدًا عن شاطئ كواسكا.

تماسك الرجال الثلاثة بكل ما استطاعوا من قوة ولم ينزعوا لثامهم حتى أصبح شاطئ كواسكا غير مرئي لهم تمامًا وأصبحت سفينتهم في عرض البحر مبتعدة كل البعد عن الناريين والملثمين، وكل تلك الآفات المتحركة، فهذه اللحظة انفجر الرجال الثلاثة في الضحك الصاخب والصياح المتواصل والأحضان الحارة!

الحلم أصبح حقيقة الآن!

هم خارج كواسكا لقد فروا من الموت بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار لديهم سفينة تحمل أعلام الناريين ويرتدون زي الملثمين أي احترام وتبجيل ورهبة تنتظرهم في نيترو الآن!

انفرجت أسارير كيلاري العابس، اختفت كآبة أدلر المزمنة، ارتسم الأمل لماركينا البائس كل هذا بفعل القدر!

ظلوا يخططون لصناعة قارب ونقله إلى نقطة تمكنهم من الفرار من الناريين وفي لحظة باءت خطتهم بالفشل الذريع، فساق إليهم القدر الملثمين إلى باب الكهف حتى يقتلوهم ويصل أدلر إلى فكرته العبقرية التي تمكنهم من الهروب دون نقل قوارب، دون خطر الملاحقة دون إثارة الشكوك والريبة!

نعم تلك هي الحياة وذلك هو القدر، تلك هي تدابير البشر وذلك هو الرب وحكمته تظل تدرس الخطط وترسمها وتعدد نتائجها وتتجنب مخاطرها، وفي لحظة ما وبدون سابق إنذار، تنهار كل مخططاتك وأحلامك، تنكسر أجنحتك، وتهوى من فوق برجك العالي، وهنا إما أن تيأس فتسقط فتنكسر ضلوعك هي الأخرى، إما أن تؤمن بنفسك وبربك، وتعيد المحاولة مرة أخرى، فتتلقفك رياح القدر قبل أن تصطدم بأرض الانهزام الصلبة، وتصعد بك إلى سماء نجاحك مرة أخرى، تنكسر القيود وتفتح الأبواب المغلقة، فقط لأنك لم تكف عن المحاولة، لن يُهزم أبدًا من يحاول، وسيجد كل الظروف لصالحه حتى ولو بعد حين.

ظهر شاطئ نيترو أخيرا أمام أعين أدلر وصديقيه، بدأ الرجال في ارتداء لثامهم الذي كانوا قد خلعوه وقت الاحتفال وأعدوا سيوفهم البراقة التي يرجون ألا يستخدموها في القتال في هذه الجزيرة قط، هي فقط ستضيف إليهم المزيد من الهيبة والتبجيل مع زي الملثمين وأعلام الناريين.

أرسى البحار الحاذق أدلر سفينته على شاطئ نيترو، وما أن ظهر علم الناريين على السفينة حتى بدأ سكان تلك الجزيرة الصغيرة المتواضعة في التجمع فورًا بجوار مرسى السفن وهم في غاية الرعب.

هبط الرجال الثلاثة من السفينة وتقدموا في بطء نحو جموع الناس المصطفة، مع كل خطوة من أدلر وصديقيه كان معدل نبض سكان نيترو يزداد.

نيترو هي جزيرة صغيرة قليلة السكان مسالمة تقع إلى شمال كواسكا وتحت إمرة وسيطرة الناريين في أغلب الأحيان.

سكان نيترو هم الأبسط بين تلك الجزر المتقاربة، يريدون العيش في سلام فقط، حتى إن لم يجدوا ما يأكلونه، الأهم ألا يوجد هناك حرب ولا قتال، وكأن شعارهم نموت من الجوع لا من ضربات السيوف.

وصل الرجال الثلاثة أخيرًا إلى جموع الناس وتقدم بعض الجنود البسطاء المكلفين بحفظ الأمن والأمان في نيترو لتحيتهم، انحنى هؤلاء الجنود لأدلر الذي تقدم ببضع خطوات أمام صديقيه

ثم عرضوا عليه الخدمات، في هذا الوقت كان كل سكان نيترو تقريبًا تجمعوا حول مرسى السفن، فأدلر وصديقاه كانوا قد وصلوا إلى الجزيرة في الوقت الذي يتجمع فيه الناس في السوق الذي لا يفصله عن مرسى السفن سوى مسافة بسيطة، وبكل تأكيد خبر وصول ثلاثة رجال من الملثمين قد انتشر بين الناس، كما تنتشر النار في الهشيم.

واصل أدلر دور الزعامة الذي أحبه وبدأ في التحدث إلى الجنود **قائلا:** لقد أتينا في مهمة خاصة لا نود الإفصاح عنها، لكن هي لا تخص نيترو ولا أهلها في شيء، لا نريدكم أن تخافوا أو تنزعجوا. هذا كل ما لدي.

في هذه اللحظات كان أدلر يتحدث كأنه في فضاء فسيح، وكأن الناس قد حبسوا أنفاسهم حتى يسمعوه بوضوح، وحتى لا تعلوا أصوات همسهم على صوته، فينزعج منهم مثلاً!

رد أحد الجنود أو قائدهم بكل **أدب:** إذن ما هي مدة إقامتكم التي ستتشرف بها نيترو.

أدلر: لم نحدد بعد، نريد فقط مكان ملائم لثلاثتنا.

قائد **الجنود:** بكل تأكيد يا سيدي. جميع مساكن سكان نيترو خالية الآن، مروا بينهم واختاروا الأنسب لكم وسنجهزه بعد ذلك ليلائمكم أكثر.

أدلر: عفوًا، لا نريد أن نخرج أحد الناس من مسكنه، نريد مسكنا فارغا.

قائد **الجنود:** للأسف يا سيدي لا يوجد، لكن إن كنتم لا تريدون المكوث بمساكن العامة بشكل دائم، أدعوكم للمكوث بها لبعض الوقت فقط حتى نأمر بعض السكان ببناء مسكن ملائم لفخامتكم.

أدلر: أنصت. أحضر لنا ما يلزم للبناء وسنبني المسكن بأنفسنا، لا نريد إنهاك الناس المرهقين في أعمالهم!

قائد **الجنود:** العفو يا سيدي لا يصح ذلك أبدًا!

أدلر: كلماتي هي الأخيرة، أرجو ألا تطيل علينا في إحضار الموارد.

قائد **الجنود:** عُلم وينفذ يا سيدي، وبالنسبة لأمر الطعام فأنتم ضيوفنا ولكم من نصيب طعام الجنود يوميًا كما تنص القواعد وكما جرت الأعراف!

أدلر وبدا وكأنه انخرط في دور زعيم **الأمة:** لا، سنصطاد طعامنا بأنفسنا.

قائد **الجنود:** يا سيدي لا يمكن هذا أبدًا!!

وقبل أن يجيبه أدلر تقدم كيلاري وهمس في أذن أدلر بغيظ **قائلاً:** لا تبالغ حتى لا يرتاب الناس منا، أتظن نفسك في مهمة لتحرير نيترو، أنت هارب من بوتانا، وهارب من كواسكا أيها القائد.

عاد إلى أدلر وعيه بعد زجر كيلاري **وقال:** حسنًا. سننتظر الآن في السفينة حتى تأتي لنا بما يلزم للبناء، وتحدد مكانًا مناسبًا، سنحتاج لمساعدة بعض الجنود لا الناس.

بعد ذلك عرض قائد الجنود على أدلر أن ينتظر في مساكن الجنود بدلا من السفينة فوافقه أدلر، وتقدم معه هو وصديقيه.

بينما بدأ الرجال الثلاثة في التحرك مع جنود نيترو كان أهل نيترو يشرعون في التصفيق الحار والهتافات المدوية تقديرًا لمواقف أدلر النبيلة حيث رفض إخراجهم من مساكنهم ولو مؤقتًا، ورفض إشراكهم في البناء، بالنسبة لسكان نيترو أدلر وصديقاه هم معجزة تسير على أقدام! لم يعهدوا أي الناريين أو الملثمين بهذه الأخلاق السامية! كل الناريين أو الملثمين الذين مروا من تلك الجزيرة كانوا يعتبرون سكانها عبيدًا لهم، باستثناء أدلر ورفيقيه! لذا فان أدلر أصبح وبدون مبالغة بطلاً عظيمًا في أعين السكان!

كيف لا، وهو يحرج الجنود من أجل عامة الناس!

وسط هذا التصفيق العنيف عدل أدلر عن رأيه وأشار إلى صديقيه ماركينا وكيلاري لمواصلة التقدم مع الجنود، بينما عاد هو ليجلس وسط الناس ويتحدث معهم، ما لا يعرفه سكان نيترو هو أن أدلر بحار عادي، عاش نفس ظروفهم، بل أتعس وأشق منها في بعض الأحيان، لكن أدلر يعرف ذلك جيدًا لذا هو يشعر بهم ويعلم ما يمرون به بشكل مفصل.

أخذ أدلر يتحدث مع الناس في أمور عديدة وأخبرهم بأنها زيارته الأولى إلى نيترو، سألهم عن أوضاع معيشتهم وتجارتهم، وعن جغرافيا نيترو، وهوية زائريها، كان يود مجاراة الناس، وكسب محبتهم، وفي نفس الوقت لم يغفل عن اقتناص المعلومات الخاصة بعدد الزيارات التي يقوم بها الملثمين أو الناريين إلى نيترو، وبالنسبة لسكان نيترو فقد ابتهجوا كثيرا لهذا الحوار مع أدلر وكانوا يتسابقون في عرض خدماتهم عليه، منهم من عرض عليه أن يصحبه في رحلة تعرف على جغرافيا نيترو، ومنهم من عرض عليه العمل تحت إمرته، والكثير والكثير من العروض الأخرى، ومنهم من أراح قلب أدلر حيث أجابه بأن الملثمين والناريين لم يمروا من هنا منذ وقت طويل، وإن جاءوا، لا ينزلون من سفينتهم، يقومون بإلقاء التعليمات الجديدة إن وجدت، ويعودون أدراجهم في غضون دقائق.

لذا اتخذ أدلر إجراءً احتياطيًا بنقل السفينة من مرسى السفن المواجه إلى جزيرة كواسكا، إلى المرسى الشمالي الذي لا تأتي من خلاله أي سفينة نارية أبدًا.

مر وقت ليس بالقليل ولم يتحرك شخصًا واحدًا من سكان نيترو من مكانه، كانوا في أشد السرور حقًا، لكن في النهاية ودعهم أدلر ووعدهم بلقاءات أخرى وانصرف نحو مساكن الجنود ليجد أن الجنود قد أتموا بناء المسكن دون إشراك صديقيه في الأمر، شكرهم أدلر واتجه إلى المسكن؛ ليستريح مع صديقيه بعد

هذا اليوم الطويل، بل بعد كل هذه الأيام العصيبة التي قضاها في كواسكا الملعونة. كيف لا تكون ملعونة وهي مسقط رأس الشيطان يوري.

عندما وصل أدلر إلى المسكن خلع لثامه وبدل ملابسه ببعض الملابس التي أتى بها جنود نيترو إليهم بناءً على طلب صديقيه،

تمازح الأصدقاء قليلاً بخصوص اتخاذ أدلر لدور الزعامة، وحديثه مع الناس وما إلى ذلك، حتى دق الباب فطلب ماركينا وكيلاري من أدلر أن يقوم بفتحه، لكنه أجابهم بمزاح **قائلاً:** يا لكم من أوغاد، أنا مرهق جدًا، وأنتما مدانان بالنجاة للزعيم أدلر؛ لذا فليقم أحدكم ليرى من بالباب.

كيلاري وهو **يقهقه:** لن يحدث ذلك أبدًا دون لثام يا صديقي أنسيت أننا مألوفان لسكان نيترو التي ترعرعنا فيها.

فقال أدلر وسط ضحكات كيلاري **وماركينا:** اللعنة. يا ليتني تركتكما في كواسكا ونجوت بخطتي وحدي.

ماركينا **ضاحكا:** لا تنسى أن خطتك لم تكن لتكتمل دون لمساتي أيها الزعيم.

تدخل كيلاري **قائلاً:** كُفا عن هذا، قم لترى من بالباب يا رجل فقد يغضب منك جمهورك الكبير إن تأخرت في الإجابة عليهم.

ثم انخرط كيلاري وماركينا في الضحك كما ضحك أدلر الذي قام نحو الباب وفتحه معتذرًا عن التأخير ليرى مجموعة مختلفة من سكان نيترو يأتون إليه بالطعام من أنفسهم!

لقد أصبح أيقونة حقًا في غضون بضع دقائق! يا له من شعب مسكين، وكأنه لم يصدق أن هناك من يحنو عليه أو يهتم لأمره أو يعامله معاملة آدمية!

منهم من أتى باللحم، ومنهم من أتى بالأسماك، ومنهم من أتى بالفاكهة، وأخرهم أتى بالشراب! كل هذه الأطعمة لا يتحصل عليها سكان نيترو الفقيرة بسهولة لكنهم لا يستغلونها على أدلر وصديقيه!

القدر يبتسم لهم حقًا، شكر أدلر الناس كثيرًا ورفض الطعام واخبرهم أن ليس عليهم ذلك لكن أحد الناس لم يذهب دون أن يقبل أدلر هديته!

وهكذا توالت العطايا على أدلر وصديقيه طوال الليل، الأمر كان مثيرا للحبور حقًا، لكن ما يضايق أدلر هو أنه يقوم كثيرًا لفتح الباب وسط قهقهة صديقيه الساخرين من حب الناس له بهذا الحجم!

وفي المرة الأخيرة هذا اليوم فتح أدلر ليستقبل عطية أخرى من أحد السكان لتقع عيناه على فتاة بالغة الجمال! لم يسبق له أن رأى أنثى بهذا الجمال والحياء من قبل! تحرك قلب أدلر مع أول نظرة من عينيه في وجه الفتاة الأحمر خجلاً، حيث كانت تتطلع

في الأرض من الخجل، تلكأ أدلر قليلا قبل أن يرحب بالفتاة التي أخبرته أن أباها لا يقدر على حمل صرة الطعام هذه، حيث أنه رجل عجوز، وأمرها بإيصالها لهم، واعتذرت عن تأخرها لهذا الوقت من الليل وان كانت قد أزعجت نومهم لكنها لا تستطيع مغادرة مسكنها حتى ينام والدها كي تطمأن عليه، لكن أدلر أخبرها إنهم لم يخلدوا إلى النوم وبشكل عفوي قال **لها:** وحتى وان كنت في سبات عميق، لن يكون النوم ألذ من ذلك الحديث!

ازداد احمرار وجه الفتاة، وكاد الدم أن ينفجر منه، ثم أشارت لأدلر بالشكر لما قاله دون أن تنطق، وتحركت في عجالة وتوتر حتى كادت تسقط عدة مرات، إلى أن أخفتها الطرق عن أعين أدلر المتطلعة فيها!

دخل أدلر إلى مسكنه وهو يُحدث نفسه! ماذا حدث لك عندما رأيت الفتاة! هل هو الحب؟ أم الشهوة! أنت لم ترى فتاة منذ وقت طويل!

لكنك رأيت الكثير من الفتيات عند مرسى السفن وسط الناس! كما أنك لم تنظر سوى لعينيها اللتان كبلوك وأسكروك تمامًا!

ألم تتعلم من هيلدا يا رجل! ألم تردعك تجربتك المريرة عن النساء اللاتي زعمت أنك كرهتهن جميعًا!

ظل أدلر يحدث نفسه طوال الليل حتى خلد صديقاه إلى النوم وهو يفكر في أمر تلك الفتاة الجميلة إلى أن غلبه النوم هو الآخر!

لكن لم يسقط أدلر في نومه سوى لبضع دقائق حيث دق الباب مرة أخرى ليسرع أدلر إليه أملاً في أن تكون هي نفس الفتاة، لكنه فتح الباب ليجد أمامه شابا في سنه تقريبا، أو أكبر، يرتدي قلادة مألوفة لعينيه، يحمل بعض الشراب في ذلك الظلام الدامس ويقدمه إليه بتحية رقيقة!

مهلاً مهلاً.. طلب أدلر من هذا الشاب أن يدخل ما يحمله إلى المسكن حتى يقترب من النور أكثر ويتحقق من وجهه، وكيف له أن يمتلك تلك القلادة!

انصاع الشاب لطلب أدلر فورا ودخل إلى المسكن فأنارت الشموع وجهه!!

يا إلهي!!!! إنه بيرت صديقي!!

صرخ أدلر بتلك الكلمات في داخله لكنه كتمها بجهد كبير وشكر بيرت ـ الذي كان ينظر في الأرض مظهرًا الاحترام والتبجيل ـ

وأشار إليه بأنه يستطيع الخروج من المسكن، أسرع أدلر في طلب ذلك قبل أن يتبين بيرت من وجهه ثم أغلق الباب فورًا وهو يتنفس الصعداء.

لكن ماذا أتى بهذا الرجل إلى هنا! ماذا يفعل بيرت بنيترو!!

يبدو أن أدلر لن ينام في تلك الليلة متقلبًا بين أمر الفتاة وأمر بيرت العجيب!

استهلك أدلر بعض الوقت مفكرًا في أمر بيرت صديقه القديم وما سر قدومه إلى نيترو والعيش بها، إن كان يطمع في العمل فبوتانا فرصها أقوى من نيترو وكان يجدر به الذهاب إلى كواسكا، أو أي جزيرة أخرى، ولا يوجد سبب آخر لخروجه من بوتانا سوى العمل!

ظل أدلر يطرح على نفسه الأسئلة ويجيب عليها دون أن يصل إلى إجابة شافية؛ حتى غلبه النوم من كثرة التعب والإعياء.

استيقظ أدلر على أصوات قرع الباب فقام مسرعًا ليجد ماركينا قد ارتدى لثامه وذهب ليرى من بالباب، تقدم احد الجنود ودعا الرجال الثلاثة للقدوم إلى مساكن الجنود لتناول الإفطار معهم، وبالفعل قام الرجال الثلاثة وتجهزوا وخرجوا مع الجندي قاصدين مساكن الجنود.

في الطريق كان أدلر ـ الذي خلع لثامه كما خلعه أول مرة حينما كان يتحدث إلى الناس عند مرسى السفن – يتلقى السلامات والمباركات من أهالي نيترو ويبادلهم إياها، كان أدلر قد قرر أن يطلب استقدام بيرت إليه ويجلس معه ليفهم سبب وجوده هنا؛ لذا لم يكن خائف من أن يراه دون لثام.

بعد أن تناول الرجال الثلاثة الإفطار سأل أدلر الجنود عن رجل يدعى بيرت كان قد أتى إليه البارحة مع جموع الناس ببعض الشراب اللذيذ، ويود أدلر أن يشكره على ذلك، وطلب المزيد منه، أجابه أحد الجنود أن هذا الرجل الذي يدعى بيرت هو بحار شاب قدم إليهم من بوتانا بداعي العمل وهو ما أثار استغراب سكان نيترو وجنودها، فكما يعلم الجميع نيترو ليست الجزيرة الغنية بفرص العمل وما إلى ذلك، لكن بيرت ألحّ في طلبه، وطلب منهم السماح له بالبقاء هناك في نيترو بأية شروط، فلم نملي عليه إلا شرطًا واحدًا وهو عدم المطالبة بحقوق أهل نيترو في توفير مسكن أو مساحة لبناء المسكن عليها، وإن شاء فليكن قاربه المتواضع هو سكنه، إما أن يرحل. وافق بيرت على الفور بذلك وعاش على هذا الحال فترة من الزمن حتى علمنا بأنه توسل إلى أحد الناريين ـ حينما كان يزور نيترو – واستجاب هذا الناري لتوسله ووفر له مساحة ليبني عليها مسكن، وبالتأكيد فتعليمات الناريين تسري علينا دون نقاش، ومن هنا أصبح بيرت حديث كل الألسنة في نيترو، إذ كيف له أن ينجح في نيل مقصده من أحد الناريين ومن أين أتى بالشجاعة ليطلب منه مثل هذا الطلب، أو يطلب محادثته من الأساس!

وجد الناس الجواب في قصص بيرت عن قلادته والتي كانوا يعتبرونها قصصا خرافية، ولكن مع ذلك الموقف بدأ الناس في الاقتناع بما يقوله هذا الرجل عن قلادته، فبصراحة لا يوجد

شيء طبيعي في هذه الحياة ينجح في تحويل قلوب الناريين إلى قلوب رقيقة متفهمة ملبية لطلبات الناس، ثم تنحنح الجندي قليلاً واستشعر الحرج وتأسف لأدلر وصديقيه إن كان قد أساء الأدب في حق الناريين، فبالنسبة للجندي أدلر وصديقاه هم من الملثمين، حلفاء الناريين وقد يستشيطون غضبًا لذلك الحديث الذي خرج منه دون وعي، لكن أدلر ضحك وطمأنه، وحاول أن يظهر له بغضه لطريقة الناريين في التعامل وليبرر أدلر موقفه وحتى لا تثار ريبة جنود نيترو من هذا الموقف، قام أدلر بخدعة بسيطة وهي أنه حاول أن يخبر الجنود أن هناك بوادر نزاع بين الملثمين والناريين بسبب الاختلاف في السياسات والاتجاهات الخاصة بالتعامل مع عامة الناس في كواسكا ونيترو، والجزر الخاضعة لسيطرتهم ظاهريًا أو باطنيًا، ثم طلب أدلر من هؤلاء الجنود الإبقاء على هذا الأمر بينهم، ولا يتحدثون به لأحد آخر حتى لا يغضب منهم، ثم استطرد أدلر حديثه عن بيرت وسأل عن مكانه الآن فاستكمل الجندي الإجابة عن أسئلته، وأخبره أن بيرت رجل عجيب يذهب بقاربه إلى البحر ويعود منه كل يومين ليقضي يومًا، أو يومين في نيترو ويعود بقاربه إلى البحر ليومين آخرين وهكذا.

أدلر **باندهاش:** وماذا يفعل هذا المخبول في البحر ليومين كاملين!

الجندي: لا أحد يعلم يا سيدي، ولا أحد يعلم أين يكون مكانه في البحر أو متى يخرج أصلاً، نحن نستيقظ لنجد قاربه قد غادر المرسى لكن الجنود المكلفين بالحراسة ليلاً يقولون إن مواعيده تختلف لكنها جميعها في الظلام سواء في الذهاب، أو العودة، وعندما يسأل بيرت في أي مرة عن سر تلك العادات الغريبة يجيب بأنها أوامر القلادة.

أدلر محدثا **نفسه:** يبدو أنه وجد في أمر القلادة مهربًا من كل الأسئلة.

ثم نظر أدلر إلى الجندي وطلب منه أن يأتيه ببيرت فور وصوله إلى نيترو في أي وقت.

فأجاب **الجندي:** بكل سرور يا سيدي. علم وسينفذ.

خرج أدلر وصديقاه بعد تناولهم الإفطار ليأخذوا جولة للتعرف على جغرافية نيترو ومعالمها. بالتأكيد أدلر وصديقاه لا يحتاجون إلى مرافق فماركينا وكيلاري من أبناء نيترو الذين نشئوا بها ويعلمون كل صغيرة وكبيرة عن هذه الجزيرة.

بعد جولة قصيرة بدأ الناس يتجمعون حول أدلر وصديقيه ويطالبونهم بالجلوس معهم وهو ما راق إلى ماركينا وكيلاري، فالشعور بالترحيب والحب بعد كل تلك الأيام الجافية هو أمر عظيم حقًا، كما أن كليهما يعرف الكثير من الناس في نيترو ويودون الجلوس لمشاهدتهم وهم يتحدثون والاطمئنان على أحوالهم، ومن قبل كيلاري وماركينا فقد راق هذا الأمر جدًا لأدلر

الذي غدًا يعتز ويتفاخر بشعور الزعامة الممنوح من أهالي نيترو البسطاء.

بعد فترة من التسامر الشيق الذي شارك فيه جميع الحاضرين من أهل نيترو مع الرجال الثلاثة سأل رجل من سكان نيترو في استحياء عن أسماء أصدقاء أدلر وكان الرجل موجهًا سؤاله إلى أدلر حيث يعرفون اسمه، فأجاب أدلر بتسرع ودون تفكير وأفصح عن كون صديقيه يدعيان ماركينا وكيلاري!

اندهش النظر ونظروا إلى بعضهم البعض كما نظر ماركينا وكيلاري إلى أدلر في ذهول وغضب شديدين، وهنا أدرك أدلر خطأه الشنيع ولكنه حاول تدارك الموقف في خفة وحذاقة، سأل أدلر وهو يحاول إخفاء توتره عن سبب اندهاش الناس من الاسمين، وفي الوقت ذاته لم ينطق أي من كيلاري او ماركينا بحرف واحد.

أجاب صاحب السؤال **الأول:** هذان الاسمان هما لرجلين من سكان نيترو اللذان رحلا للعمل بكواسكا وانقطعت أخبارهما من ذلك الحين.

أدلر: أنا اعلم أحدهم، حينما أقمت بكواسكا، كان هناك رجل من ضمن رجال السيد يوري يدعى ماركينا، هل تعرفون السيد يوري؟

أجاب الرجل **فورًا:** بالتأكيد نعرفه، وماركينا الذي تقصده هو الذي نقصده، هو بالفعل قد ذهب مع السيد يوري حين غادر

نيترو ثم اصطحب أخته وصديقه كيلاري إلى هناك بعد ذلك. ألا تعلم كيلاري؟

أدلر: بصراحة لم اسمع ذلك الاسم في كواسكا قبل ذلك، فترة إقامتي في كواسكا كانت بسيطة جدًا ومن الصدفة أن ماركينا كان مُكلفًا بحراسة سفينتي في كواسكا لذلك عرفت اسمه، يا لها من صدفة جعلتنا نذكركم بأسماء هذان الرجلان، لكني أعدكم حينما أعود أنا وصديقاي إلى كواسكا، سنبلغ سلامكم إلى ماركينا ونأمره بأن يحمله إلى صديقه كيلاري.

بهذه الطريقة الذكية شتت أدلر أنظار أهل نيترو عن صديقيه وجعلهم يعتقدون أنه تشابه أسماء ليس أكثر، يا لها من صدفة عجيبة أن يزورك رجلان من الملثمين، يحملان أسماء رجلين من نيترو كانا قد غادراها من زمن طويل، هي ليست صدفة بالتأكيد، لكن أدلر جعلهم يقتنعون أنها صدفة بحتة.

بعدما نجا أدلر من تلك الورطة، قام هو وصديقاه واستأذن الناس في الانصراف.

عندما وصلوا إلى المسكن وأغلقوا الباب خلفهم كاد كيلاري أن يخنق أدلر وأخذ يسب غباءه وأدلر يبتسم في برود، رغم أن وجهه يكاد تنفجر منه الدماء جراء قبضة كيلاري القوية على عنقه، لكن ماركينا تدخل وأزاح كيلاري من فوق أدلر وأمرهمها بالهدوء. ثم وجه كلامه إلى كيلاري **قائلاً: لا** فائدة من هذا، هو أخطأ وتدبر الأمر بعد خطأه.. انتهت القصة.

ثم تحول بنظره إلى **أدلر:** أما أنت، يجب أن تحد من حديثك مع هؤلاء الناس، وتنتبه إلى حالك؛ حتى لا ينكشف امرنا، وندفن جميعًا هنا أو نساق سوقًا من جنود نيترو إلى أسفل أقدام يوري ورجاله.

نظر أدلر إلى الأرض وقام بالرد بخجل؛ كي يمتص غضب الرجلين.

بعد ذلك جلس الثلاثة يتسامرون حينًا ويشردون بأذهانهم أحيانًا، حتى بدأت الشمس في الغروب، فأتى إليهم أحد الجنود بالطعام إلى المسكن هذه المرة، فانقضوا عليه ملتهمين إياه، ثم احتسوا قليلاً من الشراب الذي أتى به بيرت يوم أمس.

بعد ذلك بقليل قرع الباب بشكل متسارع، فارتدى كيلاري وماركينا لثاميهما، وقام أدلر وهو يتأفف ليرى من بالباب، فوجد امرأة تبدو ثلاثينية، شقراء، رشيقة القوام، تزيحه وتدخل إلى المسكن مسرعة.

أدلر: ويحك ويحك. من أنت؟

المرأة: آسفة على هذه الطريقة، لكن أرجوك أغلق الباب.

أشار ماركينا إلى أدلر ليفعل ما طلبته المرأة، وبالفعل أغلق أدلر الباب، وعاد ليطرح سؤاله السابق على المرأة.

لم يتلقَ أدلر لإجابة على سؤاله من تلك المرأة، التي وقفت تنظر بكل تدقيق في أعين كيلاري وماركينا الملثمين، دون أن

تنبس ببنت شفة، لكنها لاحظت دمعة تسقط من عين كيلاري؛ لتتدحرج على خده مختفية تحت لثامه.

بعد ذلك تقدمت نحو كيلاري، الذي يبدو وكأنه تسمر في مكانه، وفي حركة سريعة نزعت لثامه من عليه **وصرخت:** كيلاري! كنت اعلم أنه أنت من عينيك حينما رأيتك عند المرسى أول مرّة، عدت إلى مسكني أحاول تكذيب ما رأته عيناي، لكن خطأ صديقك بذكر اسمك منذ قليل أكد لي إنني لن أخطأ في التعرف على عينيك حتى إذا شاخت جفونك وأطبقت عليها!

لم تقنعني قصة صديقك وهو يحاول تدارك خطأه رغم صياغتها ببراعة، عيناك هي الدليل الأقوى يا كيلاري.

بعد تلك الكلمات انفك جمود كيلاري الذي سحب المرأة بكل قوة بين ذراعيه والتحما سويًا في عناق طويل والدموع تجري على وجهيهما كالأنهار!

في هذه اللحظة مسك ماركينا بذراع أدلر المذهول، وأخذه وخرجا من المسكن وأغلقا الباب خلفهما، تجول ماركينا وأدلر نحو الشاطئ، حينما كان ماركينا يخبر أدلر من هي تلك المرأة، هي ابنة عم كيلاري، ولها نفس عمره، كانا يعشقان بعضيهما منذ الطفولة إلى أن فرَّقت بينهما غربة كيلاري وسفره إلى كواسكا. هذا كل شيء.

أدلر **بمزاح:** يا للهول، سيمارس كيلاري معها الجنس في الغرفة الآن ونفقد بركتها.

ضحك ماركينا بصوت عال **وقال:** يا رجل لا تسئ الظن، لم يرها كيلاري، ولم تره منذ سنوات وسنوات، وقد اعتادا على مشاركة حياتهما سويًا لحظة بلحظة في عهدي الطفولة والشباب.

وبينما يسير أدلر وصديقه نحو الشاطئ، وجد أدلر جنديا يجري نحوه ويناديه بصوت عال، ظل الجندي ينادي على أدلر بشكل متواصل، أثار ضحك أدلر الذي انتبه له منذ دقيقة أو يزيد، ولم يكف الجندي عن ندائه حتى وصل إلى أدلر، فتحدث **مسرعًا:** يا سيدي. لقد عاد بيرت عودة مفاجأة منذ قليل، وأجلسناه في مسكن الجنود إلى أن تأتي وتقابله.

أدلر **مبتهجا:** جيد جدًا، ألا يمكنك أن تأتي به إلى هنا بدلا من أتي أنا إلى المسكن؟

الجندي: على الفور يا سيدي.

شكر أدلر الجندي، ووقف ينتظر بيرت الذي ساقه الجندي إلى الشاطئ فورًا.

كان أدلر قد ارتدى لثامه حتى لا يصيح بيرت عندما يراه بصوت عالي أمام الجندي.

استقبل أدلر بيرت وحياه وأشار إليه بالجلوس في مكان قرب الشاطئ حتى يأتي له وعلى الفور لبى بيرت الطلب.

أخبر أدلر ماركينا انه سيجلس قليلاً مع هذا الرجل حيث إنه يعرفه منذ أن كان في بوتانا، على أن ينتظره ماركينا في مكان موازي على الشاطئ فاستجاب ماركينا لهذا الطلب.

جلس أدلر مع بيرت وطلب منه أن يتأهب لاستقبال مفاجأة مدوية ثم نزع أدلر لثامه فجأة!

وضع بيرت يده على فمه الذي فتحه حتى تكاد ترى أمعاءه من هول المفاجأة **وقال:** أدلر! لا أفهم ماذا يحدث! كيف وصلت إلى هذا المكان!!!

في الواقع كان بيرت يصطنع الذهول والاندهاش، حيث أن بيرت كان قد علم باسم أدلر حينما كان يتسامر مع الناس عند مرسى السفن بالأمس وعندما ذهب بالشراب إليه كان غرضه التأكد من انه هو أدلر صديقه القديم ببوتانا، وبالفعل استرق بيرت النظر إلى أدلر بالأمس دون أن يلاحظ أدلر ذلك لبراعة بيرت الذي أتقن دور الخجول حينما كان يسلط نظره في الأرض في خجل وخضوع!

ولسبب ما لم يرد بيرت أن يخبر أدلر انه يعلم بأمره من البارحة، ربما لم يرد أن يحرج أدلر الذي ظن أنه سيفاجئه ويفسد عليه إحساسه بإفشاء سر عظيم؛ لذا اصطنع بيرت الاندهاش، أو قد يكون هذا التحليل خطئا، أيا كان السبب فهو لا يهم!

لكن لماذا لم يصرخ بيرت حينما تأكد من انه أدلر ليلة أمس؟ بالتأكيد لم يرد بيرت أن يشعر أصدقاء أدلر بأن شيئا غريبا

يجري من صديقهم، يا لبيرت من رجل نبيل! يراعي شعور صديقه حتى لا يحرجه ويراعي أمر صديقه حتى لا يرتاب منه صديقاه الملثمان!

تلك هي الصداقة حقًا، الهبة الأعظم في حياة أي إنسان.

بينما كان ماركينا شاردًا على الشاطئ يتذكر ذكرياته مع أخته المسكينة في هذه الجزيرة

كان أدلر يجيب بيرت **قائلاً:** تلك قصة طويلة يا رجل، لكن الأهم لا تخبر احد بأي شيء، أنا هنا من الملثمين ولا انتمي لبوتانا أبدًا.. أفهمت؟

بيرت: لا احتاج لأن تخبرني بذلك يا رجل، ما أحوالك، لقد طالت الغيبة يا صديقي.

أدلر **بابتسام:** لا أعلم يا بيرت ما أحوالي هناك أمر ما أسير وراءه إن نجحت فيه سأعود إلى بوتانا وسأراك ثانية إن لم أنجح لن تستمر حياتي!

بيرت: أيها الأحمق، أتجعله سر علي أنا؟!

أجابه أدلر **بسرعة:** لا لا على الإطلاق كل ما في الأمر أن القصة طويلة حقًا لكن إجمالا لقد خانتني هيلدا وأخذت ولديّ معها وهربت.

بيرت: يا الهي أنا آسف حقًا لسماع ذلك هون عليك يا صديقي ستجد أولادك لا تقلق أتعلم مكانها؟

أدلر: نعم هربت مع رجل يدعى يوري بالجزر السبع.

بيرت: الجزر السبع؟ الجزر الخرافية؟ هربت هيلدا مع رجل إلى جزر خرافية؟ ألا تزال مهووسًا بمقتل أبيك يا أدلر؟

أدلر: كنت اعلم انك ستقول ذلك دعك من ذلك الموضوع الآن، اخبرني لما أتيت إلى هنا وما سر وجودك في البحر يومين كاملين! ما هذا الجنون!

بيرت: إنها أوامر القلادة يا صديقي

أدلر: كف عن هذا الهراء هذا ما تقوله للناس في نيترو أنا أدلر اخبرني حقًا لما تفعل ذلك.

ضحك بيرت **وقال:** لا ليس كما تظن أنها أوامر القلادة فعلاً أنا لا...

وقبل أن يكمل بيرت كلماته ثارت في اتجاه الشاطئ فنظر أدلر وبيرت سويًا ليجدوا الكثير من الناس يتسارعون نحو الشاطئ وفي الحال قام بيرت فورًا ليجري، ويصطاد مكانا له في جموع الناس، وقال لأدلر وهو **يبتعد:** عذرًا يا صديقي سأعود لاحقًا!

في الوقت ذاته اقبل ماركينا على أدلر وسأله عن سر هذا التجمع المريب للناس فأجابه أدلر أنه لا يعلم!

ثم ذهب أدلر وماركينا ليقفا بجوار بيرت وسأله **أدلر:** ماذا تفعلون؟! لماذا يتجمع الناس هكذا ويصطفون في صفوف أمام الشاطئ دون أن يفعلوا أي شيء سوى النظر إلى الشاطئ!

بيرت: في هذا الوقت كل أسبوع يضيء ضوءًا أخضر في منتصف البحر من بعيد، لا أحد يعلم من يضيئه ولا احد يعلم المقصد منه لكنه يضاء بشكل مثير للدهشة، حيث يكون عامودًا من الضوء الأخضر وأمامه نرى الكثير من الرماح تتطاير في الهواء؛ لتسقط في البحر، يستمر الأمر لساعة أو بعض ساعة، ثم يختفي ويعود ليحدث كل أسبوع.

نظر أدلر وماركينا كل منهما في الأرض وهو يتمتم بكلام غير مفهوم حتى نظرا إلى بعضيهما البعض وهما يقولان في آن واحد الضوء الأأخضر، ورماح تتطاير!!

نظر أدلر إلى بيرت بلهفة **وواصل:** ولماذا لم يذهب أحدكم لكشف سر هذا الضوء قط؟

بيرت: ومن يجرؤ على ذلك، نرى جيمعًا أن التفسير الوحيد لهذا الضوء وتلك الرماح الأسبوعية إنها صراعات تدور بين قبائل الجن التي تسكن البحار! نحن نكتفي بالمشاهدة، ونتخيل ما يحدث ونهلل ونصفق ثم نعود إلى مساكننا يتملكنا الرعب والتشويق في آن واحد، وننتظر نفس الموعد في الأسبوع القادم بكل ذلك الشغف كما ترى حولك!

أدلر: حسنًا حسنًا، ماركي هيا بنا!

بيرت: إلى أين؟!

أدلر: سأعود في الحال.

هرول أدلر وماركينا إلى مسكنهم كي يخبران كيلاري بما سمعاه ويأخذانه معهم إلى الشاطئ فتح أدلر الباب مسرعًا وهو **يقول:** كيلاري لقد وجدنا الضوء الـ...

لكنه نظر تحت أرجله ليجد جميع ملابس كيلاري، وملابس تلك المرأة ملقاة على الأرض، بالتأكيد هما عاريان على سرير كيلاري الآن، كان السرير واقعا في جنب الغرفة الموازي للباب، فلا تراه مباشرة وأنت واقف على الباب، لم يدخل أدلر إلى الغرفة خطوة إضافية احترامًا لكيلاري، رغم شوقه ليشاهد ماذا يرى، ثم قال بصوت **محرج:** كيلاري، لقد وجدنا علامة للضوء الأخضر، افرغ من ذلك وارتدى ملابسك والحق بنا عند الشاطئ.

ثم سكت قليلاً **واستطرد:** على الرغم من أني لو كنت بمكانك لن اترك ما افعله لأجل ضوء اخضر سخيف.

كان ماركينا يراقب الأمر عن قرب وضحك بصوت عالٍ قبل أن يقاطعه أدلر **قائلاً:** ألم أقل لك، ضاعت البركة.

أجاب ماركينا **مازحًا:** يا رجل قلت لك أحسن الظن.

أدلر: نعم هم عاريان لكي تطمأن ابن عمة على جروح ظهره، يا لي من مسيء الظن.

لم يتمالك ماركينا نفسه وقطع الطريق كله يضحك ويقهقه حتى وصلا إلى صفوف الناس قرب الشاطئ.

سأل أدلر احد **الرجال:** متى سنرى هذا الضوء.

أجابه **الرجل:** لا نعلم، نحن نأتي إلى هنا في ذلك الوقت وننتظر قد ننتظر ساعات وقد ننتظر دقائق لكن في كل مرة يضاء الضوء وتتعالى الرماح؛ لذا نأتي مبكرًا كي لا يسبقنا الضوء.

بينما كان ماركينا مسلطا نظره على الشاطئ منتظرًا ذلك الضوء مع الناس جال أدلر بنظره بين صفوف الناس يرى تعبيراتهم ودلائل شغفهم مرسومة على وجوههم..

وفي وسط كل ذلك لمح أدلر تلك الفتاة الجميلة التي رآها ليلة أمس وهي تسترق النظر إليه، وعندما نظر إليها، قامت بتحويل نظرها نحو الشاطئ فورًا وتحول لون وجهها للون الأحمر الدامي خجلاً، وهو ما راق لأدلر بكل تأكيد.

ظل أدلر يناوش الفتاة بنظراته بعض الوقت لكنه أخذ حذره حتى لا يشعر بذلك أحد حتى قطع تلك المناوشة صوت كيلاري الذي وقف إلى جانب أدلر وهو **يقول:** ماذا حدث؟

قص عليه أدلر سريعًا ما قاله بيرت بخصوص الضوء الأخضر وأنهم في تلك اللحظات ينتظرون ظهوره.

تعجب كيلاري مما قاله أدلر ثم انتبه لماركينا الذي كان يوجه له سؤالاً **بسخرية:** ماذا كنت تفعل في الغرفة يا رجل؟

ضحك أدلر بصوت مكتوم وهم كيلاري ليجيب سؤال ماركينا الساخر ولكنه صمت رغمًا عنه حينما ظهر الضوء الأخضر بشكل عامودي في وسط المياه من بعيد!

تراجع الناس بضع خطوات إلى الخلف حينما رأوا الضوء ثم سمعوا صوت عجيب أشبه بصَّئي الفيلة، حينما يهمون بالهرب من صياد ماهر!

سأل أدلر احد الرجال **بجانبه:** لماذا تراجع الناس وما هذا الصوت؟

الرجل: كل أسبوع يتقدم الضوء في البحر بضعة أمتار تجاهنا، يقترب شيئا فشيئا، والناس هنا خائفون من أن تغير قبائل الجن علينا.

أما عن الصوت فهو يعد إعلانًا ببدء الحرب بين قبائل الجن المتنافرة...

لم يكمل الرجل كلماته حتى تعالت الرماح بالفعل، لم يستطع أدلر التميز على هذه الرماح لها نفس شكل الرمح الذي استقر في ظهر الملثم قرب الكهف في كواسكا.

هم أدلر ليسأل الرجل سؤالاً آخر، لكن الرجل قاطعه بسرعة **قائلاً:** أنا آسف يا سيدي لكن أرجوك توقف عن الحديث الآن حتى لا تغضب منا قبائل الجن، حينها لن تستطيع أنت أو الملثمون كلهم أو من منعهم من ردعهم أو حمايتنا.

استجاب أدلر لطلب الرجل ثم بدأ يفكر في الأمر على عجالة قبل أن يختفي الضوء، ماذا علي أن أفعل؟

هذه فرصة عظيمة إن تقدمت نحو الضوء سأكتسب قيمة إضافية في نفوس الناس في نيترو، ستزداد هيبتي واحترامي!

لابد من اغتنام هذه الفرصة لكن ماذا إن كان هذا الضوء الأخضر هو جنّي بالفعل!

هو دائمًا في صفنًا، أنقذ ماركينا من الموت، وأنقذنا جميعًا من الأسر!

إذن فليكن ما يكن..

اهتدى أدلر – بعدما شاور نفسه – أن القرار الصائب هو التقدم نحو الضوء لمحاولة اكتشاف ماهيته، وبالفعل صاح أدلر بصوت عال في الجنود الواقفين **قائلاً:** أريد سفينة جاهزة فورًا!

تسمر الجنود في مكانهم واخذ الجنود والناس جميعًا ينظرون لبعضهم البعض!

فصاح أدلر **ثانية:** ألم تسمعني، لا وقت للذهول، أريد سفينة قبل أن يختفي الضوء!

أجابه احد الجنود **مسرعًا:** كل السفن تحت أمرك يا سيدي، اختر ما شئت.

أشهر أدلر سيفه وصاح في ماركينا وكيلاري ليتبعانه ثم تقدم مسرعًا يشق صفوف الناس نحو أقرب سفينة، لكن السفن تقع عند المرسى أما هنا فلا يوجد سوى بعض القوارب الصغيرة، لم ينتظر أدلر ليأتي الجنود له بسفينة من عند المرسى وأشار إلى

صديقيه أن يأخذ كل منهما قارب بمفرده وهو كذلك وما أن استقر أدلر في قاربه حتى وجد تلك الفتاة الجميلة التي تبادله النظرات قد شقت الصفوف وتقدمت تجاهه تعلن من تصرفها أنها تريد مرافقته صاح فيها أدلر للعودة لكنها لم تستجيب لطلبه خضع أدلر لطلب الفتاة وانتشى بذلك الإحساس جدًا وتأكد انه وقع في غرامها بكل تأكيد، كما وقعت هي كمان في نفس الشَرَك.. كان أدلر في المنتصف وإلى يساره كيلاري وإلى يمينه ماركينا، أشار أدلر إلى صديقيه أن يزيدوا من المسافة العرضية بينهم، حتى إذا تأذى احدهم، تكن هناك فرصة لنجاة الاثنين الآخرين..

استمر أدلر وصديقاه في التقدم والضوء مستمر والرماح تتعالى وتزداد في ارتفاعها وأعدادها..

اقتربت القوارب أخيرا من الضوء واختفت عن أعين الناس الماثلين على الشاطئ، في هذه اللحظات توقفت الرماح تمامًا لكن الضوء لم يتوقف!

واصل الرجال التقدم حتى تبين له قاربًا لا يختلف كثيرًا عن قاربهم هو مصدر ذلك الضوء الأخضر!!

توقفت القوارب ونظر الرجال إلى بعضهم البعض من بعيد ثم أشار إليهم أدلر لمواصلة التقدم!

في هذه اللحظات خالج الرجال الثلاثة مشاعر وتوقعات مختلفة، قد تكون الرماح قد توقفت لتتأهب للانطلاق نحوهم وخرق أجسادهم!

وقد يكون توقف الرماح هي رسالة لأدلر وصديقيه لطمأنتهم وحثهم على التقدم أكثر! وكثير من الاحتمالات الأخرى، لكن على أية حال لا سبيل للتراجع! فلنمضي قدمًا.

بعد دقائق معدودة صار قارب أدلر المتوسط أمام القارب المنبعث منه الضوء مباشرة، اقترب ماركينا وكيلاري هما الآخران بقواربهما نحو الضوء، توقف أدلر عن التجديف وأشهر سيفه، حاول بعينيه أن يرى مصدر الضوء بالقارب، لكنه لم يتبين له، الضوء وكأنه يخرج من خشب القارب الأرضي!

ثم حاول أن يرى أي شخص على القارب بجوار الضوء لكنه لم يفلح أيضًا.. وفي لحظة مفاجأة اختفى الضوء!

أشهر الرجال الثلاثة سيوفهم للدفاع عن أنفسهم ضد أي خطر قريب، في الواقع إن كان هناك خطر، فلن تغني عنهم سيوفهم أبدًا، أيديهم في الأصل مرتجفة، وإن سمعوا صيحة واحدة قد تسقط سيوفهم منهم في البحر.

بعد ذلك أضيء نور خافت على قارب الضوء، ارتاح الرجال بعض الشيء قبل أن يزداد النور على القارب قليلاً ليكشف لهم عن عملاق يجلس على متن القارب!

طول هذا العملاق وهو جالس يساوي طول بعض الرجال في نيترو، وهم واقفون أو يزيد!

يرتدي هذا الرجل ملابس سوداء كاملة، ويتطاير شعره الكثيف خلف قناعه الأسود أيضًا ولا يمسك في يديه سوى قنينة ينبعث منها هذا الضوء الخافت!

صاح ماركينا **مرتعدًا:** الضوء الأخضر!! هذا الرجل هو من أنقذني وقتل ريتشا!

نظر كيلاري وأدلر إلى ماركينا وهو يتحدث بينما كان ماركينا يتقدم بقاربه أكثر حتى التصق بقارب الرجل العملاق!

حينها ضحك العملاق بصوت غليظ ومهيب **ثم قال:** يا لك من رجل صالح لا تنسى فضل الناس إليك، أما صديقاك فهما جاحدان.

نظر أدلر وكيلاري إلى بعضيهما البعض دون أن ينطقا!

فواصل العملاق حديثه بصوته المخيف **قائلاً:** لمَ تتعجبان! لقد أنقذتكم جميعًا قرب الكهف برمحي!

ارتاح الرجال الثلاثة كثيرًا بعد هذه الكلمات ثم تقدم كيلاري وأدلر بقاربيهما نحو الضوء حتى التصقت القوارب الأربعة ببعضها البعض تقريبًا.

سأل أدلر ذلك **العملاق:** لا نجحد فضلك أبدًا لقد أنقذتنا بالفعل وأنقذت صديقنا قبل ذلك، شكرًا لك يا.. عفوًا ما هو اسمك!

ضحك العملاق ثم **قال:** ألم تسمعونني حينما صحت، الضوء الأخضر!

أدلر: لا لا، سمعناك بكل تأكيد لكن ظننت أن هذا رمز ليس اسمًا حقيقيا كنت أود معرفة اسم أناديك به.

العملاق وهو **يقهقه:** هل تعلم، لا يعرف أي الناس اسمي سوى ثلاثة رجال وامرأة تقريبًا.

ارتاب أدلر قليلا فقال **متداركًا:** أنا آسف، لم أقصد المضايقة، إذن سنناديك بالضوء لا مشكلة.

قال العملاق وهو يشير **بيديه:** لا عليك، اسمي أدريان.

أدلر: وما هذا الزي المخيف. لم أرَ من يرتدون هذا الزي أو لمن يعود.

العملاق: هل تعرف معنى اسمي؟

صمت أدلر كأنه يفكر، فاستطرد أدريان **قائلًا:** أدريان يعني الظلام، لذا لا تتعجب.

تدخل كيلاري في الحديث **قائلاً:** إذن هل تتبعنا، كنت تعلم إننا هنا أليس كذلك؟

أدريان: في الواقع لا لم أكن أعلم بتواجدكم في نيترو، آخر ما علمته عنكم هو خروجكم بزي الملثمين من الكهف الذي كنتم تختبئون به، لكني لم أراقب وجهتكم.

ماركينا: إن لم يكن الضوء الذي تشعله كل أسبوع في البحر هو علامة لجذبنا إلى هنا، إذن ما سبب إشعالك إياه؟

أدريان: وان كان الضوء هو علامة لجذبكم، إذن لماذا كنت أشعله قبل مجيئكم إلى نيترو؟

لم يحصل ماركينا على إجابة لكنه فهم قصد أدريان الذي وكأنه يقول له لا تظن نفسك محور الكون يا رجل.

خلع أدريان قناعه لتظهر ملامحه الخشنة، وجهه أسود اللون وملامحه جافة، شعره خفيف من الأمام، لكنه كثيف من الخلف، كبير المنخار وغليظ الشفتين..

استرسل أدريان **قائلاً:** أتيت إلى كواسكا من أرض السود (ما يوازي قارة أفريقيا) لا أعلم متى أتيت ولا أعلم مع من أو لماذا أتيت، كنت طفلا لكن لا أستطيع تمييز سني وقتها، كل ما علمته إن والد يوري ورجاله وصلوا بسفنهم الضخمة إلى أرضنا صدفة، قتلوا منا من قتلوا ونهبوا من ثرواتنا ما نهبوا ثم أسروا أكبر عدد ممكن من الذكور وحملونا على سفنهم إلى كواسكا، كنا مسالمين لا نقوى على القتال ولا نفكر فيه، كان تلك أول مرة التي نتعرض فيها لمثل هذا الهجوم ومنذ نعومة أظافري وأنا عبد مملوك لوالد يوري لم أرَ أبي لا أتذكر وجه أمي لا أعرف إن كان لي أخوة أو أخوات من الممكن أن يكون بجواري عبد آخر هو أخي لكني أنا أو هو لا نعرف ذلك، لا اعرف حتى اسمي، أدريان هو الاسم الذي اختاره لي والد يوري لشدة سوادي مقارنة بأقراني..

كنت عبدا مطيعًا ولم يكن هناك بد من ذلك، تفانيت في خدمة والد يوري الذي لم أعرف اسمه إلى الآن، لا نطلق عليه سوى الناري!

هو من أسس تلك العصبة النارية التي تحكم كواسكا وتطاردكم بالمناسبة، تفانيت لأنني كنت أحب الحياة وأتجنب الموت..

أمضيت عمري كله عبدًا مطيعًا لا يتأفف على الإطلاق ولا يعرف معنى كلمة لا، هذا كان رغمًا عني ليس كرمًا مني.

وفي يوم من الأيام أنقذت السيد يوري حين كان شابًا من الغرق، كافأني والده وجعلني مساعده الخاص، ذراعه الأيمن كما يقولون، وثق بي كل الثقة وكنت جديرًا بها في كل المواقف..

حتى مات، ومن بعده صرت الذراع الأيمن للسيد يوري، تعرفونه طبعًا!

قلق الرجال وشعروا بالخوف بعد كلمات أدريان بخصوص علاقته بيوري ووالده، أحس أدريان بذلك فاستكمل حديثه **قائلاً:** أنا الآن الرقيب المباشر على فرقة الملثمين، أحمل تعليمات السيد يوري لهم واحمل ملاحظاتي عنهم للسيد يوري، كلمتي بينهم هي العليا بمباركة السيد يوري طبعًا.

أدلر: عذرًا على المقاطعة، إن كنت تنتمي إلى يوري ووالده بكل ذلك الإخلاص، إذن لِم ساعدتنا؟

أدريان: وهل انتميت إليهم بإرادتي؟ أم رغمًا عني؟ وهل نسيت ما ذكرته في مطلع حديثي بأنهم قتلوا من قبيلتي معظمها، وحرموني من العيش كطفل طبيعي؟ هل أنسى معاملتي كعبد، وقهر العبودية طيلة سنوات حياتي؛ إلى أن أنقذت يوري من الغرق لينتشلني القدر من كل ذلك؟

وعندما سألت والد يوري قبل موته عن أبي وأمي وعائلتي، أجابني بأن أبي قد قتل في أرضنا قبل أسري، وأمي لا أحد يعلم عنها شيئًا، وأخوتي قد انتشروا وسط العبيد مثلي فلا تستطيع التفرقة بين أحد منا أو تمييز من أخو من أو غير ذلك..

هدأ انفعال أدريان قليلاً **ثم استرسل:** طلبت من السيد يوري بعد ذلك الزواج، فأتاح لي الفرصة أن اختار بين الجاريات الجدد القادمات منذ أيام حينها، تزوجت إحداهن وخلصتها من حياة الجارية فقدمت لي حياتها رهن إشارتي، أنجبت منها طفلاً بعد أذن السيد يوري طبعًا، وكانت هي وهذا الطفل ما يخفف عني كل آلام الحياة ومصائبها، فشكرت السيد يوري على عطيته وازداد إخلاصي له..

وفي يوم من الأيام، كنت أباشر عملي في قصر السيد يوري حتى أتى إلي أحد أصدقائي وعلامات الذهول والخيبة تملئ وجهه. قرأت في وجهه أن هناك خبر سيء على وشك الوقوع على مسمعي الآن، تقدمت إليه في ظل تقدمه تجاهي حتى التقينا في منتصف الطريق ثم سألته عما يحمله، فهم صديقي إنني تبيَّنت ذلك من

ملامحه الفاضحة ثم همس لي بضع كلمات. فقط **قال:** هناك شيء ما يحدث في الغرفة الرئيسية للقصر. ثم اختفى

كنت أحفظ دهاليز القصر بكل تأكيد، تلك الغرفة لها شرفة رئيسية لا يقترب منها سوى الملثمون للحماية، وطبعًا قائد الملثمين أنا، ولكنني لم أكن اذهب إلى ذلك المكان في هذا التوقيت من اليوم أبدًا، فعملي يكون في قمته في ذلك الوقت، ذهبت مسرعًا نحو الشرفة وأمرت الرجلين الملثمين المكلفين بالحماية بالذهاب إلى قاعة القصر مع باقي الرجال، لتلقي تعليمات جديدة مني، لم يكن هنالك أية تعليمات ولا رجال في القاعة أصلا، لكني أردت أن أتسلل إلى الشرفة وأتفحص ما يجري! بالتأكيد وأنا ذاهب كنت متوقع ما يجري هناك لكنني ذهبت لأتأكد، بالتأكيد السيد يوري يتفق مع احد رجاله على التخلص مني، وهو ما اعتدناه دائمًا من السيد يوري ووالده من قبله، حيث يقتلون من تبلغ طاعته والثقة به وسط رجالهم إلى مكانة مرموقة، خوفًا من الانقلاب عليهم، هم دائمًا في خوف..

وعندما تسللت وحاولت أن أسمع وأرى ما يجري، وجدت ذلك يحدث فعلاً، لكن مع من كان يتم الاتفاق؟ مع زوجتي العزيزة. سمعت يوري وهو يؤكد عليها مرارًا وتكرارًا، لا تقتليه سوى بالسم الذي أعطيتك إياه، لا نريد إثارة الشكوك أبدًا، لا أريد قطرة دماء تسيل من أدريان، وهي بابتسامة حمقاء تجيبه بالطاعة دائمًا علمت حينها أن ذلك الحب الذي قدمت لي إياه

لم يكن سوى ثمن عتقها من حياة الجواري، وعندما تأتي إليها تعليمات من هو أهم مني ستنفذها بكل تأكيد، حتى وإن كانت تلك التعليمات هي التخلص مني، لا مجال لكوني زوجها، والد طفلها، عاتقها من حياة الجواري، ولا كل هذا!

الهدف الأسمى هو الحياة، فليرحل من يرحل وليسقط من يسقط فقط لتنتصر الأنا، حقا الإنسان أناني بطبيعته، ومن ينحرف عن تلك الطبيعة ويكن معطاءً، هو من يعاني بتلك الحياة اللعينة..

عُدت إلى موقعي وأمرت بترحيل رجلي حماية الشرفة إلى مهمة أخرى خارج القصر درءًا للشبهات، وتفادًيا لحديثهم مع يوري، بصدفة ما عن تصرفي الغريب عندما أمرتهم بالذهاب إلى قاعة خالية لم يجدوا أي أحد بها، ولم أعطهم تعليمات أو خلافه..

اتخذت قراري بألا أتذوق أي شيء في مسكني، كنت أكل ما اصطاده بنفسي أو اقتلعه من الأشجار..

أدلر: يا لهذا الثبات! لمَ لم تتخلص من زوجتك نهائيًا؟!

أدريان: كان ذلك قراري الأول، لكن بعد تفكير عميق وهادئ، وجدت أنني إن قتلتها ونجحت في إقناع يوري بأنها ماتت بطريقة أخرى، سيتحول يوري إلى طريقة أخرى لقتلي وقد لا أعرفها أو لا انجح في النجاة منها، لذلك تركتها، هي الآن المنفذ الأول لعملية التخلص مني وتعليمات يوري لها كانت كلها شدة وصرامة وتأكيد على قتلي بالسم؛ حتى وإن استغرق الأمر شهور، فمن المعروف إن معظم وجباتي أتناولها في عملي.

أدلر: أنت داهية حقًا، واعذرني، كل النساء عاهرات..

نظرت الفتاة التي لم تنبس ببنت شفة منذ بداية الإبحار إلى أدلر بغضب، فتنحنح أدلر وشعر بالحرج ثم **قال:** بعضهن.

ضحك أدريان بصوت عالٍ وخرج من هذا الجو الكئيب المسيطر على حكايته ثم قال **لأدلر:** في الوقت الذي كانت مكلفة فيه بقتلي، كانت تظهر لي طاعة غير عادية، وجهد غير طبيعي؛ كي أنال وقتا طيبا في مسكني الذي لا ارتاده كثيرًا، تذكر هذه المقولة جيدًا، العالم مليء بالممثلين والمحتالين، والناجح في تمثيل دوره بالحذافير، هو من يظفر دومًا.

أدلر **بهمهمة:** لا تنصحني بتذكر ذلك، فأنا أتذكره منذ أن عاملتني هيلدا بنفس الطريقة كي تهرب.

أدريان: هيلدا، نعم أعرفها واعرف إنك زوجها، أتت مع يوري من بوتانا، والآن تخطط هي ويوري للإمساك بك.

أدلر: لكن أولاً اخبرني، كيف نجوت إلى الآن!

أدريان: تلك الأوامر التي أعطاها يوري لزوجتي لم تكن منذ وقت طويل، فقط بضعة أسابيع، وعناية القدر جعلت يوري يحتاج إلى وجودي في كواسكا مع فرقة من الملثمين من اجل القبض عليك..

ثم نظر إلى ماركينا **واستكمل:** وعليك.

أدلر: يا رجل أنت مدين لي ولماركينا بحياتك.

أدريان: خلصت ديني في مناسبتين. أنت سريع النسيان.

كيلاري: عذرًا على المقاطعة وسط كل ذلك، لم أصل إلى إجابة، كيف أنقذت ماركينا وعلمت بمكانه وكيف أنقذتنا قرب الكهف؟

أدريان: إنقاذي لماركينا كان صدفة بحتة، كنت أود اصطياد ريتشا بين الأشجار بمفرده، راقبته وتحركت خلفه حتى أتمكن منه، ثم رأيت ما حدث مع ماركينا وأنقذته.

ماركينا: ولماذا أردت قتل ريتشا؟

أدريان: هو قائد الناريين والشخص الموثوق بينهم بالنسبة ليوري، لذا قد يكلفه يوري بقتلي في كواسكا دون أن يشعر أحد، أما عن حمايتكم بالكهف، كنت قد أعطيت التعليمات لرجالي بالبحث عنكم في كل مكان، بالتأكيد يجب أن أباشر عملي بشكل طبيعي، ثم تبعتهم إلى الكهف فأنا أعلم وجودكم به، لكني كنت أتعثر في الكثير من الملثمين في الطريق، ولم أود أن يعلم احد وجهتي فتأخرت قليلاً. كانت خطتي أن أتخلَّص منهم الأربعة قبل دخولهم للكهف، لكني تأخرت ليظهر لي القدر براعتكم في قتل ثلاثة، وتسنح لي الفرصة بقتل رابعهم لأسدد ديني لأدلر.

أدلر: وكيف علمت بوجودنا في الكهف؟

أدريان: ركضت وراء ماركينا حينما كان يهرب، بعدما قتلت ريتشا وأنقذت حياته.

كيلاري: مهلاً مهلاً، ما حدث عندما رأيت، زوجتك في غرفة يوري كان في كواسكا ثم فجأة، وجدتك تقول بأنك كلفت بالسفر إلى كواسكا، أنا لا افهم شيء.

أدريان: من قال ذلك، ما حدث عندما رأيت زوجتي في غرفة يوري كان في الجزر السبع، معقل النارين الأصلي، هو دائم التنقل بين كواسكا وتلك الجزر، ولكنه استقر في الجزر السبع منذ فترة.

أدلر: نعم، لقد ارتحل إلى هناك في اليوم الذي كنت ألاحقه به، يوم قتلي للحارس ٣٥، لكنه لم يكن يتمتع بكل تلك الحراسة يومها! كنت أراقبهم من على بعد ولم أرَ أي احد.

أدريان: أنت مسكين. هم كانوا محيطين بالكهف من كل حدب وصوب، ولكن من الطبيعي ألا تتبينهم، هم يرونك، أنت لا تراهم.

أدلر: وحينما قتلت الحارس ٣٥ وكنت أراقب الكهف لمَ لم يروني؟

أدريان: بالتأكيد انتقلوا لتأمين طريق سفر سيدهم يوري وزوجته.

أدلر: يبدو انك تعرف كل شيء!!

أدريان: ألم أقل لك، الذراع الأيمن.

ماركينا: إذن وما سر الضوء الأخضر؟

سكت أدريان قليلاً ثم قال وهو ينظر إلى **السماء:** أراد يوري قتلي؛ لذا سأقضي على إمبراطوريته التي ورثها عن أبيه، وانتقم لأبي وقبيلتي، ولنفسي.

نظر الرجال إلى بعضهم البعض متعجبين من هدف أدريان شبه المستحيل، أو إنه مستحيل حقًا أن يقوم به رجل بمفرده، أو حتى جماعة من الرجال.

قطع ماركينا الصمت **قائلاً:** لم أفهم إلى الآن، ما دخل الضوء بكل ذلك؟

أدريان: حسنًا. بما إنكم اخترتم أن تسمعوا خطتي فأنتم الآن إلى جانبي، وكيلا أفرض عليكم شيئا، لكم الآن حرية الاختيار، في صفي أم لكل منا طريقه؟

أجاب الرجال الثلاثة في صوت **واحد:** في صفك.

ثم أكمل **أدلر:** طالما أنت عدو يوري؛ الآن فنحن حلفاء.

أدريان: جيد أنا آتي إلى هنا منذ فترة آتي أسبوعيا أشعل ذلك الضوء الغريب لسكان جزيرة فقيرة متخلفة كنيترو، وأطلق بعض الرماح في الهواء لا اعلم في حقيقة الأمر ما سيمثل لهم ذلك تحديدا وكيف سيترجمون ما يجري، لكني متأكد من أن ذلك بالنسبة لهم هو شيء مخيف وخاطف للأنظار والقلوب. هكذا سأسيطر عليهم عندما أذهب إلى نيترو وأخبرهم أني من أصحاب ذلك الضوء أغلبهم سيهابني وينصاع إلى أوامري، حتى جنودهم، ومن حسن الحظ أن الجنود هناك هم من أبناء نيترو، ليسوا من

النارين أو أتباع يوري، هم خاضعون لهم لكنهم في الأصل من أبناء نيترو.

كيلاري: وإن لم يستجب لك الجميع؟

أدريان **هازئا:** قلة تكفيني، إنها جزيرة فقيرة سكانها جبناء بلا موارد. قلة ستجعلني أسيطر عليهم جميعًا رغمًا عنهم.

أدلر: يبدو أن خطتك تعمل بشكل ممتاز!

ضم أدريان حاجبيه من جفونه كأنه يستفسر عما يقوله أدلر الذي استطرد **قائلاً:** الناس في نيترو يظنون أن هذا الضوء وتلك الرماح تابعة لقبائل من الجن، سمعتهم يرددون ذلك وهم مقتنعون تمامًا، وبالفعل يملؤهم الخوف والرهبة حتى إنهم يتراجعون على الشاطئ إلى الخلف عندما يظهر الضوء في وسط البحر.

ضحك أدريان ضحكة مدوية بزهو وسعادة ثم **قال:** جيد، جيد جدًا، ثم أكمل الضحك. بعد ذلك تحدثت الفتاة الصامتة أخيرا وكانت تلك المرة هي أول مرة يسمع فيها أدلر صوت **الفتاة:** وكيف تشعل هذا الضوء العظيم؟

الفتاة بالتأكيد هي من أهل نيترو، وقد عاشت كل التفاصيل التي مر بها أهل الجزيرة حينما كانوا يشاهدون ذلك الضوء، فيبدو أنها تريد أن تتأكد انه غير تابع للجن فعلاً، يملؤها الخوف، وتريد الاطمئنان بشكل تام.

أجابها أدريان بعد أن أطال النظر إليها وهو **يضحك:** قلت لك نيترو جزيرة متخلفة بالنسبة لهم هذا الضوء هو إعجاز ولكنه إنجاز بسيط أنجزه رجال السيد يوري في الجزر السبع لينير مخازن الأسلحة، عمره الافتراضي ساعة أو بضع ساعات ثم يصبح غير قادر على الإنارة مرة أخرى، وتلك هي المدة التي أشعل فيها الضوء في كل مرة لو تلاحظين وقد تكون اقصر من ذلك حينما اشعر بالملل فأقوم بإلقائه بالبحر ليفسد، وأنا بدوري طليته بمادة طلاء خضراء أكسبته ذلك اللون، هذا كل شيء.

همست الفتاة في أذن **أدلر:** أنا لا اعرف قصتك ولا غرضك، ولكنك تبدو رجلا صالحا، وبما أن عدوك هو يوري الذي حكى عنه هذا الضخم، فبالتأكيد أنت راجل صالح؛ لأن عدوك فاسد، سأطمئنك وارفع عنك الحرج، لا تقلق، لن أقص على أي حد ما جرى هنا.

ارتاح قلب أدلر جدًا فهو كان يفكر في ذلك الأمر بالفعل، ولكنه لم يرد إحراج الفتاة، لكنها رفعت عنه الحرج بمهارة وحسن تصرف وأراحت قلبه وعقله.

ماركينا: إذن فلنعمل، ما الخطة الآن؟

كيلاري: قبل أن نتحدث في أي خطة يجب علينا تحديد الهدف في الوقت الراهن ثم تحديد الوسائل وبذلك توضع الخطة.

أدريان: قلت لكم هدفي السيطرة على نيترو لتكون المكان الذي أضع فيه خططي ويصبح أهلها جيشي وأغير منها على الجزر السبع.

أدلر: مهلاً مهلاً.. الجزر السبع بالنسبة لنا هي مكان أسطوري. حدثنا عنها قليلاً.

يبدو أن أدلر قد عادت إليه أوهام الطفولة وأحلام الشباب باستكشاف سبب مقتل أبيه، أو هدفه الحالي بالانتقام من يوري وهيلدا، وتبين أمر أبناء هيلدا هل أم أبنائه أم لا، في كل الأحوال هدفه هو الجزر السبع.

أجاب أدريان على **أدلر:** كل ما تحتاج معرفته عن تلك الجزر هي أنها معقل يوري وزوجتك الآن، وأبنائك أيضا. ليس أكثر. جزر طبيعية يسكنها بشر لا جان.

أدلر: ولكن..

قاطعه أدريان بصوت **حاد:** أخبرتك بما عليك معرفته، عندما تذهب إلى هناك استكشف ما ترغب في استكشافه.

ظن أدلر أن أدريان لا يريد إطفاء نار فضوله حتى يظل محافظًا على رغبته في الذهاب إلى هناك، وعلى أي حال أدريان هو من سيساعده على ذلك، فلا داعي لإغضابه.

رد أدلر بذكاء **قائلاً:** لن أحدثك بشأن الجزر مرة أخرى، أود فقط معرفة معلومة ما منك، هل تعرف أصول أبناء هيلدا؟ هل هم أبنائي فعلاً أم أبناء يوري.

أدريان في **حرج:** في الواقع لا أملك جوابًا لسؤالك.. لا أعلم.

أدلر وهو يضحك **بسخرية:** حسنا يا ذراع يوري الأيمن.

ضحك أدريان ثم **قال:** إذن أخبرتكم بهدفي، ما خططكم؟

أجابت الفتاة **بسرعة:** هل تسمحون لي بالتدخل؟

صمت الجميع ليسمعوا رأيها فاستطردت **قائلة:** أهل نيترو خائفون من ذلك الضوء جدًا وتسيطر عليهم الرهبة ويقصون عنه الخرافات؛ لذا تلك نقطة قوة يجب عليكم ألا تفقدوها، أو اسمحوا لي أن أقول يجب علينا ألا نفقدها، تلك نصيحتي.

أدلر: وكيف نحافظ عليها؟

كيلاري: لدي رأي، بالتأكيد أهل نيترو ينتظروننا الآن على الشاطئ بكل شغف، وهم من الأساس يكنون احترامًا كبيرًا لنا خصوصًا لأدلر لذا حينما نعود سيخبرهم أدلر إننا تعرضنا لمخاطر عنها، علت الأمواج والرماح، وانتشرت تلك الأصوات التي تشبه أصوات الفيلة لكننا استطعنا النجاة وسنخبرهم أننا لم نتبين إن كانت تلك القبائل المنتمية للجان أم لا، لكن كل ما نعلمه أنها ستغير على نيترو قريبا؛ لذا يجب على الجميع أن يصطفوا في

ظهر أدلر في مواجهتهم، وإطاعة أوامره، وبهذا نكسب شعب نيترو دون قتال، في العادي سنكسبهم بالقوة بسهولة، لكن إن كسبناهم بالحب مع الهيبة، سيبذلون الغالي والنفيس من أجلنا بكل تفاني وإخلاص، وكما تعلمون الإخلاص هو أفضل ما يصعد إلى السماء.

أعجب الجميع بالفكرة واستحسنوها غير إن أدريان بدا عاديًا لم يستحسنها ولم يذمها، لاحظ ماركينا ذلك فأكمل على حديث كيلاري **قائلاً:** ثم بعد ذلك نخبر الناس بأننا سنستقدم صديقًا له صولات وجولات حربية ليعزز موقفنا في مواجهة تلك القبائل، ذلك الصديق هو أدريان طبعًا.

عندئذ بدا استحسان أدريان للخطة.

قال أدلر **مازحًا:** يا للمساتك السحرية يا ماركي.

كيلاري: ولكن نحتاج إلى أسلحة ومؤن.

أدريان: سنحصل من جنود نيترو على بعض منها، وسأتولى أنا أمر الباقي، لا تنسوا أنا موثوق في الجزر السبع إلى الآن.

تدخلت الفتاة **مسرعة:** اعذروني، ولكن هل لي أن اعرف كيف تقوم بصوت الفيل هذا.

ضحك أدريان واخرج صندوق خشبي به قطع عرضي مصمم بطريقة ما ومغطى من أعلى بمادة غريبة ثم أخذ نفسًا عميقًا ونفخ في الصندوق لينتج هذا الصوت الذي أفزع الجميع.

وفي الوقت ذاته هبت موجه عنيفة ضربت القوارب وفرقتها، وأبتل الجميع بالماء.. من رأسه إلى قدميه، حينها اقترب أدريان بقاربه من الرجال مرة أخرى وقال: حسنا تلك الموجة أتت لتخبرنا إننا أطلنا النقاش في مكان غير ملائم، بعد غد سأنتظركم هنا في الموعد ذاته لتصحبونني إلى أهل نيترو لنستكمل تنفيذ الخطة.

أدلر: ستكون موجود بهذا القارب؟

أدريان: لا، بسفينة المؤن يا عزيزي.

ثم سأله **أدلر:** إذن من سيتولى أمر الضوء الأخضر بعد ذلك؟ لا بد أن نحافظ على تلك الأسطورة.

أدريان: هذا أمر تافه، سيتولاها أي منا حتى لو لبضع دقائق لنحافظ على الأسطورة كما تقول.

أدلر: اعذرني على الإطالة لكن ألم تخف أن يتقدم أهل نيترو إلى هنا ليكشفوا خطتك وأمرك؟

أدريان **هازئًا:** قلت لك، الناس هناك جبناء، هم لا يعرفون سر الحياة أبدًا، سر إلى خوفك وستجده يتبدد، لكنهم أجبن من ذلك، لذا لن يتبدد خوفهم أبدًا، سيتمادون في قص الأساطير والخرافات عما لا يعرفونه، لكنهم لن يتخذوا الخطوة ويحاولوا معرفته أبدًا، سيستمرون في إكساب الخطر قيمة لا يستحقها سيمجدون العدو دون أدنى مجهود من العدو فقط لأنهم غير قادرين على المواجهة؛ هؤلاء هم البشر، وتلك هي المخاطر المحيطة بهم. سواء تمثلت في خطر مجهول، أو حاكم مستبد أو جيش احتلال، أو حتى

الخوف من الفشل. تلك هي النفس البشرية؛ لذا فلنعزف على أوتارها بتؤدة.

أدلر: أنت على حق، إذن على ذلك الاتفاق، بعد الغد في هذا الموعد، إلى اللقاء يا صديقي.

كيلاري: جيد سيساعدنا بلل هذه الموجة في إقناع الرجال على الشاطئ بأننا واجهنا مخاطر عاتية.

ماركينا: سيقتنعون بأي شيء يقوله أدلر، إنه الزعيم هناك.

ضحك الجميع وودع الرجال الثلاثة صديقهم الجديد أدريان وهم كل منهم في العودة إلى من حيث أتى.

عاد كل من أدلر ماركينا كيلاري وفتاة أدلر ـ التي لا يعلم اسمها إلى الآن – إلى شاطئ نيترو ليجدون الناس تنتظرهم في شغف وخوف شديدين، بعض الناس كانوا قد تأكدوا من موت أدلر، ومن معه، البعض الآخر كانوا يؤمنون بهم تمام الأيمان، وإنهم عائدون لا محالة وفي الواقع فإن الفريقين كليهما قد زاد إيمانهم بأدلر ومن معه بعدما وجدوهم عائدين، ما أن ظهرت قواربهم للناس الماثلين بالشاطئ حتى بدأ الناس في الصياح والتهليل لم يستطع الناس انتظار القوارب حتى ترسو، بل هموا ونزلوا إلى الماء بأنفسهم؛ ليحملوا أدلر وصديقيه على الأكتاف، وهم مستمرون في صياحهم العنيف السعيد، فإن كان أدلر قد انتصر على هذا الضوء المخيف، فهو يستحق هذا الاحتفال، وإن

لم ينتصر، فعلى الأقل قد عاد سليما، وسيخبرهم عن المعلومات التي عرفها بخصوص هذا الضوء، وهذا أيضًا يستحق الاحتفال..

بعد أن هدأ الناس وانزلوا أدلر وصديقيه من على الأكتاف، تفنن أدلر وماركينا في نسج القصص الخيالية بخصوص ما حدث عندما واجهوا ذلك الضوء، الناس يستمعون إلى ما يقوله أدلر وماركينا ولا يشككون فيه البتة، تقع تلك القصص على آذانهم وأفواههم مفتوحة من هول ما يسمعونه، وكل هذا يزيد خوفهم من ذلك الضوء الأخضر كما يزيد تمسكهم بأدلر كزعيم لهم حتى يحميهم من تلك القبائل المنتمية للجن!!

استطاع أدلر وماركينا بسهولة بالغة أن يقنعوا الناس بذلك، ذاك الضوء هو في الغالب ينتمي إلى قبائل الجن، وإن كان لا ينتمي إليها، فهي حيوانات بحرية ضخمة ومفترسة، قد تلتهم جزيرتهم هذه في بضع دقائق، ولا تترك فيها أخضر ولا يابس، في كل الحالات، الخطر قادم لا محالة.

بعد أن أنهى أدلر وماركينا حديثهما الخيالي الذي استقر في عقول سكان نيترو وأقنعهم تماما، ساد الاضطراب والقلق بين الناس على الشاطئ، عم الصمت نتيجة الخوف الشديد، وكأنهم يفكرون في تلك اللحظة التي ستهجم فيها قبائل الجن أو الحيوانات البحرية عليهم، فتبيد جزيرتهم وتقضي عليهم، لاحظ أدلر ذلك الاضطراب فقرر استغلاله بالشكل الأمثل..

وقف أدلر وسط جموع الناس وصاح **فيهم:** أيها القوم شعب نيترو المسالم جنود نيترو البواسل الخطر قادم لا محالة ولا يوجد أمامنا سوى المواجهة!

فان كان لابد من الموت فعلينا أن نموت رجالاً!

أيها القوم أعلن لكم بوضوح وحتى لا أطيل عليكم في تلك الأوقات العصيبة لدينا الكثير من الحلفاء منهم من واجه تلك الأخطار سابقًا؛ لذا سنبعث لاستقدام احدهم ليساعدنا في تلك المواجهة وأتعهد إليكم بتزويدكم بالأسلحة اللازمة لذلك، لكن عليكم التعهد الآن بأنكم جميعًا رجال ونساء، أطفال وشيوخ، جنود ورعية. أن تطيعوا الأوامر والتعليمات، إن تتكاتفوا وتنظروا إلى مصلحة نيترو التي هي من مصلحتكم حتى ننجو من تلك الكارثة المحدقة بنا..

إذن. من معي؟

بعد أن أتم أدلر هذه الكلمات انطلق الصياح على الفور ليعلن جميع الناس مبايعتهم لأدلر ورفاقه، وطاعتهم لكل أوامرهم، هذا ما كان يريده الناس بالأساس وها قد تحقق، أدلر زعيمًا لهم.

بعد ذلك أشار أدلر إلى الناس بالانصراف إلى مساكنهم ومتابعة حياتهم في الغد بشكل طبيعي على أن يتجمعوا بعد الغد في نفس المعاد، ونفس المكان عند الشاطئ.

انصرف الناس، ثم جلس أدلر وماركينا بعض الوقت مع الجنود تحدث أدلر خلال ذلك الوقت عن الخطر المحيط وأهمية التكاتف من اجل مصلحة نيترو، وتحدث الجنود أيضًا عن مدى استعدادهم لتلك المواجهات وعن طاعتهم الكاملة لأدلر وأوامره.

بعد ذلك هم أدلر وماركينا في الانصراف وما أن قاموا حتى وجدوا كيلاري قادمًا إليهما بعد أن اختفي فور وصولهم إلى الشاطئ، دون أن يحضر ما حدث بين أدلر والناس..

أدلر: أين كنت يا هذا؟

كيلاري: كنت أطمئن على ماريز.

أدلر: من ماريز؟

كيلاري: ابنة عمي التي قدمت إلي في المسكن.

أدلر: تقصد التي جامعتها في المسكن.

كيلاري: كف عن ذلك، ماذا حدث بينكما وبين الناس؟

قص ماركينا على كيلاري ما حدث وهو ما استحسنه الأخير ثم هموا ثلاثتهم بالانصراف لكي ينالوا قسطًا من الراحة لكن أدلر وجد فتاته الجميلة تقف قرب الشاطئ وتنظر إليه في خجل وكأنها تريد التحدث إليه لكن تخجل أن تدعوه لذلك، أخبر أدلر صديقيه انه سيلحق بهم في خلال دقائق ثم اتجه إلى الفتاة.

وصل أدلر إلى الفتاة التي كانت تنظر إليه لثواني ثم تنظر في الأرض لدقائق من شدة الخجل، حاول أدلر أن يزيح ذلك الخجل

جانبا عندما تحدث **قائلا: لم كل هذا الاحمرار، أتخافين مني؟ أنا** لست الضوء الأخضر يا فتاة.

ثم ضحك ضحكة قصيرة.

ابتسمت الفتاة ورفعت عينيها إليه وما أن التقت عيناها مع عينيها حتى نظرت في الأرض سريعا مرة أخرى.

أدلر: حسنًا ما اسمك؟

الفتاة: سالينا.

أدلر: وماذا يعني؟

الفتاة: سالينا يعني القمر.

أدلر: أوه، كان علي أن افهم هذا وحدي، أنا أتحدث إلى القمر فعلا.

ازداد احمرار وجه الفتاة وابتسمت ابتسامة عريضة تلقائية ثم أخذت تنظر بعيدًا إلى البحر.

أدلر: إذن يا سالينا ما قادك إلى الركوب إلى قاربي ومساعدتي في رحلة خطيرة كهذه؟

أنتظر أدلر إجابة خجولة أخرى من سالينا التي تجيبه بكلمة واحدة، لكن سالينا الجميلة استجمعت كل قواها لتعطيه إجابة جميلة أيضا حينما **قالت:** قادني قلبي إلى هذا.

تهلل وجه أدلر بعد سماع هذه الإجابة، ثم أكمل حديثه بسرعة **قائلاً:** ولقد قادني قلبي إليك أيضًا.

استدارت سالينا بشكل كامل لتعطي ظهرها إلى أدلر وتنظر إلى البحر وكأنها تحاول إخفاء وجنتيها المكسوتين باللون الأحمر الدامي، أكمل أدلر حديثه لسالينا في ذلك الوضع حينما **قال:** حسنًا لابد أنك سمعتي ما قاله أدريان «**الضوء الأخضر**» حينما كنا نتحدث معه عن زوجتي السابقة هيلدا، ولابد أنك تريدين معرفة تفاصيل هذا ومعرفة رحلتي وهدفها.

استدارت سالينا بسرعة حينما قال أدلر تلك الكلمات وقالت برقة **بالغة:** لا، لا أريد معرفة أي شيء، أنت رجل صالح فيما يبدو، وسأرافقك في رحلتك هذه إلى أن تبلغ مقصدك بنجاح، أو نموت سويا، وإن تبين لي أنك لست بالصلاح الذي تبدو عليه، سأحاول أنا إصلاحك، لقد اختارك قلبي.

قالت سالينا تلك الكلمات ثم ركضت مسرعة إلى مسكنها وهي لا تعلم كيف تفوهت بمثل هذه الكلمات أمام أدلر الذي يقتلها خجلها منه، أما عن أدلر فكاد أن يرقص على الشاطئ من شدة الفرح، وفي طريق العودة إلى مسكنه كانت تغطي وجهه ابتسامة عريضة لا تنتهي ولا يقل حجمها، وبقلبه فرحة غامرة، مفاجأة أدريان الضخمة التي ستساعدهم في مواجهة يوري ورجاله، مفاجأة سالينا شديدة الروعة التي ستعطي قلبه الحب الذي حرم منه، ماذا يحدث؟

يبدو أن الحياة ابتسمت لأدلر أخيرًا بعد أيام قفار عديدة، وها هو يقترب من تحقيق حلمه والظفر بابنه – إن كان ابنه –

والقصاص من هيلدا ويوري، ثم يعود ليمارس حياة طبيعية بعد أن اكتسب فتاة جميلة كسالينا، وصديقين رائعين كماركينا وكيلاري، وأنصار يحبونه كأهل نيترو.

في تلك الأثناء كان الناريون والملثمون في كواسكا قد وصلوا إلى كهف يوري حيث كان يختبأ أدلر وماركينا وجدوا بقايا حريق ولم يتبين إليهم هوية الأشياء المحروقة، فلقد وصلوا إلى الكهف بعد عدة أيام من مغادرة الرجال له، لكنهم استطاعوا بصعوبة من قراءة الرسالة التي تركها لهم ماركينا على ارض الكهف ونصها

«على الرحب والسعة «وكانت تلك الرسالة هي الرد لرسالتهم «**أهلا ماركي ومن معك**» المتروكة بعد حرق أزولا المسكين.

التهبت الأجواء في كواسكا بعد قراءة تلك الرسالة، تفيد الرسالة بأن ماركينا ومن معه لا يهابون الناريين ولا الملثمين وهو ما استفزهم اشد استفزاز، على الفور وصلت الرسائل إلى يوري في قصره بالجزر السبع تخبره بما حدث، ماركينا يتحداهم ويؤكد لهم وجوده في كواسكا بتلك الرسالة، ويسخر من عدم قدرتهم على القبض عليه رغم انه يمكث داخل جزيرتهم التي يبسطون أياديهم عليها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب!!

كل تلك المعاني استخرجها الناريون من رسالة ماركينا التي لا تتعدى الثلاث كلمات!

يبدو أن ماركينا محارب بارع حقًا.

أثارت تلك الأخبار حفيظة يوري واستطاعت استفزازه للدرجة التي أفقدته عقله وقادته إلى الجنون حقًا، أمر يوري بإرسال كل الرجال الموجودين في الجزر السبع إلى كواسكا للمساعدة في القبض على ماركينا ومن معه، ولم يترك سوى فرقة مكونة من خمسة عشر فردًا لحراسته، وحراسة أقرانه من الرجال الفاسدين القاطنين بالجزر السبع!

وأرسل يوري كلماته إلى الرجال في كواسكا يخبرهم بأن احدهم لن يترك كواسكا ألا بعد إيجاد ماركينا ومن معه، وفي خلال سبعة أيام، إن لم يتمكنوا من إلقاء القبض عليهم، ستطير رؤوسهم جميعا دون أي استثناء!!

ساد الذعر بين الناريين والملثمين وباقي الرجال المبعوثين من الجزر السبع بعد الإفصاح عن رسالة يوري المدوية، لكن ذلك الذعر تحول إلى الشعلة التي أثارت نشاطهم، عزموا على مسح الجزيرة مسحًا شاملاً، بالطريقة التي تمكنهم من إيجاد من يختبئ في الجزيرة حتى وان كان مختبئًا في باطن الأرض، سينبشون القبور والحفر، سيهدمون البيوت بعد البحث بها حتى لا تعتبر مصدر احتمال بعد ذلك، سيأتون على الأخضر واليابس حتى يجدوا ماركينا ورفاقه وينجوا بحياتهم من بطش سيدهم يوري!

لكنهم **لا** يعلمون أن هذا لن يحدث، سوى أن قرر أحدهم أن يتخذ قرارًا مجنونًا، ويخالف تعليمات يوري، ويترك كواسكا متجهًا إلى نيترو للبحث بها، وطبعًا ذلك من المستحيلات.

في صباح اليوم التالي استيقظ كيلاري من نومه ليجد ماركينا وأدلر مستمران في نومهما العميق، قرر كيلاري الخروج إلى الشاطئ؛ ليمشي في الهواء الطلق قليلاً حتى يبدأ يومه بشكل نشيط وهادئ..

بعد ذلك بنصف ساعة تقريباً استيقظ ماركينا من نومه ليجد أدلر مستيقظا هو الآخر، ولكنه غارق في التفكير للدرجة التي جعلته لم يلاحظ أن ماركينا قد أفاق من نومه..

قرر ماركينا مقاطعة سلسلة الأفكار الدائرة في عقل أدلر حين **قال:** يا هذا، فيما أنت شارد؟

أدلر: لا شيء، أفكر فيما يحدث وسيحدث، دعك من هذا. أين كيلاري؟

ماركينا: لا أدري يا رجل ألا تراني استيقظ من نومي للتو؟!

أدلر: أوه ستجده ذهب لملاقاة ماريز، لدينا الكثير من العمل اليوم، يجب أن نذهب إلى الجنود ونتفحص حالة وإعداد أسلحتهم وذخائرهم، ويجب أن نباشر الناس، ونتجول بين المساكن والسوق حتى يشعرون بأننا بينهم بشكل دائم، وإننا نتخذ

الأمر بجدية فعلا. أرجوك ماركينا اذهب إلى كيلاري واصطحبه إلى هنا لنتفق علامَ سنفعله.

ماركينا: حسنا سأذهب إلى مسكن ماريز أولاً ففي الغالب سأجده هناك.

ذهب ماركينا إلى مسكن ماريز بالفعل لكي يأتي بكيلاري، ماريز تسكن بمفردها بعد وفاة والدها عم كيلاري حسبما أخبرت ماريز كيلاري الذي أخبر أدلر وماركينا في وقت سابق.

عندما وصل ماركينا إلى المسكن لاحظ أن الباب مفتوح وهو أمر غريب أن يحدث في نيترو لخوفهم الدائم من الحيوانات المفترسة المحيطة وما يزيد الأمر غرابة أن ذلك المسكن هو خاص بفتاة تسكن بمفردها فكيف لها أن تترك الباب مفتوحًا!

أخذ ماركينا يفكر في الأمر وتوصل في النهاية إلى أن كيلاري وماريز من شدة اللهفة لبعضهما البعض، قد نسوا إغلاق الباب خلفهما، ضحك ماركينا ضحكة ساخرة، ثم دفع الباب ليثير انتباه كيلاري وابنة عمه لوجوده، لكن لم يخرج إليه أحد، ازدادت ضحكاته الساخرة وقال في نفسه يبدو أنهما منهمكان قليلاً ثم دخل إلى المسكن لينادي على صديقه **قائلاً:** كيل...

لم يكمل ماركينا اسم صديقه حيث بمجرد فتحه للباب تلقى ضربة عنيفة بعصا معدنية على رأسه أفقدته الوعي تمامًا، وسقط في الحال!

في الوقت ذاته كان كيلاري قد ملّ من المكوث على الشاطئ وهم في العودة إلى مسكنه، لكنه فوجئ ببيرت يركض نحوه، توقف كيلاري عن السير في توجس حتى وصل إليه بيرت، وما أن تحدث بيرت إلى كيلاري ببضعة كلمات حتى أشهر كيلاري سيفه وأخذ يركض بسرعة بالغة لا أحد يعلم إلى أين يتجه والى أحد قادر على اعتراض طريقه بل لا أحد قادر على تتبعه حتى من شدة الخوف!

في النهاية قادته قدماه إلى مسكن ماريز دخل كيلاري إلى المسكن وشرر الغضب يخرج من عينيه مع النظرة الأولى وجد كيلاري صديقه ماركينا يستفيق من تلك الضربة العنيفة التي تلقاها على رأسه ووجد ماريز على سريرها ممزقة الملابس وتنزف من خدوش عديدة في وجهها وصدرها ورقبتها ويغلبها البكاء الهستيري!

في ذلك الوقت ماركينا لم يرَ ماريز إلى الآن، هو بجانب الباب يهم في القيام لتضميد رأسه التي تنزف أما هي فعلى سريرها كما سبق الذكر..

حين رأى ماركينا صديقه كيلاري وتحقق منه وجده يقف على أول الباب ينظر إليه تارة وإلى سرير ماريز تارة أخرى في ذهول وغضب، لم يأبه ماركينا لبكاء ماريز بقدر ما كان يريد أن يعرف من أصابه بتلك العصا الغليظة تحدث ماركينا إلى كيلاري **قائلاً:** كيلاري أين كن..

لم يكمل ماركينا سؤال حتى تفاجئ بكيلاري يرفع سيفه بشده ويوجهه إليه بعنف وهو يصيح **بغضب:** يا لعين..

تحرك ماركينا – الذي لا يكاد يستفيق من ضربة العصا العنيفة على رأسه ـ في خفة ليتفادى سيف كيلاري الموجه نحو قلبه!

نجح ماركينا في تفادي الموت، لكنه لم ينجح في تفادي السيف بشكل كامل حيث جُرِح جرحًا غائرًا في ذراعه وسقط على الأرض يتأوه وهو **يصيح:** ماذا فعلت أيها المجنون!!

حمل كيلاري سيفه الذي قد سقط منه من شدة اندفاعه بعدما جرح ذراع ماركينا واستدار نحو ماركينا مرة أخرى، ماركينا الآن ساقط على الأرض ممسك بذراعه يصرخ من شدة الألم غير قادر على الحركة أو الفرار!

لكن الفرار من ماذا؟ لماذا يحاول كيلاري قتله؟؟

حتى ماريز لم تفهم شيئا وظنت أنها مشكلة بينهما وظلت تراقب ما يحدث وهي تبكي بشدة وترتعد..

خطى كيلاري خطوة نحو ماركينا الذي لا يتوقف عن **الصياح:** ماذا فعلت بي أيها المجنون، أيها الغبي، ويستكمل التأوه والصراخ!!

كل هذا وماركينا لم يرَ ماريز على حالتها تلك فوق سريرها!

أما كيلاري فقد وضع قدمه فوق بطن صديقه ماركينا وتحدث ـ والكلمات تكاد تتكسر بين شفتيه وأسنانه المضمومين على بعضيهما بقوة من شدة الغضب – **قائلاً:** بعد كل تلك السنوات، تسول إليك نفسك في المساس بابنة عمي يا حقير..

ثم صاح وهو يرفع **سيفه:** إلى الجحيم الآن يا وغد..

وحينما كان كيلاري في طريقه ليهوى بسيفه فوق رأس ماركينا صاحت ماريز **بقوة:** لم يفعل شيء!

وفي الوقت ذاته تقلب ماركينا على الأرض ليفلت من قبضة كيلاري عليه بقدمه ليرتطم سيف كيلاري بالأرض ويستدير فورًا لينظر إلى ماريز في ذهول وهو **يقول:** لم يفعل شيء؟؟ لم يفعل شيء؟؟؟ إذن من فعل بك هذا؟

واستدار لينظر إلى ماركينا وهو **يقول:** وماذا تفعل أنت هنا؟

لم كنت ساقط قرب الباب؟ الم يكن هذا من مقاومتها لك؟

تحامل ماركينا على نفسه، ووقف على قدميه بصعوبة لينظر إلى ماريز ويفهم ما يجري في هذا المسكن الملعون، في الوقت ذاته تحدثت ماريز قائلة بصوت متهدج من **البكاء:** بيرت قد حاول اغتصابي، وكتم صوتي بيديه حتى كدت ألقى حتفي من الاختناق، ثم دفع احدهم الباب فتركني بيرت، ووقف بجوار الباب وهو يحمل تلك العصا المعدنية التي أبقيها في مسكني مخافة أن يهاجمني حيوان ضار يومًا ما، أما أنا فلم استطع الصياح من شدة الاختناق ولم افعل شيئا سوى محاولة التنفس بعدما

تركني بيرت أخيرًا، تبين أن ماركينا هو من دفع الباب، وما أن خطى خطوته الأولى إلى داخل المسكن، حتى فاجأه بيرت بضربة من العصا على رأسه فأسقطه على الفور وفر هاربًا.

صاح كيلاري **بشدة:** أيها اللعين، لقد جاء إلي وأخبرني أن ماركينا يحاول مضاجعتك بالقوة وهو ما جعلني أتي إلى هنا في الحال.

في تلك اللحظة خارت قوى ماركينا وسقط على الأرض وهو **يردد:** ألم أقل انك لعين، وغد غبي غبي غبي..

ألقى كيلاري سيفه وحمل ماركينا بمساعدة ماريز إلى السرير وهم بتضميده، وفي تلك اللحظات دخل أدلر المسكن مسرعًا وشاهرًا سيفه وما إن رأى كيلاري يتأوه على الفراش وكيلاري يحاول تضميده حتى **قال:** ما هذا؟؟ ماذا يحدث؟؟ أتحاول تضميده؟؟

كيلاري: سأخبرك بما حدث، لكن لمَ ترفع سيفك هكذا؟!!

قال أدلر مخاطبًا **كيلاري:** جاء إلي بيرت في مسكني واخبرني انك قد قتلت ماركينا هنا بمساعدة ماريز!!

ثار كيلاري وماركينا وصاحا بأبشع الشتائم في حق بيرت حتى قاطعهم أدلر وهو يسأل بصوت **عال:** أنا لا افهم شيئا، اخبروني ماذا حدث؟!!

طلب كيلاري من ماريز الاعتناء بماركينا حتى يعود ليعتني بها وبه، ثم اصطحب أدلر إلى خارج المسكن واخبره بما حدث فاتجه الاثنان يبحثان عن بيرت اللعين والأسئلة تفتك بعقليهما، لم فعل بيرت كل ذلك؟! كيف فكر في هذه الخطة المدروسة؟! ما غرضه من وراء كل هذا؟!

وصل أدلر وكيلاري إلى احد الجنود وسأله إن كان قد رأى بيرت فاخبره الجندي انه رآه منذ قليل متجها نحو قاربه على الشاطئ، وأشار إليه بأن يسأل جنود الشاطئ عنه، هرول الرجلان إلى احد الجنود على الشاطئ وأعادا عليه نفس سؤال الجندي السابق فأجابهم **الجندي:** بيرت قد أبحر بقاربه منذ قليل ولا يعلم احد وجهته كالعادة لكنه ترك رسالة مكتوبة وطلب منا أن نعطيها لشخص واحد وهو أنت يا سيدي..

سأله **أدلر:** أين هي؟؟

ذهب الجندي إلي جندي آخر عند الشاطئ واخذ منه رسالة طويلة مكتوبة في أكثر من ورقة ثم أتى بها وأعطاها لأدلر..

ابتعد أدلر وكيلاري قليلا عن الجنود ثم فتح أدلر الرسالة وبدأ في قراءتها..

«**صديقي القديم، عزيزي أدلر، يؤسفني ما ستتلقاه من صدمة في تلك الرسالة الطويلة، لكني لست آسف على ما فعلته، لقد أتيت أنا إلى نيترو هاربا من بوتانا على ظهر سفينة بضائع بعد أن تورطت في غرق احد الرجال في بوتانا يدعى ايريك**

وتملكني الخوف من أن ينكشف أمري، بعد ذلك أرسل ملك بوتانا وفدًا من حراسه إلى نيترو للبحث عني، كنت قد أخبرت الأقرباء مني في بوتانا، إني ذاهب لأبحث عن عمل، لكن هذا لم يقنع ملك بوتانا، وحينما ألقي القبض علي بواسطة الحراس، أعادوني إلى بوتانا، جلس إلي ملكها اللعين واعترفت إليه بسبب هروبي، فاخبرني عن قصتك كاملة وإنهم يبحثون عنك بعد أن تخلفت في كواسكا ووجدوا الحارس رقم ٣٥ مقتولاً هناك، أمرني بان أعود إلى نيترو وأتجسس على الناريين الموجودين هناك في ذلك الوقت حيث انه كان خائفا من أن يغيروا عليه على حين غُرة، كما أمرني بان أخبره إن رأيتك في نيترو في يوم من الأيام، لقد رأيت وجهك في أول يوم في نيترو، لكني لم أخبرك بذلك واصطنعت التفاجأ حينما خلعت لثامك أمامي عند الشاطئ، ذلك لأنني اعمل لصالح ملك بوتانا الذي يسعى للقبض عليك وتقديمك كقربان ليوري ورجاله، وحينما سألتني عن سبب تغيبي في البحر، أخبرتك بأنها أوامر القلادة، لكن الآن إليك الإجابة، ذلك لأنني كنت اذهب لأدلي بالمعلومات التي امتلكتها لرجال ملك بوتانا، أما ما فعلته منذ دقائق فهدفي كان تفريق شملكم حتى تنهار ثقة أهل نيترو بكم، سأنقل الصورة كاملة لملك بوتانا فلا تجزع أن وجدت من يتجه إلى نيترو للقبض عليك وحدك باعتبار أن خطتي قد نجحت وقد قضا صديقك كيلاري على ماركينا وقضيت أنت على كيلاري،

خبر وجودك بنيترو سيصل إلى بوتانا الليلة، وحتى يصل الخبر للجزر السبع يحتاج ثلاثة أيام، خلال هذه المدّة أتمنى أن تأخذ نفس قراري، نفس قرار صديقك المجنون بيرت، وهو الانتحار، لن يتركني ملك بوتانا هناك سيرسلني إلى هنا مرغمًا، ولا أستطيع الاعتراض، إن اعترضت سأحاكم في إغراق ايريك وسأعدم هناك وإن عدت ستقتلني أنت أو جنودك في نيترو؛ لذا فلن يأخذ أحد روحي غيري، أعلم أني كنت خائن، خسيس، في غاية الوضاعة، لكني أقسم أني لم اختر ذلك، تلك الحياة هي من وضعتني في ثوب الشر..»

بيرت

مزق أدلر الرسالة بعنف بعد قراءتها ووضع يديه خلف رأسه في حسرة وكأنه يستعجب من أن تلك الحياة لا تبتسم له وتكمل ابتسامها يوما واحد أبدا!!

لكن كيلاري ربت على كتف أدلر وقال **له:** لا عليك، ثلاثة أيام هي المهلة، سيصل أدريان غدًا ويمكننا الرحيل بعد الغد، أو حتى الغد إن أردنا!

سنرحل قبل أن يصلوا إلى هنا، وقد يكون ذلك في صالحنا فان وصلنا إلى الجزر السبع، وهم في طريقهم إلى هنا سنتمكن من يوري بسهولة حيث أن أغلب رجاله في كواسكا والباقون سيتوجهون إلى هنا.

أدلر بعد أن اطمأن لما قاله كيلاري قليلاً أشار عليه بأن يعودا للاطمئنان على ماركينا.

عاد الرجلان إلى مسكن ماريز ووجدوها قد أكملت تضميد جرح ماركينا الذي تحسنت حالته قليلاً..

تحدث كيلاري إلى ماركينا في خجل شديد وهو يطأطأ رأسه وينظر في الأرض واستعمل كل كلمات الأسف والحسرة، أما ماركينا فعفا عنه على مضض، من جانب حتى لا تفسد رحلتهم، ومن جانب آخر لأنه لا ينسى لكيلاري مواقفه حينما كان يزوده بالأكل في كواسكا غير آبه بالإخطار التي قد يواجهها..

بعد أن اطمأن كيلاري على ماريز وتحسنت حال ماركينا قص أدلر وكيلاري على ماركينا ما حدث واخبروه بأمر الرسالة وفحواها وذكر له كيلاري تعليقه عليها بخصوص أنها في صالحهم إن تحركوا قبل انقضاء الثلاثة أيام..

وافق ماركينا كيلاري الرأي ووافقهم أدلر كذلك لكنه أبدا تخوفه من شيء أخر حين **قال:** لكن إن كنا نتحرك في اتجاه الجزر السبع، ورجال يوري في الجزر السبع يتحركون تجاهنا، فمن المحتمل أنت نتقابل في عرض البحر! أليس كذلك؟

وجه أدلر ذلك السؤال وهو ينظر إلى ماركينا الذي عمل سابقًا مع يوري، وربما يجيب على هذا السؤال.

ماركينا بصوت **هادئ:** ببساطة كل ما نعلمه عن طريق الجزر السبع إن كل من يذهب إليها أو يعود منها يجب أن يمر بكواسكا أولاً؛ لذا سيأتون إلينا من كواسكا.

أدلر: لا جديد، إذن سنضطر للمرور بكواسكا وملاقاتهم. لم يتغير الأمر.

كيلاري: اعتقد أن أدريان لديه كل الطرق المؤدية للجزر السبع؛ لذا حينما يأتي سنخبره بما حدث وسيخبرنا هو بالقرار.

استقر الرجال على هذا الأمر كما استقر كيلاري أن يعلن زواجه من ابنة عمه ماريز، لكن لا احد في نيترو يعلم أنها ابنة عمه لان لا احد يعلم انه كيلاري، هو فقط رجل من فريق الملثمين لم يرَ أحد وجهه قط، وأشار كيلاري إلى أن هذا سيسعد أهل نيترو حيث إنهم سيعتبرونه اختلاطًا للأنساب بينهم وبين الملثمين وأن دماءهم أصبحت دمًا واحدًا؛ حينئذ أشار أدلر إلى كيلاري باصطحاب ماركينا إلى مسكنه والخروج إلى الناس وإعلامهم بزواجه من ماريز واصطحابها إلى المسكن هي الأخرى..

وافق كيلاري لكنه سأل **أدلر:** وإلى أين ستتجه أنت؟

أدلر: سأخبر والد سالينا برغبتي في الزواج منها حتى نكمل اختلاط الأنساب هذا..

ضحك الرجال ومعهم ماريز ثم ذهب كل منهم إلى مقصده..

في خلال دقائق كان أدلر كان وصل إلى مسكن سالينا وطلب من والدها الزواج منها، ووالدها بدوره لم يتوانى عن الموافقة في الحال..

نادى المنادون بين المساكن وعند الشاطئ وفي السوق ليتجمع الناس قرب مسكن أدلر وصديقيه ليعلن أدلر زواجه من ابنة نيترو سالينا ويعلن كيلاري الزواج من ماريز وهو ما اعتبره سكان نيترو شرف عظيم أن تختلط أنسابهم بنسب أدلر القائد

الصالح وصديقه الوفي كيلاري، دقت الطبول وعم الفرح وانتشرت الرقصات الشعبية في نيترو وقضى سكان الجزيرة اليوم بأكمله في أجواء الاحتفال والسعادة، وكأنها الفرصة الأخيرة للمرح قبل أن يلاقوا قدرهم الشاق في الأيام المقبلة، أدلر، كيلاري، ماركينا، ماريز، وسالينا يعلمون طبيعة الخطر المحدق بهم، يعلمون أنهم ذاهبون للجزر السبع خلف يوري ورجاله..

أما باقي سكان نيترو فهم هائمون في وهمهم المتعلق بمقابلة وحوش البحار الضارية أو قبائل الجن!

وفي النهاية، كل الاستعدادات تصب في مصلحة الجميع.

في صباح اليوم التالي استيقظ سكان نيترو على فاجعة!

وكأن احتفالات الأمس هي الهدوء الذي يسبق العاصفة!

سفينة نارية تشق البحر في اتجاه نيترو، لكن لماذا يخاف الناس من سفينة نارية؟!

لديهم أدلر وصديقاه وهم من الملثمين وكما هو معهود لا تعارض بين الملثمين والناريين، كلاهما يعمل لنفس الأشخاص والأغراض.

لكن أدلر وصديقيه مختلفون في الصفات كليًا عن صفات كل الملثمين، أو الناريين الذين مروا من نيترو أو مرت قصصهم على نيترو، هم أناس صالحون، ربما لهذا السبب شعر الناس

بالذعر، ربما ظنوا أن تلك السفينة القادمة محملة بالرجال الذين أتوا لمعاقبة أدلر وصديقيه على حسن معاملتهم لأهل نيترو!

وربما يكون السبب انه لم تسبق أن زارت سفينة نارية بهذه الضخامة وهذا الاستعداد العسكري أرضى نيترو من قبل!

المشهد أثار الرعب والفزع بين الناس فلم يجدوا ملجأ سوى مسكن أدلر تجمع الناس ودقوا الباب بل دقوا المسكن نفسه بعنف خرج أدلر وصديقاه بفزع فأخبرهم الناس على عجالة سبب ذلك الصخب وأشاروا إلى السفينة، اتجه أدلر وصديقاه نحو الشاطئ ومن خلفهم الناس..

أدلر ورفاقه يعلمون بأن أدريان سيأتي بسفينة نارية حربية محملة بالأسلحة اللازمة، لكن الاتفاق أن يتم ذلك في ظلام الليل، في نفس توقيت إضاءته للضوء الأخضر!

هناك شيء غير مفهوم!

لكن حتى يهدأ الصخب، ويقل التوتر، صاح أدلر في الناس أن هذا هو الصديق الذي وعدهم باستقدامه لمساعدتهم في مواجهة الخطر..

في ثوانٍ معدودة تبدلت مشاعر الناس من الرعب للاطمئنان ومن الاضطراب للتفاؤل، ومن الضعف إلى القوة، تلك السفينة الضخمة المحملة بالكثير والكثير ـ كما يظهر من على بعد – ستكون لصالحهم وتتقدم صفوفهم!

يا له من حليف رائع!

سُر الجميع لما قاله أدلر، وأخذوا يترقبون وصول السفينة التي دنت بالفعل وأصبحت على وشك الإرساء..

وصلت السفينة أخيرا وهبط منها رجلان لا يرتديان لا الزي الناري ولا زي الملثمين، بل يرتدون ملابس سوداء كالتي يتميز بها أدريان..

ومن بعد الرجلين هبط أدريان، هذا العملاق المهيب بالنسبة لشعب نيترو، فهم لم يسبق لهم رؤيته. صمت الجميع احترامًا لهذا الضخم وخضوعًا لهيبته..

بعدما خطا أدريان بضعة خطوات في اتجاه أدلر وسكان نيترو صاح بغلظة **قائلاً:** أيها الناس، هنا أدريان، حليفكم.

ابتهج الناس لكن دون إسراف، كست وجوههم الابتسامات ليس أكثر من ذلك..

بعد ذلك توقف أدريان عن السير وتقدم إليه أدلر مع كيلاري وماركينا..

أدلر بصوت **منخفض:** هيا بنا إلى مسكني لتخبرني ماذا حدث ليغير موعد قدومك..

أدريان: لا وقت لذلك على الإطلاق، يجب أن ننطلق اليوم ولذلك جئت باكرا، لقد تغيرت الأوضاع

أدلر: ماذا تغير؟

أدريان: الوضع في الجزر، هذا الوقت الأمثل للهجوم عليهم ولا يوجد وقت كافٍ لشرح الأسباب.

أدلر: حسنًا حسنًا علي إخبارك شيء ما..

ثم قص أدلر ما حدث من بيرت في إيجاز شديد وعلى عجالة، فأجابه أدريان بان هذا سبب آخر يعجل من تحركهم ويحتم عليهم الخروج من نيترو الليلة..

أدلر: اعذرني ولكن لمَ تحدثني بهذه الغلظة؟!

أدريان: إنها أمور حربية، تلك الغلظة تضف لي مهابة بين الناس فلا ينكسر لي أمرًا ولا يخرج أحدهم عن طوعي، كما أنك حدثتني في البحر، وأنا أمرح بضوئي الأخضر، أما الآن نحن في حالة حرب ربما وعلى الجميع طاعتي حتى لا تذهب حياتنا سُدى..

تفهم أدلر غضب أدريان من سؤاله وإجابته الجافة وأشار إليه أن يتقدم إلى الناس الذين شاهدوا نقاش أدلر وأدريان من بعيد دون أن يسمعوا ما دار بينهما..

تقدم أدريان بخطى واثقة ثم بدأ في التحدث إلى الناس ومخاطبتهم بنبرة وألفاظ عسكرية؛ ليخبرهم بأن العمل سيصل ذروته في الساعات المتبقية من النهار، حيث إنهم سيتحركون لملاقاة عدوهم عند غروب الشمس..

سأل الناس أدريان بفضول عن هوية العدو، فأجاب أدريان برزانة ودبلوماسية **قائلاً:** نحن نعلم معقل الأعداء لكن لا نعلم هويتهم، أيا كانت طبيعة العدو فسنتحرك للقضاء عليهم في منبعهم حتى لا يتقدمون إلينا بأرضنا، وإن خسرنا فسنجد تلك الجزيرة حصنا نفر إليه..

عندئذ همس ماركينا في أذن كيلاري مبديًا إعجابه بحنكة أدريان الذي وجد الرد بسهولة وسرعة كما أشاد بنبرته الغليظة في الحديث وحديثه الحماسي، وعدم خلعه للثامه الذي يضفي مزيدًا من الرهبة إلى الأجواء، مشيًرا إلى أن هذا العملاق يمتلك خبرات حربية فذة.

بعد ذلك أكمل أدريان حديثه الملتهب دون أن يُقطع بالأسئلة ومن ثم وزع على الناس المهام المطلوبة منهم، وأعطاهم الضوء الأخضر للانطلاق فورًا..

هبّ الناس من أمام الشاطئ كل متجه صوب مهمته لإنجازها دون كلل أو تقاعس..

سار أدلر مع أدريان ليعرفه على الجنود في نيترو وقادتهم، ثم جلسوا جميعًا وبرفقتهم كيلاري وماركينا للاتفاق على خطتهم..

أخبرهم أدريان بأنه قد أحضر الأسلحة اللازمة لمن سيتوجهون إلى الجزر السبع، أما أسلحة نيترو فستبقى في نيترو، فهو سيقسم أهل نيترو إلى قسمين، القسم الأول سيتكون من ثلاثين رجلا

أكفاء في سن متوسط قادرين على المواجهة سيتواجدون معهم على السفينة..

القسم الثاني هو باقي رجال نيترو وشيوخها ونسائها، وهم سيشكلون خط الدفاع والحصن الذي ستعود إليه السفينة في حالة تعرضها لموقف ضعف أثناء المواجهة، فإن طاردهم العدو إلى هنا يجد أهل نيترو متأهبين في قواربهم وسفنهم على الساحل لدكه ورده بعيدًا، وفي نفس الوقت إنقاذ أقرانهم..

قاطع أدلر حديث أدريان مبديًا تعجبه من حاجته لثلاثين رجلا فقط، فأصابه أدريان بنظرة غاضبة وأخبره بأنه سيتحدث إليه بشأن ذلك الأمر في وقت لاحق..

رجع أدلر إلى وعيه، وتذكر أن أدريان لا يستطيع التحدث عن تفاصيل الخطة أمام الجنود، الذين يظنون أنهم ذاهبون لملاقاة أشباح في الظلام...

بعد أن أنهى أدريان تعليماته للجنود، اصطحب أدلر نحو السفينة، ثم نهره على ذلك الجزء..

لكن أدلر طيب خاطره بسهولة ويسر وعاد يطرح عليه سؤاله مرة أخرى فأجابه أدريان بان ذلك العدد أكثر من اللازم في الأساس، عشرون رجلاً سيكفون لكنه سيصطحب ثلاثين على سبيل الاحتياط..

تعجب أدلر من ذلك الحديث لكن أدريان اخبره بأن الجزر السبع شبه فارغة فقد رحل يوري جل رجاله إلى كواسكا للبحث

عنه هو وصديقيه بعدما قرأ الرجال في كواسكا رسالة ماركينا التي تركها على أرض الكهف، مما أثار حفيظتهم وأشعل النيران في قلوبهم وعقولهم، لم يتبقَ في الجزر السبع سوى فرقة مكونة من خمسة عشر فردًا يا رجل. أتفهمني؟!

خمسة عشر رجلاً يحمون يوري ورفاقه ورجلان في حراسة مخزن الأسلحة ليس إلا، إنها فرصتنا..

ابتهج أدلر لما سمعه من أدريان واستشعر أن النجاح يقترب منهم رويدًا رويدًا..

أما أدريان فذهب ليباشر الناس وأعمالهم، وعندما قاربت الشمس على الغروب أمر أدلر رجال نيترو وجنودها بالتراص في صفوف حتى يختاروا منهم ثلاثين رجل للصعود إلى السفينة، أنجز أدريان مهمة الاختيار بمساعدة ماركينا في وقت قصير بنظرتهم الحربية الخبيرة..

أما كيلاري فكان يستمع إلى شكاوى ماريز وسالينا اللتان أصرتا على الذهاب معهم على السفينة، وكيلاري بدوره نقل تلك الشكوى إلى أدلر الذي أبدى تأييده لما قالوا، فهو يحتاج إلى سالينا معه فعلاً، ثم تعهد أدلر لهما بتنفيذ ذلك الطلب..

ثم تحدث إلى أدريان في ذلك فأجابه أدريان **بحدة:** إذن من أراد أن يصطحبنا سيخضع للأوامر الحربية وسيحمل سلاحًا

أدلر: اتفقنا.

بعد ذلك صعد الثلاثون المختارون إلى السفينة وحملوا أسلحتهم التي أمرهم أدريان بحملها، ثم وزع أدريان الباقين الرجال يحملون السيوف، النساء يحملن الأقواس والرماح، الشيوخ في الخلف للاعتناء بالجرحى، وهكذا أكمل أدريان تعليماته وأتمها، ثم صعد أدريان رفقة أدلر، ماركينا كيلاري والاثنتان الوحيدتان بالرحلة إلى السفينة المتجهة لملاقاة العدو!

اتخذ الجميع مواقعهم ثم أعطى أدريان أوامره بالإبحار فانطلقت السفينة وسط مباركات ودعوات وصياح أهل نيترو الباقين في الجزيرة..

سارت الرحلة في هدوء تام وبدون أخطار وجميع رجال نيترو الثلاثين ينتظرون نقطة ما في البحر سيشير عندها أدريان بأنها معقل العدو!

أما أدلر ورفاقه فهم ينتظرون رؤية الجزر السبع مقصدهم الحقيقي على مرمى بصرهم..

بعد عدة ساعات من الإبحار ليلاً، اقتربت السفينة من حدود كواسكا التي يعلمها أدلر وصديقاه جيدًا، فبدت الرهبة على وجوههم ولاحظ أدريان ذلك فتحدث إليهم بنفس النبرة الغليظة التي لم يتركها قط **قائلاً: لا** تقلقوا، أنتم على متن سفينة نارية، قبطانها هو القائد الأعلى للملثمين في الجزر السبع.

لم يرتح قلب أدلر سوى عندما مروا سالمين من تلك المنطقة التابعة مياهها إلى كواسكا، عندئذ سرى الاطمئنان في عروقه

كالدم وعلم أن لا خطر الآن سوى خطر الجزر السبع باعتبار أن الأمواج لن تداهمهم.

بعد بزوغ الفجر وبداية إشراق الشمس استيقظ ادلر بعد أن غفا لساعتين للراحة ليرى جزيرة ما على مرمى البصر!

فز أدلر من مكانه وانطلق نحو أدريان يسأله هل تلك الجزيرة هي واحدة من الجزر السبع؟؟

أجابه أدريان **ببرود:** نعم هي كذلك.

أدلر: إذن لماذا لم نخبر الرجال بأننا قد غيرنا وجهتنا حتى لا يعتريهم القلق.

أدريان: لقد تكفلت بذلك أثناء نومك يا رفيق، أخبرتهم بان وجهتنا هي الجزر السبع دون الخوض في تفاصيل أكثر من ذلك.

أدلر: ولم يعتريهم القلق؟ لم يتناقشوا معك حول السبب؟

قهقه أدريان قليلا ثم **قال:** أخبرتك بأني امتلك من الهيبة ما يمنع ذلك يا رجل.

ترك أدلر أدريان وأيقظ أصدقاءه، وأشار إلى الجزيرة وأخبرهم بما قاله أدريان..

حينما أصبحت السفينة دانية من الجزيرة، صاح أدريان في الرجال ليحملوا أسلحتهم من كلف بسيف فليشهره ومن كلف بقوس ورماح فليحملهم، التهبت الأجواء أكثر ودبت الحماسة،

وسرى النشاط بين الجميع سوى رجل واحد من الثلاثين كان قد أنهكه التعب والإعياء، نظر أدريان إلى ماركينا وقال **باستخفاف:** يبدو أنك من اختار هذا الرجل فأنا نظرتي لا تخيب أبدًا..

ثم توجه بنظره إلى الرجل **وسأله:** أتود الموت على أيدي رجال الجزر السبع؟

فأجابه **الرجل:** لا.

أدريان: إذن فلتنتظرنا على متن السفينة، إن عدنا إليك، فذلك من حسن حظك، إن لم نعد وهاجمك رجالهم، فاقفز في البحر، ومت غرقًا حفظًا لكرامتك.

مع اقتراب السفينة من الجزيرة بشدة أخبر أدريان الرجال أنه سيسير بهم من طريق خالي من المراقبة إلى أن يصلوا إلى مخزن تحت الأرض كان قد خصص للسلاح، لكنه لا يزال فارغا، سيمكثون هناك، ويخرج هو ليتحين الفرصة المناسبة للهجوم، ثم يعود إليهم ويقودهم إلى قصر يوري..

في دقائق معدودة كانت السفينة قد وصلت إلى الجزيرة وهبط أدريان أولا ثم توالى الرجال في الهبوط حتى آخر رجل الجريح ماركينا الذي لا يزال جرح ذراعه يؤلمه، لكنه يحمل سيفه باليد الأخرى فهو محارب بارع بكلتا اليدين.

قاد أدريان السير عبر ذلك الطريق غير المراقب، ومن معه يتبعونه واحدا تلو الآخر، حتى يأتي في آخر المجموعة تمامًا أدلر وكيلاري كل منهما مع زوجته.

بعد مسافة قصيرة توقف أدريان عند عدد من البراميل الخشبية المرصوصة إلى جوار بعضهم البعض، ثم أزاح تلك البراميل جانبا ليظهر سلم معدني يقود إلى الأسفل، إذن هم وصلوا إلى ذلك المخزن القابع تحت الأرض، اخرج أدريان مفتاحا معدنيا غليظا، ثم نزل وحده على السلم المعدني، وفتح بابا معدنيا أحدث صوت فتحه صدى مزعجا، ثم صعد مرة أخرى وأمر الرجال بالنزول واحدًا تلو الآخر، تتابع الرجال في النزول، حتى جاء دور أدلر الذي أمر سالينا بالنزول وسأل أدريان **قائلاً:** إذن هم سبعة جزر، هل قدتنا إلى الجزيرة التي يقع بها قصر يوري، أم أننا سنضطر إلى اجتياز الجزر سعيًا إليه؟

ضحك أدريان بصوت عالٍ ثم **قال:** تلك المعلومة هي أم الخرافات، يا صديقي لا يوجد سوى جزيرة واحدة هنا، اسم الجزر السبع هو اسم أسطوري لإرهاب الناس ليس إلا، لا تتفاجئ يا صديقي، لا زالت المفاجآت لم تأتِ بعد، هيا هيا هِمْ بالنزول حتى لا نتأخر.

لم ينبس أدلر ببنت شفة ثم نزل ليلحق بالرفاق بالأسفل، هم في مخزن فسيح جدًا مبني على مساحة ضخمة حتى انه يكاد يسع جميع سكان نيترو واقفين جنبًا إلى جنب، لا يشغله سوى صندوق خشبي ضخم هناك في الركن الأخير، وبينما هم يستكشفون المخزن، ويتعجبون من مساحته، سمعوا صوت صدى الباب

المزعج، وهو يغلق بالمفتاح الغليظ، استداروا جميعًا ليجدوا أدريان يغلق الباب من الخارج!!

صاح ادلر وهو يركض نحو **الباب:** أدريان!! لمَ ذلك؟

أجابه أدريان بصوت **غريب:** ماذا قلت؟؟ أدريان؟

ثم خلع هذا العملاق لثامه ليرى أدلر رجلاً آخر مختلف تمامًا عن ذاك الذي خلع لثامه في القارب!!

ماذا يحدث إذن؟؟ ما هذا؟!!!

ضحك هذا العملاق بصوت عال جدا ثم قال **هازئا:** ألم اقل لك يا صديقي المفاجآت لم تأتِ بعد؟!

اجعل من في هذا الصندوق الخشبي يخبرك بمفاجأة أخرى.

ثم واصل الضحك وصعد السلم وهو يغني ويتراقص.

ركض أدلر سريعًا والجميع من خلفه نحوا الصندوق الضخم ليفتحوه، لتكن المفاجأة الأخرى!

هذا أدريان!

هذا من كان معهم في القارب ويشعل الضوء الأخضر، ها هو ملقى في هذا الصندوق موثق الرجلين واليدين بالحبال وفمه مربوط بقطعة من القماش تمنعه من الحديث..

اخرج الرجال أدريان وفكوا وثاقه، ونزعوا تلك الكمامة وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة..

سأل أدلر **مرتاعًا:** ماذا حدث يا أدريان؟ ومن هذا الذي قادنا إلى هنا؟

نظر أدريان إلى أدلر ثم **قال:** كيف استطاع خداعكم يا أغبياء؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض، لا أحد يفهم أي شئ!

أدريان مستمر في الصياح أغبياء أغبياء!

بعد ذلك هدأ أدريان قليلاً ثم **قال:** حينما تركتكم وعدت إلى هنا، ذهبت إلى صديقي الذي سبق واخبرني بان زوجتي كانت في غرفة يوري للاتفاق على قتلي، لقد ذكرت لكم ذلك سابقًا.

قال **أدلر:** نعم نتذكر ذلك، أكمل

أدريان: ذلك الرجل هو المتحدث باسم يوري في البلاد ومستشاره الأول، لكن كما تعلم هو صديقي المقرب، ذهبت إليه وأخبرته بما أنوي فعله معكم وإننا سنطبق على يوري ورجاله ونتمكن من مملكته، ووعدته بأنه سيكون معي في حكمها في حين تمكنا من مقصدنا، أما في حال فشلنا، فطلبت منه أن يرعى طفلي ويقنع يوري بأنه لا ذنب له في شيء، ويضمن له حياة كريمة.

لكن هذا الخسيس طعنني في ظهري، في غضون ساعات، وجدت يوري متجهًا صوبي بوفد من رجاله أبرحوني ضربًا، وصحبوني إلى هنا، وبالطبع صديقي الخائن نال مكافأة قيمة كان ينشدها..

بعد ذلك قام يوري باستقدام «**صامويل**»

صامويل هو عملاق له نفس حجمي تقريبًا، لكن الصوتين مختلفان تمامًا لذا ظننت إنكم ستكشفون أمره..

الداهية يوري أمر صامويل بالاتجاه إليكم في نيترو، بعد أن ألبسه ملابسي، ومواصلة الخطة كما اتفقت معكم عليها، أعد له السفينة وهيئ له الطريق خلال كواسكا ورتب كل شئ للإيقاع بكم، مع تعديل طفيف هو أن يأتي إليكم باكرًا لتأتوا إلى هنا في أسرع وقت..

كيف لم تكتشفوا صوته يا أدلر، كيف ذلك بحق الجحيم

أدلر: لقد كان يتحدث بنبرة غليظة طوال الوقت، أقنعنا انه يفعل ذلك من أجل إرهاب الناس في نيترو وضمان طاعتهم، لم اشك في ذلك البتة، أنا لم اسمع صوتك يا أدريان حينما تنزعج وتصيح؛ لذا ظننت انه قد يكون هذا هو صوت صياحك العنيف.

ماركينا: بالفعل لقد لاحظنا ذلك عند حديثه الأول، وهمست وتحدثنا سويًا أنا وكيلاري حول براعته في استخدام تلك النبرة؛ لإرغام الناس على الطاعة!

وهو لم ينزع لثامه قط، يا لنا من حمقى جميعًا!

أدريان: لا جديد يذكر فيكم يا أهل نيترو، الخوف الزائد جعلكم تسطرون الأساطير عن الضوء الأخضر، والثقة الزائدة جعلتكم تترجمون غرابة صامويل على هواكم!

أدلر: إذن انتهينا جميعًا! سيأتي رجال يوري إلى هنا ويقضون علينا جميعًا واحدا تلو الآخر، أو جميعًا في آن واحد.

أدريان: يوري شخص شكاك من الطراز الأول، ظن أنكم بارعون للحد الذي لا حد له، حيث ظن أنكم ربما خدعتموني أنا، وأنكم لن تأتوا إلى هنا، وستغيرون على كواسكا أو بوتانا وتتخذونها قاعدة أقوى من نيترو؛ لذا ترك رجاله في كواسكا كما هم، حتى إذا عملت خطته بنجاح وقادكم صامويل إلى هنا، سيرسل إلى رجاله؛ ليأتون في صباح الغد؛ لذا صامويل الآن في طريقه إلى قصر يوري لإخباره بأنكم هنا حتى يرسل مرساله إلى كواسكا ويستقدم رجاله.

ماركينا **ساخرًا:** إذن لدينا يومًا سنقضيه هنا نتحسر فيه على أنفسنا وحياتنا، إنه الموت البطيء المذل يا سادة!

أدلر: الطريق خالي من المخاطر! نمر على كواسكا بسلام وأمان! نسير إلى ذلك السجن اللعين دون مراقبة! لقد ظننت أن القدر يقف بجانبنا! لكننا كنا أغبى مخلوقات الأرض.

أدريان: ليس سجنًا هو مخزن للأسلحة ربما صامويل أخبركم ذلك وان أخبركم فهي المعلومة الوحيدة الصحيحة التي قالها لكم لا توجد سجون هنا لأن تلك الأرض لا يسكنها سوى يوري ورفاقه الماجنون الفسدة، لا يؤرقهم عامة الشعب، هم وعائلاتهم والحراسة وفقط، سيقطعوننا أربا أربا، ويقدموننا كوجبة شهية للأسماك!

كل ذلك ورجال نيترو جالسون لا يفقهون أي شئ فيما يقال، لكنهم رغم ذلك لا يودون الفهم، هم فقط يودون النجاة أو الموت حالاً بدلًا من ذلك الموت البطيء، الذي يقتل قلوبهم قبل إزهاق أرواحهم!

ظل الجميع شارد، الكل يفكر في مثواه الأخير، رجال نيترو يفكرون في ذويهم على الجزيرة، ماركينا يفكر في ثأر أخته الذي فشل في رده، بل أنه من الممكن أن يقتل بنفس الطريقة بعد كل تلك المُدة!

كيلاري يفكر في ثأره من يوري وفي ماريز التي ورطها معه، حاله حال أدلر الذي تؤرقه تخيلاته بشان هيلدا الشامتة وزوجها الساخر، كما يزعجه أنه ورَّط سالينا في هذه المأساة، والجميع غاضبون من كونهم حمقى، خدعهم صامويل وذهبوا إلى المصيدة بأنفسهم!

وأشركوا معهم ثلاثين من رجال نيترو لا حول لهم ولا قوة، ولا شأن لهم بكل ذلك!

أدريان يفكر في أمره، ما دفعه لكل ذلك!

كان بإمكانه أن يتغاضى عن ظلم يوري وجشعهم، يذهب إلى كواسكا بعيدا عن زوجته المتآمرة، يعيش في سلام هناك بعدما قتل ريتشا!

لكن هل يندم على أنه نوى على تطبيق العدل!

هل الندم جائز في تلك الحالة؟

هل كان من المفترض أن يتغاضى عن أمور سكان كواسكا ونيترو وغيرهم من سكان الجزر المسلوبة، ويفكر في نفسه فقط!

هو الآن يتأرجح بين الشعور بالندم، أو الشعور بالراحة، ووسط كل ذلك تعصر قلبه حسرته على طفله صاحب المستقبل المجهول، ويثير غضبه ذلك الصديق الخائن، وتلك الزوجة التي لم تصنه!

وبينما الوضع على هذه الشاكلة سمعوا وقع أقدام تهبط على السلم الحديدي المؤدي إلى باب ذلك السجن الواسع الخالي من المنافذ كلما اقترب صوت الأقدام كلما اشتعل الخوف، بل الرعب في القلوب، ففي كل الأحوال الهابط إليهم الآن هو عدو لهم ليس لهم من حليف على تلك الأرض..

هم الآن في انتظار الخبر القادم إليهم عن طريق ذلك الرجل على السلم والذي هو – بكل تأكيد – خبر قاتم آخر..

ويبدو أن ذلك الرجل المتجه إليهم كان يتعمد التباطؤ حتى ينهك أرواحهم المرهقة، وينزع أفئدتهم من أماكنها ويسويها على نار هادئة!

توقف صوت الأقدام على السلم مما يعني أن ذلك الشخص على بعد خطوات من البوابة، قام ادلر ـ الذي كان يحاول أن يتحلى بصفات القائد فيما تبقى من سويعات قبل الموت – واتجه نحو الباب، يقترب ظل الرجل من الباب ثم تظهر قدمه اليمنى

المتقدمة بالخطوة الأولى ومن ثم القدم اليسرى، وباقي جسده، من هذا؟!

انه بيرت!!

وما أن رأى أدلر صديقه القديم وعدوه الجديد حتى بدأ في سبه ولعنه بأبشع الألفاظ وأحط الأساليب، ومن بعده ركض ماركينا رفقة كيلاري نحو الباب، وتناوبوا جميعًا على سبه حتى كادوا يخلعون الباب من شدة التصاقهم به؛ محاولين النيل من بيرت الذي يقف في الخارج، وينظر في وجوههم بثبات وبملامح جامدة تزيد من غضبهم..

لم ينطق بيرت بكلمة حتى صمت الرجال بعد الكثير من السباب واللعن، سأله **أدلر:** هل جئت لتشمت يا بيرت؟ إذن أنت خائن وذلك قد عرفناه، لكن لمَ التشفي؟ فيما آذيناك؟ كدت أعذرك حينما قرأت رسالتك وعلمت أنك مرغم على ما كنت تفعله، لكن لماذا أتيت إلى هنا؟ وماذا تفعل في جزيرة يوري؟ ولمَ لم تنتحر كما أخبرتني؟ وألم تقل في رسالتك إن الرحلة إلى هنا تستغرق ثلاثة أيام؟ لم تستغرق سوى بضع يوم، لمَ كل ذلك؟!

أتدري؟ أنا لا أريد إجابة على كل ذلك؛ لأنك حتما ستكذب أو تتشفى!

وفي كل الأحوال، أرحل من هنا فحسب، لا أريد أن يكون وجهك هو آخر ما أراه قبل موتي..

قال أدلر تلك الكلمات ثم صاح بصوت رج أرجاء **المكان:** اغرب عن وجهي وارحل.

خلع بيرت قبعته الأنيقة التي كان يرتديها لينال قسطا من أناقة يوري ورفاقه ثم **قال:** جيد، أنا فعلت كل تلك الأفعال المشينة والمخزية ولا سبيل للإنكار، لكني هنا للمساعدة!

أطلق أدلر ضحكة صاخبة هازئة خرجت من منابع القهر والحسرة، ويل لتلك الضحكات التي تعبر عن الحسرة لا السعادة وهم للرد على بيرت لكن بيرت أوقفه **قائلاً:** أدلر أنصت لي جيدًا ثم قرر ما أنت مُقرره!

نظر أدلر في وجه صديقيه ثم نظر إلى بيرت ولم يتحدث..

فاستطرد بيرت **قائلاً:** كل ما قلته في الرسالة هو ما حدث، لم أكذب سوى في إخبارك بانتحاري، كنت أرغب أن تنساني تمامًا، ولا تفكر في الانتقام، إن أفلتت أنت من قبضة يوري وحاولت مساعدتك حينما أخبرتك أن الخبر سيصل إليهم في غضون ثلاثة أيام، وعليك التفكير في حل، رغم إنني اعلم أنه لا حلول، ولم أكذب في ذلك، لم أكن أعلم أن الرحلة تستغرق غير ذلك، هذا ما قيل لي في بوتانا، وبعدما عدت إلى ملكها وأخبرته بما حدث كله، أرسلني إلى هنا كقربان للسيد يوري، أمرني بأن اخبر يوري بأمر اتفاقكم مع أدريان وتحرككم صوب الجزر السبع، حينها سيرضى يوري عن ملك بوتانا وسيكافئني، وكما تعلم أنا لا املك قراري!

وضعوني كالبعير على سفينة متجهة من بوتانا إلى الجزر السبع، فوجئت بأننا قد وصلنا دون أن ينقضي يوم واحد؛ حتى فوجئت مثلكم تمامًا، وحينما أتيت إلى هنا قابلت يوري وأخبرته بما ستفعلونه، وكانت المفاجأة الأكبر.. يوري أخبرني أنه يعلم ذلك قبل قدومي عن طريق صديق لأدريان كان قد خان الأمانة، وأفشى السر ليوري، ثم بعث يوري ببرقية شكر لملك بوتانا، وأخبرني بأنه يقدر مجهوداتي كل التقدير، وعرض علي المكوث في الجزر السبع والعمل معه كمستشار له منصب رفيع، قبلت العرض على الفور وأخبرني بخطة إرسال صامويل إليكم. في البداية شعرت بأنك ستكتشف أمر صامويل بسهولة، لكن حينما عدت بذاكرتي إلى ذكريات بوتانا، تذكرت انك عاطفي من الدرجة الأولى وان حماستك للنيل من هيلدا ويوري ستعمي عينيك عن حقيقة صامويل الواضحة، وستنساق بكل رضا خلف تلك المكيدة.

أمضيت تلك الساعات قبل وصولك أفكر في كل ما حدث لي منذ أن تسببت في إغراق ذلك الرجل الذي يدعى ايريك في بوتانا، وهربت إلى نيترو إلى ما أوصلني إلى هنا!!

لم أقرر مصيري بيدي يا أدلر لم أقرر أي قرار!

لكن الآن في أول فرصة لوقوع الاختيار في يدي، حان الوقت لتعلموا حقيقة بيرت!

وقف كل الموجودين في المخزن وتقدموا صوب الباب ليستمعوا إلى ما سيقوله بيرت..

لم يقوَ أحدهم على التحدث، بل ظلوا جميعًا يمنون أنفسهم بانفراجة وينتظرون منه التحدث..

لم يطل بيرت انتظارهم واسترسل **قائلًا:** صامويل أتى منذ قليل وأخبر يوري أن الخطة سارت بنجاح، وأنكم موجودون بذلك المكان، يوري لم يأتِ إلى هنا لأنه لا يمتلك هنا سوى خمسة عشر رجلاً لحمايته، وباقي الرجال جميعًا في كواسكا وانتم رغم سجنكم مسلحون؛ لذا لن يأتي سوى عند قدوم جميع رجاله من كواسكا. الآن أنا المكلف بالذهاب إلى كواسكا لاستقدام الرجال، لكنني عدلت وجهتي وأتيت إلى هنا!

سأحرركم وسنقضي على يوري سويًا.

تهللت أوجه الرجال ونظروا إلى بعضهم البعض، ثم انطلقت الابتسامات وبعض الدموع، مع الكثير من الأحضان، بزغ شعاع النور من قلب الظلام الحالك!!

لكن كيلاري الغاضب من بيرت قطع كل تلك البهجة، وسأل في **غلظة:** وما يضمن لنا أنك لست خائن لعين كعادتك؟

بيرت: توقعت ذلك السؤال، في الواقع لا تمتلكون خيارا أخر، إما أن تثقوا بي وتخرجوا معي من هنا إما أن تمكثوا هنا منتظرين الذبح، وعلى أسوء الأحوال إن خنتكم، ستموتون، وإن

لم تخرجوا معي من هنا ستموتون؛ لذا الآن لديكم محاولة واحدة فقط فلتستكشفوها.

اقتنع الجميع بكلام بيرت الذي لا تشوبه شائبة. منذ دقائق كانوا لا يمتلكون أي أمل للنجاة الآن هناك بصيص نور؛ لذا يجب السير وراء ذلك النور..

صعد بيرت إلى أعلى السلم بخفة، ثم هبط بمطرقة حديدية ثقيلة وأخذ يطرق على القُفْل الذي يغلق الباب حتى انكسر، ثم سحب مزلاج الباب وفتحه، حمل الجميع أسلحتهم – ومن حسن حظهم إن خطة صامويل لم تحتو جزء تجريدهم من الأسلحة، وهذا كان غير ممكن حتى لا يرتابون منه – ثم تتابعوا في الخروج من المخزن اللعين. أخذ أدريان السيف الزائد الذي كانت تحمله ماريز بدلاً من ذلك الرجل الذي أنهكه الإعياء، وظل على السفينة، وترك لها قوسها ورماحها، خرج الجميع سوى أدلر وكيلاري، تقدم أدلر نحو بيرت الذي لا يزال واقفا بجوار الباب، ثم ربت على كتفه دون أن يتحدث، وصعد السلم. أما كيلاري فمرَّ أمام بيرت وهو ينظر في عينيه **ويقول:** سيكفر لك ذلك المعروف الجرح الذي تسببت فيه لماركينا، لكن – إن نجونا – لن يكفر لك محاولة اغتصاب ماريز..

رد بيرت **بسرعة:** الآن أنا أحاول الحفاظ على حياتك وحياة ماركينا وحياة ماريز أعتقد إن نجونا كما تقول سيكفر ذلك عن ذنبي، لا تتسرع.

وقف الجميع في تلك الساحة الخالية بعدما صعدوا من الأسفل لا يعلمون وجهتهم القادمة، توجهت الأنظار صوب بيرت الذي سيخبرهم بما عليهم فعله..

ولم يخيب بيرت توقعاتهم، بل تحدث بشكل سريع **قائلاً:** حسنا سأسير بكم من طريق خلفي إلى حديقة القصر الخارجية، سنترك الجميع هناك سوى أدلر وكيلاري وماركينا. من الجيد أنكم مازلتم بزي الملثمين، سأعود بكم إلى الباب الرئيسي للقصر وتدخلون معي كرجال ملثمين لا تمثلون خطرًا، وليس من الغريب تواجدكم في القصر، سأصعد بثلاثتكم نحو مكان مكوث يوري في الردهة الأساسية للقصر، حينها نحن الأربعة سنتولى أمر أربعة رجال يصطحبون يوري دائما، يتبقى أحد عشر رجلاً موزعين على الحديقة، ومداخل القصر، سيقود أدريان المجموعة التي ستبقى بالحديقة بقيادة صامويل، وسيسهل عليكم الفتك بهم..

قاطع أدريان بيرت **قائلا:** هل الطريق مراقب؟

بيرت: بالطبع لا. أنت تعلم لا يوجد هنا سوى خمسة عشر رجلاً للحماية، أما البقية فهم بعض الأثرياء وعائلاتهم وحراستهم الخاصة التي لا تتعدى خمسة أشخاص، يعيشون تحت سلطة يوري الذي يفرض عليه بعض الضرائب، لا أظن أن أحدا منهم سيخاطر بحياته لإنقاذ يوري..

أدريان: حسنًا لن يعترضنا أحد أنا أعلم كل شئ هنا سأقود أنا الرجال للباب الخلفي للحديقة، وأنتم الأربعة اذهبوا إلى وجهتكم مباشرة..

بيرت: جيد جدًا.

بعد ذلك ودَّع الجميع بعضهم البعض واتجهت كل فرقة إلى مقصدها.

وصل بيرت وخلفه أدلر، ماركينا وكيلاري إلى باب القصر الرئيسي حيث يجلس رجلان من ضمن الأحد عشر رجلاً الموجودين بالحديقة ومداخل القصر، لم يعترض أحد طريق بيرت، فهو رجل موثوق لدى سيدهم، ومعه ثلاثة من الملثمين والذين يبدوا أنهم جاءوا لتوهم إلى الجزيرة؛ حاملين بعض المعلومات للسيد يوري..

صعد بيرت ومعه الرجال القليل من السلالم الفخمة ومشوا في طرقات داخل القصر، أوسع من ممرات بوتانا أو نيترو، وأخيرًا وصلوا إلى باب الردهة الرئيسي حيث وجدوا رجلاً من الأربعة الذين يصطحبهم يوري واقفًا على الباب، وبالتأكيد الثلاثة الآخرون ستجد منهم اثنين عند البابين الفرعيين للردهة، والأخير يقف عند الشرفة، تقدم بيرت بخطى ثابتة وسريعة نحو حارس الباب. السائد والطبيعي أن ينتظر بيرت بالخارج ويدخل الحارس ليأخذ من السيد يوري إذنًا بدخول بيرت، وهو ما همَّ الحارس بفعله حيث استدار وطرق على الباب عدّة طرقات؛ كي يأذن له

يوري بالدخول، لكنه لم يكن مقدرا له أن يدخل أو يرى يوري مرّة أخرى، حيث أشهر بيرت سيفه، وشق به ظهر ذلك الحارس ليتخلص من أول الرجال الأربعة، ومبديًا دليلاً واضحًا لأدلر ومن معه أنه لن يخذلهم مرة أخرى..

فتح بيرت الباب دون انتظار إذن الدخول ليجد يوري يجلس عاريا على أريكته الفارهة، ساندًا ظهره إلى صدر هيلدا العارية هي الأخرى، يبدو أنهم كانوا يعيشون أحداث ساخنة انتهت منذ لحظات. الثلاث حراس في أماكنهم التي توقعها بيرت بالضبط، وقف بيرت والرجال من خلفه عند أول الردهة الطويلة الواسعة، ثم أغلق الباب خلفه بعنف لينتبه يوري لوجودهم..

فزع يوري وفز من أريكته لينزع عباءة ما كانت تغطي طفل صغير نائم على الأريكة المجاورة، وألقاها على هيلدا، ثم حاول إخفاء عوراته بيده وهو يتحدث بغضب شديد إلى بيرت، وينهره لدخوله دون أذنه..

خلع بيرت قبعته بهدوء، ثم تنحنح **وقال:** الأمر الذي أتيت من أجله لا يتحمل أي تأخير يا سيدي..

يوري وهو يلتقط ملابسه من أحد الحراس ويهم في **ارتدائها:** أي أمر لعين هذا؟

بيرت: أود إخبارك يا سيدي أنني صديق جيد أنا ذو مبادئ..

قاطعه يوري **بغضب:** أهذا الذي اقتحمت علي ردهتي من اجله يا أبله؟

بيرت **بهدوء:** في الواقع لا، ثم أنني لا أحبذ أن تنفعل يا سيدي عقب تلك العلاقة الحميمة، ولا داعي للانفعال أصلاً! السيدة هيلدا لم تُكشف على أحد غريب!

في الوقت ذاته خلع أدلر لثامه وقع ذلك وقع الصاعقة على هيلدا!

أما يوري فلم يكن يفهم أي شئ، هو لم يرَ أدلر قط!

تساءل يوري في غضب عن كلام بيرت غير المفهوم وتجمع حراس يوري الثلاثة خلفه.

صاحت هيلدا في **فزع:** أدلر!!!

قبل أن يتخذ يوري أي ردة فعل كان ماركينا وكيلاري قد خلعا لثاميهما ليصيح يوري **قائلاً:** اللعنة. اقضوا عليهم..

اشهر بيرت وأصحابه سيوفهم وركضوا نحو يوري الذي اختبئ خلف رجاله الشاهرين سيوفهم، ثم ركض ليخرج من أحد الأبواب الفرعية، تراجع كيلاري عن ركضه وعاد ليخرج من الباب الرئيسي ليلحق بيوري داخل القصر، التقى بيرت أدلر وماركينا بحراس يوري الثلاثة في معركة ساخنة، لكنها لم تطل، بيرت قتل أوسطهم، أدلر قتل أيمنهم، أما ماركينا فقد تلقى ضربة أخرى في ذراعه المجروح سابقًا لكنها أفقدته ذراعه كاملاً، سقط ماركينا على الأرض قبل أن ينقض بيرت على رأس الحارس الأخير بسيفه ليفصلها عن جسده.

أما هيلدا فكانت قد حملت طفلها وقوس ورمح كانوا بجانبها في الردهة المليئة بالسيوف وغيرها من الأسلحة، وتراجعت نحو الشرفة، ولدها على كتفها، وضعت الرمح في القوس وسحبته حتى أصبح جاهزًا للانطلاق!

بيرت حمل ماركينا الضخم بصعوبة ليهبط به إلى الرجال في الحديقة لإسعافه، تاركًا أدلر وحده مع هيلدا وطفلها..

هيلدا تتراجع نحو الشرفة حاملة القوس والرمح جاهز للانطلاق أدلر يحمل سيفه ويتقدم إليها الطفل لا يكف عن الصراخ.

ينظر أدلر في عيني هيلدا يرى فيهما كل معاني الخيانة والدناءة، يتذكر بالنظر فيهما، كل ذكرياته الطيبة والسيئة مع هذه المرأة مرت أمامه في بضع ثواني، كل الأحداث التي عاشها منذ أن تركته ورحلت بالطفلين، كل المصاعب كي يصل إلى هنا وتكن أمامه هكذا..

أما هيلدا فهي محافظة على ابتسامة صفراء جامدة من أين جاءت بكل هذا الثبات!!

أكملت تراجعها إلى الخلف حتى وصلت إلى سور الشرفة، التصقت به ولا مزيد من التراجع، أخذت تتحرك بعرض الشرفة، بينما أدلر يتقدم إليها حتى أصبحا يقفان في وجه بعضيهما البعض ملتصقان بسور الشرفة قليلة الارتفاع قطعت هيلدا صمت

النظرات قائلة **باستهزاء:** هل قطعت كل تلك المسافات ومررت بكل الصعوبات لتُقتل هنا! يا لك من مسكين!

تذكر أدلر كلمات بيرت عندما نعته بالعاطفي وإن عاطفته تعميه عما يحدث من حوله؛ لذا حاول التماسك وعدم السماح لهيلدا باستفزازه أو التلاعب بمشاعره..

أكملت **هيلدا:** أعلمت الآن سر الجزر السبع الذي أرهق تفكيرك المريض طوال حياتك؟ علمت أن لا سحر ولا جن ولا قوى خارقة للطبيعة؟ علمت أن كل ما في الأمر أن كل من جاءوا إلى هنا قتلوا بأيدي رجال يوري؟ وكسروا قواربهم بشكل واحد ومنظم وأعادوها إلى جزرهم لبث الرعب في نفوس أمثالك؟

حقًا أنا متفاجئة كيف لأدلر الجبان أن يجتاز كل تلك المسافات دون خوف ويصل إلى هنا؟!

كل ذلك وأدلر ينظر في عينيها ويخطف نظرات لطفله دون أن تتحرك قدماه ولا شفتاه..

استرسلت هيلدا **قائلة:** لدي رمح واحد ولديك سيفك. سلاحي أسرع في الانطلاق، لكنها فرصة واحدة إن لم يصيبك سأفقدها. سلاحك أبطأ في الوصول لكنه لا ينضب، يبدو أن حظوظنا متساوية بعض الشيء؟ أم أن لدي ميزة السرعة؟ إذن هل تمانع في أن نتبادل الأسلحة؟ أنا لا أمانع.

أنا لا أمانع أيضا. أن أترك سلاحي تمامًا وتبارزني بسيفك وأنا بيدي!

لست خائفة من ضعيف مثلك!

وأثق في يوري تمام الثقة أنه سيعود إلي الآن، بالمناسبة أنا لم أثق بك قط طوال حياتي!

وإن حدثت معجزة وتمكنت مني، سيقطعك يوري أربا، أنا أثق في ذلك، لكني لن اترك ليوري تلك الفرصة، سأقتلك كما قتل أبوك المخبول هنا.

تمكنت هيلدا من مشاعر أدلر أشد تمكن بهذه الكلمات حيث انفجر بركانه؛ ليصب جام غضبه فوقها، فأشهر سيفه وهو يصيح صياحا عال، سمعه كل من بالحديقة، وتقدم نحو هيلدا التي بدورها همت لترك الحرية للرمح أن يخرج من قوسها ليخترق جسد أدلر ويقضي عليه، لكن ذلك الطفل على كتفها زاد صراخه وأخذ يرفس بقدميه في وجه هيلدا وقوسها مذعورًا من صياح أدلر، وسيفه، مما أربك هيلدا وأثر على توجيهها للرمح الذي انطلق ليقطع أذن أدلر ويجرحه في خده ورأسه دون أن يقتله!

سقط أدلر وسقط منه سيفه وهو يظن أن الرمح الذي شاهده يخرج من قوسها قد اخترق قلبه، لكنه بعد لحظات وجد روحه لا تزال بجسده، استفاق من صدمته وبدأ يتحسس وجهه ليجد الدماء سائلة من مكان أذنه التي طارت مع الرمح، وعلى خده ورأسه، وقف على قدميه ليلحق بهيلدا، لكنه وجدها ملقاة على جنبها الأيمن لإصابتها برمح في الجنب الأيسر!!

من أصابها بذلك الرمح وأين الطفل!!

أسرع أدلر إليها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة وأخذ يسألها عن الطفل وعن إن كانوا أطفاله، أم أطفال يوري. ابتسمت هيلدا بعد مجهود جبار لرسم الابتسامة ثم حاولت النطق، لكنها لم تتمكن فأرخت شفتيها ووجهها وواصلت النظر لأدلر وهي تحتضر، علم أدلر أنها لن تنطق بأي شئ، فقال لها وهو ممسك **بشعرها:** هكذا تموت العاهرات، عاريات مدنسات، ثم بصق في وجهها والتقط سيفه وثبته في قلبها ليقضي عليها تمامًا وهو يقول إلى الجحيم أيتها الداعرة..

ثم وقف وخطى بقدمه فوق جسدها عائدًا إلى الأسفل ليتبين من أصابها بالرمح، وأين الطفل. في الغالب ركض الطفل إلى الخارج بعد إصابة أمه بالرمح، ركض أدلر هو الآخر وهو يفكر في أمر ذلك الطفل هل سيستطيع تربيته دون أن يتأكد من إن كان ابنه أم لا ماتت هيلدا دون أن تبوح بالسر ثم قال أدلر في نفسه لكن يوري قد يكون مازال على قيد الحياة!!

أسرع أدلر في ركضه ليلحق بيوري لكنه وجد سالينا تائهة في وسط القصر وبين سلالمه العديدة، فهرع إليها فاحتضنته في الحال، سألها عما فعلوا مع من كانوا في الحديقة، فأجابته بأنهم قد قضوا عليهم جميعًا، ثم أنها بعد ذلك شاهدته في الشرفة مع هيلدا من أسفل، فجهزت رمحها وأطلقته لتصيب هيلدا وتنقذه من الموت!

لكن رمح سالينا وصل بعد أن أطلقت هيلدا رمحها وسقط أدلر؛ لذا دبّ الرعب في قلب سالينا مخافة كون أدلر قد مات وركضت هائمة في القصر تبحث عن باب تلك الشرفة حتى وحدته، فضمته بعنف ليرتاح قلبها الذي انفطر بكاءً في تلك الدقائق.

أخبرها ادلر أن الطفل تحرك كثيرًا ويبدو انه حرك ذراع هيلدا برفسه ليبعد الرمح عن وجهه ويصيبه بأذنه فقط..

عندئذ أخذت سالينا تدفع في أدلر للتحرك إلى الخارج ليتم إسعافه، لكن أدلر سألها أولاً عن إن كانت قد رأت الطفل، فأجابته سالينا بخيبة أن الطفل سقط من فوق كتف هيلدا من فرط حركته وبعدها أصيبت هيلدا بالرمح.

أدلر: لكني لم أجده بالشرفة، يبدو انه ركض إلى الخارج هيا نبحث عنه، أسرعي. سالينا بهدوء والدموع تترقرق على **خديها:** أدلر لقد سقط الطفل من الشرفة إلى أرض الحديقة بالأسفل.

تلقى أدلر صدمة عنيفة بسماعه تلك الكلمات من سالينا وجثا على ركبتيه واضعا يديه حول رأسه من الخلف، لن يقوى هذا الطفل على ذلك السقوط، لابد أنه مات في الحال مات الطفلان!

أحدهما بسيف أدلر في كواسكا، والآخر مات لينقذ أدلر من الموت!

أخذ أدلر يبكي، لكنه تشبث بآخر أمل وهو أن يخبره يوري بأن الطفلين لم يكونا أبناءه هو، بل أبناء يوري..

سأل أدلر سالينا **بسرعة:** أين يوري..

قادته سالينا إلى الخارج وهما يركضان ليجد أدلر جميع الرجال ملتفين حول الكثير من البراميل الخشبية، وقد شبت فيها النيران، ألسنة اللهب متعالية حتى أنك تستطيع رؤيتها فوق مستوى رؤوس الناس الملتفين حولها!

شق أدلر الصفوف وتقدم بسرعة ليجد يوري محاط بجميع الرجال، يذهب ويجئ وسط تلك الحلقة المستطيلة المحاطة بالبراميل غير المشتعلة وقد التهمت النيران جسده العاري في مشهد تقشعر له الأبدان ويشيب له الولدان!

لكن كل من يرى يوري في ذلك الوقت كان ينتفض من شدة الفرح بهلاك هذا الطاغية محترقا، وهو الذي لم يسلم أحد من حرقه، فلقد أحرق الكثير من الناس كما أحرق قلوب ذويهم!

أخذ أدلر ينظر إلى عيني يوري وهو يحترق، ويطلب النجدة ويغدو ذهابًا وإيابًا وسط تلك الحلقة المحيطة به، كان على أدلر محاولة إطفائه حتى يستكشف منه سر الطفلين، لكن مشهد احتراقه كان يثلج صدر أدلر كما يثلج صدر كل من شاهده وعيناه وهو مفزوع هي ما أجمل ما رآه أدلر منذ فترة!

واهتدى قلب أدلر إلى الرضا بذلك القدر إن كان الطفلان يعودون إليه سيحترق قلبه ألمًا عليهما، فلقد قتل احدهم بسيفه دون قصد ولقد مات الثاني حتى يعيش أدلر وإن لم يكونا أطفاله فسيعتصر قلبه، ويثار غضبه لأنه قام تربية أبناء يوري لبضع سنين

كالأبله دون علمه. في بعض الأحيان من الأفضل ألا تعلم الحقيقة، فلقد ذهبت هيلدا وذهبت ذكرياتها معها بموت الطفلين..

بالتأكيد فان ماركينا هو من قام بإحراق يوري – بعد أن تم إسعافه ـ للثأر لأخته التي أحرقها رجال يوري بأمره، ولكن ذلك تم بعدما أصبح السيد يوري عقيمًا على يد كيلاري الذي ثأر لنفسه هو الآخر.

أما عن أدريان، فلقد أصفح عن زوجته ولم يقتلها بعدما أخذ منها طفله وتركها على قيد الحياة، هو يعلم إنها لا حول لها ولا قوة، ولم تكن تقوى على عصيان أوامر يوري من أجله، لكنه لن يقدر على العيش معها مرّة أخرى..

وبعد ذلك أمر بعض الرجال بالذهاب إلى مسكن صديقه الخائن الذي كان يدعى «**ناند**» وتوثيقه بالحبال والمجيء به إلى القصر كان ناند – كما ذكرنا – هو المتحدث الرسمي ليوري، ولا تعتمد الرسائل الموجهة إلى رجال يوري دون أن توثق بختم ناند..

أمر أدريان ناند بأن يخط بخطه رسالة إلى الرجال في كواسكا، يعلمهم بأن يوري قد توفى صباحًا، وأن أدريان أصبح قائد تلك الجزر التابعة لسلطة يوري من بعده..

ورسالة أخرى لملك بوتانا ليخبره بأن أدلر رجل مُرحب به في بوتانا أو خارجها بعد أن تم تسوية أموره مع قادة الناريين؛ لذا فلا يجب على أحد اعتراضه..

وأشار أدريان إلى أدلر ليكن ملك بوتانا، أو نيترو إن أراد، فأجابه أدلر بأن حياة الملوك قد تغري نفسه الضعيفة وتجعله رجلا فاسدا، هو لا يقوى على تلك الحياة، يريد العودة فقط إلى بوتانا ليباشر حياته العادية مع زوجته سالينا وينجب منها مائة طفل إن استطاعوا، ويؤسس أسرة متواضعة صالحة مع زوجته الصالحة.. فإن صلحت الزوجة صلحت الأسرة.

أما ماركينا وكيلاري فقد رفضا بدوريهما تولى ملك نيترو واتفقا على أن سكان نيترو عليهم اختيار ملكهم فيما بينهم دون أن يفرض عليهم، وقررا العودة إلى جزيرتهما نيترو وإن يخبرا الناس أنهم من كانوا معهم من أول لحظة ويشاركا في أعمار نيترو مرة أخرى، بلا ظلم، بلا جشع، بلا نهب..

بعد ذلك تعانق الرجال جميعًا مع أدريان بعد أن استعدوا للرحيل إلى نيترو مرّة أخرى وقبل أن يرحل أدلر تحدث لأدريان **قائلاً:** إياك والظلم أدريان أصلح شأن تلك الجزر..

ابتسم أدريان ابتسامة هادئة ثم **قال:** أنا رأيت بعيني مصير يوري الفاسد، ولن أسير إلى ذلك المصير بقدمي! أنا لست أحمق يا صديقي، قريبا ستجد الناريين يهمون بإصلاح كل الجزر ومعاملة شعوبها بالرفق واللين ستتبدل الأدوار نحن من يقرر المصائر..

ثم تعانق الرجلان وذهب أدلر رفقة سالينا إلى السفينة ليلحقا بركب الناس، لكنه فطن لعدم وجود بيرت بها؛ لذا هبط مرّة أخرى يبحث عن بيرت في كل الأرجاء لم يجده، بعد ذلك سأل ناند عن

مكان سفينة بيرت التي أتى بها إلى هنا من بوتانا، فأرشده ناند إلى مكانها، هبط أدلر إلى سفينة بيرت ليجد قلادته وقبعته فوق لفافة من الورق قد كتب بها رسالة طويلة... حمل أدلر القلادة والقبعة والورق وعاد إلى سفينته ليقرأ الرسالة على مسمع من رجال نيترو، الذين عاشوا مع بيرت ويعرفونه جميعًا..

«صديقي أدلر ماركينا وكيلاري وزوجة كيلاري، وباقي رجال نيترو، وسكانها لقد كان من الشرف لي العيش بينكم واتخاذ بعضكم كأصدقاء، لقد حظيت معكم بأوقات طيبة للغاية في نيترو، أما عن أدلر فلقد ترعرعنا سويًا في بوتانا ومررنا بأوقات كثيرة معًا، لا أتذكر إن كانت سيئة أم جميلة لكنني أتذكر أننا كنا نهون على بعضنا البعض بذلك التسامر بجوار الشاطئ ليلاً.. إلى السيد ماركينا لقد أنقذت حياتك اليوم من سيف هذا الحارس وآمل أن أكون قد كفرت عن ذنبي تجاهك بهذا. السيد كيلاري وزوجته أتمنى أن تصفحا لي ذنبي.

رجال نيترو.. لم أتعمد الإيذاء أو الزج بكم في أية مشاكل، لقد أكرمتموني وعاملتموني بإحسان، هنيئا لكم جميعًا، الآن انتهت مخاوفكم وأحزانكم، لا ظلم ولا بطش ولا قتال. تلك الأراضي التي لطالما سمعتم عنها الأساطير ملككم الآن. هؤلاء الناريون والملثمون يعملون من أجلكم الآن، ربما ساق القدر إليكم أدلر ليقودكم إلى ذلك الطريق الذي يخبركم في نهايته إنكم قادرون على كل شئ وأي شئ، على هزيمة الناريين

والملثمين ويوري ورجاله، على استرداد هيبتكم، وأراضيكم، على العيش حياة كريمة، على تقرير مصائركم بأيديكم. فقط إذا اتحدتم وها أنتم قد اتحدتم؛ لذا فلتظفروا بنتاج ما صنعتم ولا تتوقفوا عن الإيمان بأنفسكم، أنتم العالم والعالم أنتم، فقط إذا اتحدتم أتمنى لصديقي أدلر أن يظفر بحياة سعيدة مع زوجته الجميلة سالينا، تنسيه فيها الأيام الشاقة التي مر بها كي يصل إلى هنا ويثأر لنفسه، وأريد إخبارك بمعلومة ما.. تلك القلادة التي تركتها لك بجوار الرسالة قصتها وأساسها وتعلقي بها، كل هذا كان يثير فضولك وفضول الجميع، في الواقع هي لا شئ ورثتها عن أبي دون أن أفهم لها أي جدوى، لم تكن تساعدني ولم أكن أقدسها، لكنها كانت تعطيني التميز وسط الناس، إن لم امتلكها فلن يتذكرني أو يعرفني أحد، افتقرت لما يميزني وسطكم جميعًا؛ لذا فتمسكت بها قد تعطيني بعضا من الاحترام، الاهتمام، أو حتى التعاطف. أي شيء عدا أن أكون منسيًا دائمًا، أما عني فلقد ارتديت رداء السوء مرغمًا واكتسيت بكساء الخير عن قناعة؛ لذا آمل أن تتذكروا لي الخير فقط، ولا تذكروني بسوء. إن نفسي ضعيفة، وقد تعود إلى السوء مرّة أخرى!

لذا تلك هي النهاية الأمثل لقصة رفيقكم بيرت.. أيها الناس جميعا لقد شرفتموني في رحلتي المتواضعة هذه، وتلك هي النهاية... مع خالص حبي

بيرت.»

بعد ذلك بكى الناس جميعًا وهمهموا فيما بينهم عن أنه كان رجلاً طيبًا، ساعدهم للنجاة بحياتهم من هذا المأزق، وأن سيرته ستظل عطرة بين الأجيال المتوالية في نيترو، وأنهم سيقصون على باقي سكان نيترو دوره العظيم في تخليصهم من حياة الذل التي كانوا يعيشونها..

أما عن أدلر فتناول القلادة وقبلها، ثم لفها حول عنق سالينا زوجته ثم تناول القبعة وقبلها وارتداها هو..

تحركت السفينة وأعطى الجميع ظهورهم للأرض التي أطلق عليها الجزر السبع ونظر أدلر إلى البحر الواسع وهو يحدث نفسه..

ذلك هو لغز الحياة، لغز الخوف!

إن ظللت تتجنب مخاوفك، ستتزايد في أحجامها دون أي مجهود منها، بل معتمدة على أوهامك، واستنزافك لطاقاتك، أما إن طرقت أبواب مخاوفك، ستتبدد جميعها، سواء انتصرت أو لم تنتصر، لقد واجهت خوفك وقتلته، وهو ما يمنعك عن الحياة بالأساس، يمنعك عن السير لأحلامك، عن محاولة خطف قلب فتاة تعشقها، عن الخوض في غمار تجربة ستعلي من شانك، عن التعامل مع أصدقاء قد يحملون عنك عبء الحياة، فتتنحى جانبًا وتشاهد من بعيد، فيمضي العمر ويمضي، ولم تحقق غاية، لم تصل إلى شيء، لن يفتقدك أحد!

لذا إن أردت الاكتفاء بالمشاهدة من بعيد، فستظل بعيدًا بعيدًا كل بعد عن أحلامك وغاياتك وعن الناس!

تلك هي الحياة، صدق من قال عنها رحلة لا تعطيك شيئًا إلا وأخذت بدلاً منه، لا تريح قلبك إلا بعد أن تخلعه ولا تشفي جسدك إلا بعدما تُعييه الهدف الذي تسعى له، ستتكاتف معك الأقدار حتى تصل إليه، مهما مررت بمآسي وعثرات، حتما ستصل طالما أخلصت، وعند الوصول ستنسى كل أعباء الطريق، لقد ثأرت من هيلدا وزوجها وفقدت في المقابل حياتي الهادئة وطفلين بريئين سواء كانا من صُلبي أم لا، كما فقدت أذني، لقد تجرعت مُر الأيام لكنني اكتسبت زوجة صالحة جميلة، وأصدقاء لا يمكن تعويضهم، ومكانة لم أكن أحلم بنصفها في قلوب سكان نيترو، لقد تمكن ماركينا من الثأر لأخته، وحرق يوري، لكنه فقد ذراعه في الطريق، ولقد ثأر كيلاري لنفسه من يوري، لكنه فقد قدرته على الإنجاب، أما أدريان فثأر لأبيه وأمه وأخوته وقبيلته كلها، بعدما تمكن من الأرض التي عاشوا فيها عبيدًا، لكنه فقدهم جميعا كما فقد زوجة كان يحبها، وصديق كان مخلصًا قبل أن تبدلهما الأيام..

تلك هي الحياة،لا عطاء دائم، ولا منع متصل، أهداف تتحقق وأحلام تنكسر، أيام رخاء، وأيام عناء، الناس تتبدل، السيئ قد يعود إلى صوابه، وتصبح سيرته عطرة على كل لسان، الجيد قد يفقد عفته بقرار واحد، لا صديق دائم، ولا عدو دائم، كرحلة السفينة بين الأمواج، تتقاذفها الأمواج وتهاجمها وحوش البحر تارة، وتسكن البحار بمخلوقاتها لتمهيد الرحلة تارة أخرى، لا حال ثابت، وعلى المرء التعايش.

تَشكِيل للنَشر والتَوزِيع